دراسات سياسية وإستراتيجية

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات السياسية والاستراتيجية في بيت الحكمة ـ بغداد
العدد (٣٥) لسنة ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م

رئيس التحرير
أ.د.محمود علي الداود

سكرتير التحرير
أ.م.د. منى حسين عبيد

الهيئة الإستشارية

أ.د. السفير محمد الحاج حمود
أ. مصطفى عثمان اسماعيل (السودان)
أ. عصـــــام الجـــــــلبي
أ.د. عبد الامير محسن الاسدي
أ.د. عبد المنعم صـاحي العــمار
أ.د. عبـد الســـلام بغـــدادي
البروفيسورة كيكو ساكي (اليابان)
أ.د. جورج جبور (سوريا)
أ.د.ابراهيم خليل العلاف
أ.د. زكريا كورشون (تركيا)
أ.د. محمد عبد الشفيع عيسى (مصر)

المراجعة اللغوية
أ.م.د. حازم عبد الوهاب عارف

أهداف وضوابط النشر

اهداف بيت الحكمة

بيت الحكمة مؤسســة فكرية علمية ذات شــخصية معنوية واســتقلال مالي واداري مقره في بغداد ومن اهدافه:-

* العناية بدراسة تأريخ العراق والحضارة العربية والاسلامية .
* ارســاء منهج الحوار بين الثقافات والاديان بما يســهم في تأصيل ثقافة السلام وقيم التسامح والتعايش بين الافراد والجماعات .
* متابعة التطورات العالمية والدراسات الاقتصادية وآثارها المستقبلية على العراق والوطن العربي
* الاهتمــام بالبحــوث والدراســات التي تعزز من تمتع المواطن بحقوق الانســان وحرياته الاساســية وترسيخ قيم الديمقراطية والمجتمع المدني .
* تقديم الرؤى والدراسات التي تخدم عمليات رسم السياسات .

ضوابط النشر

- تنشــر المجلة البحوث التي لم يســبق نشــرها ويتم اعلام الباحث بقرار المجلة خلال ثلاثة اشــهر من تاريخ تسلم البحث .
- ترسل نسخة واحدة من البحث باللغة العربية مع ملخص له باللغة الانكليزية لا تزيد كلماته عن ٢٠٠ كلمة شريطة ان تتوفر فيه المواصفات الاتية :

أ- ان يكون البحث مطبوعاً على قرص مرن (CD) بمسافات مزدوجة بين الاسطر وبخط واضح .

ب- ان لا تتجاوز عدد صفحات البحث (٢٠) صفحة بقياس(A4) عدا البيانات والخرائط والمرتسمات.

ج- ان تُجمع كل المصادر والهوامش مرقمة بالتسلسل في نهاية البحث وبمسافات مزدوجة بين الاسطر.

- يحصل صاحب البحث المنشور في المجلة على نسخة مجانية من العدد الذي ينشر فيه البحث .
- تعتذر المجلة عن اعادة البحوث سواء نشرت أم لم تنشر .
- يحتفظ القسم بحقه في نشر البحث طباعياً والكترونياً على وفق خطة تحرير المجلة .

المحتويات

كلمة العدد

رئيس التحرير ٧

البحوث والدراسات

الفكر العربي المعاصر والحركات الراديكالية العنيفه

أ.د. محمود علي الداود بيت الحكمة –بغداد..... ١١

ظاهرة الرئيس الفرنسي ماكرون وتداعياتهاعلى السياسات الفرنسية والأوربية والشرق الأوسط

د. وليد كاصد الزيدي ٢١

القدس بين مخططات التهويد ومشاريع التسوية الاسرائيلية

د. فرح صابر ٣٩

الهوية الفلسطينية في الخارج

أ.م. د. دينا هاتف مكي..... ٥٩

مجالات التقارب والخلاف الامريكي- الروسي في الشرق الاوسط(الازمة السورية انموذجا)

أ.م.د شذى زكي حسن ٧٩

تبني النظام الرئاسي في العراق : بين النظرية والتطبيق

د.همسه قحطان / م.م عمر حمدان..... ٩٩

العلاقات الايرانية ـ الامريكية في ضوء تاثير الملف النووي الايراني بعد عام ٢٠٠٣

أ.م.د خلود محمد خميس..... ١٢٣

العلاقات الخليجية- الامريكية في مرحلة ماسمي بـ (الربيع العربي)

أ.م.د. عامر هاشم عواد ١٤٣

ملـف العـدد

المؤتمر العلمي السنوي لبيت الحكمة الموسوم

(إدارة مدينة الموصل بعد التحرير ...رؤية سياسية وإجتماعية وأمنية)

ظاهرة التطرف وأزمة الاعتدال

د. احسان الامين ١٦١

الجوانب القيمية والتربوية لإعادة إعمار الجامعات العراقية ومواجهة التحديات

أ.د. صلاح عبد القادر النعيمي ١٦٥

أفكار ومقترحات من أجل النهوض بالموصل من جديد

أ.د. ابراهيم خليل العلاف - أ.د.هاشم يحيى الملاح ١٦٧

الإدارة الأمنية في محافظة نينوى بعد التحرير

اللواء الركن المتقاعد محمود احمد عزت ١٦٩

إدارة الملف الأمني في مدينة الموصل بعد التحرير

اللواء الركن المتقاعد الدكتور عماد علو الربيعي ١٧٣

إدارة الملف الأمني ومكافحة العنف والإرهاب

د. معتز محي عبد الحميد..... ١٨٣

تقرير المؤتمر العلمي السنوي لبيت الحكمة

(إدارة مدينة الموصل بعد التحرير ...رؤية سياسية وإجتماعية وأمنية)

د. حسين علاوي ١٨٧

تقرير المؤتمر العلمي السنوي لقسم الدراسات السياسية والاستراتيجية

(السياسة الخارجية العراقية -ترصين مكانة العراق الدولية)

أ.م.د. منى حسين عبيد..... ١٨٩

كلمة العدد

تميـز عام ٢٠١٧ في التاريـخ العراقي المعاصر بانه عام النصر الكبير على الارهاب واسـتعادة العراق كامل سـيادته الوطنيـة على اراضيه واولى بيت الحكمة اهتماماً خاصـاً لهذا الحدث التاريخي والوطني البارز فقد عقد مؤتمراً علمياً موسـعاً تحت عنـوان (إدارة مدينة الموصل بعد التحرير رؤية سياسـية واجتماعية وأمنية) وذلك في يوم الخميس الموافـق ٢٠١٧/٧/١٣ وقد تضمن العدد(٣٥) من مجلة دراسات سياسية واستراتيجية عدداً من الابحاث التي القيت في المؤتمر والتوصيات التي خرجت عن هذا المؤتمر الذي سـاهم في حضوره ممثلون عن المؤسسـات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية العراقية .

وقـد تضمن العدد بحثاً له علاقة بموضـوع خطر التطرف بعنوان الفكر العربي المعاصر والحركات الراديكالية العنيفة وفي الشـأن العراقي هناك دراسـة بعنوان النظام الرئاسـي في العراق بين النظرية والتطبيق .

وفي ضوء التطورات الحديثة الخاصة بقرار الرئيس الامريكي دونالد ترامب باعتبار القدس عاصمة لاسرائيل اولت المجلة اهتماماً خاصاً بالقضية الفلسطينية وبصوره خاصة لدور القدس بين مخططات التهويد ومشـاريع التسـوية فضلاً عن دراسـة سياسية وقانونية عالجت اشـكالية الهوية الفلسطينية في الخارج .

وفي العلاقات الدولية تضم العدد دراسـة حول ظاهرة الرئيس الفرنسـي مانوئيل ماكرون وتداعياتها على السياسـات الفرنسية والاوربية والشرق الاوسط . وفي حقل الصراعات الدولية والاقليمية تضمن عدد من الدراسـات حول العلاقات الامريكية والروسـية حيال سوريا والخليج العربي والملف النووي الايراني .

وفـي ختـام العدد هنـاك تقريراً حول وقائع المؤتمر السـنوي الذي عقده قسـم الدراسـات السياسـية والاسـتراتيجية بعنوان السياسـة الخارجيـة العراقية –ترصيـن مكانة العراق الدوليـة مع التوصيات التي توصلت اليها بحوث المؤتمر حول ترصين اداء السياسـة الخارجية للعراق وسـبل تطوير نشـاط الدبلوماسية العراقية .

رئيس التحرير

البحوث والدراسات

الفكر العربي المعاصر والحركات الراديكالية العنيفه

أ.د. محمود علي الداود(*)

لقد حبا الله الأمة العربية بنعم كثيرة قلما توفرت لدى الأمم الاخرى... ولعل منها الموقع الجغرافي المتميز الذي يجمع بين آسيا وافريقيا ويطل على اوربا ويسيطر على أهم المضايق الدولية التي تتحكم بحركة التجارة والملاحة والمواصلات والاتصالات الدولية فضلاً عن الدور الحضاري المرموق للعالم العربي باعتباره مهد الحضارات الانسانية وموطن الديانات السماوية وتتربع معظم اقطاره على ثروات هائلة من النفط والغاز والطاقة الشمسية ومعادن اخرى ناهيك عن الانهار التاريخية الكبرى مثل النيل ودجلة والفرات وقدرات زراعية لاحدود لها لو احسن استثمارها . ومع كل هذا فان العالم العربي يعاني من أزمات ومشاكل حادة لاتتناسب اوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الحالية مع حجم القدرات والامكانات المتوفرة لديه. ويجمع المراقبون ان العالم العربي الأغنى في العالم هو اليوم الافقر في العالم وتشهد معظم مجتمعاته تدهوراً غير مسبوق بفضل غياب الحكمة والحكم الرشيد كما ان العالم العربي هو المنطقة المتميزة في العالم بعدم الاستقرار الدائم واشتعال الحروب العربية –العربية والحروب العنصرية والطائفية التي استنزفت القدرات البشرية والتنموية .

وبالرغم من ان النهضة العربية المعاصرة والتي بدأت منذ قرن من الزمان قد حققت انجازات مهمة في المرحلة الأولى كتأسيس الحكومات الوطنية ونجاح معظمها في نيل الاستقلال الوطني الا ان العالم العربي يبدو اليوم متخلفاً كثيراً عن دول اخرى في اسيا وافريقيا. واذا قارنا بين اوضاعنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية وما حققته الهند والصين ودول اسلامية آسيوية مثل ماليزيا واندنوسيا لابد ان هنالك فرقاً شاسعاً فقد تم استنزاف الثروات الهائلة التي يملكها العرب

(*) مشرف قسم الدراسات السياسية والاستراتيجية في بيت الحكمة

إما عن طريق حروب داخلية طائفية وعنصرية انهكت الشعوب ودمرت فرص التنمية والتقدم وإما عن طريق حروب خارجية دمرت العلاقات بين الدول الاسلامية او قضت على العلاقات القومية في اطار الجامعة العربية . ومن اجل تتبع العلاقة بين الدولة الحديثة والدين وبين الفكر العربي المعاصر والتيارات الدينية وتطورها إلى حركات راديكالية لابد من تقسيم التاريخ المعاصر للأمة العربية إلى اربع مراحل :

المرحلة الأولى منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى :

وهي تمثل استمرار حركة النضال ضد التواجد الاستعماري والتي امتدت منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وحتى عام ١٩٨٠ والتي شهدت بداية الانهيار العربي وفي هذه المرحلة تنامى الفكر العربي المعاصر مركزاً على حركة النضال العربية أمام حزمة كبيرة من التحالفات الاستعمارية والمؤامرات الصهيونية ورغم محدودية الامكانات حينئذ إلا ان الشعوب العربية حققت انتصارات مهمة أثناء ثورة العراق الوطنية عام ١٩٢٠ وثورة مصر الوطنية عام ١٩١٩ واستمرار الثورات العربية في الاقطار الشقيقة في الشمال الافريقي ودخل العراق ومصر عصبة الأمم في الثلاثينيات من القرن الماضي ونشأت حركة نهوض عربية مهمة ركزت على اهمية الدور الحضاري والثقافي وبناء الجسور للتواصل والتعاون بين الاقطار العربية الشقيقة وكانت الجماهير العربية ترفع شعارات موحدة تؤكد على الاصرار باستمرار الكفاح ضد القوى الاستعمارية واعتبرت شعار الاستقلال شعاراً مقدساً فضلاً عن دور المجتمع المدني بالدعوة الى الوحدة العربية او على الاقل التعاون في المجالات الاقتصادية والثقافية وقد انضمت التيارات الدينية الى هذه النهضة ولم تظهر تميزاً خاصاً من قضايا الوطن والأمة بل على العكس شهدت الفترة مابين الحربين العالميتين وحدة فكرية عربية قومية واسلامية في دعم حركات التحرر الوطني العربية والاسلامية وقد ظهر ذلك من خلال المواقف من قضية فلسطين وقضايا التحرر الوطني في تونس والجزائر والمغرب .

المرحلة الثانية مرحلة الحرب العالمية الثانية:

وهذه المرحلة هي مرحلة تكريس الاحتلال الاجنبي وحرص السياسات الامريكية والبريطانية على استغلال العالم العربي من اجل تحقيق اهداف الحرب على المحور ففي المشرق العربي تم احتلال العراق عام ١٩٤١ وفي مواجهة وطنية عراقية اشترك فيها الجيش العراقي كما تكرس الاحتلال الفرنسي على سوريا ولبنان وكما تم الاستحواذ على المضايق الدولية وطرق المواصلات والمقدرات الاقتصادية وفي مقدمتها السيطرة المطلقة على منابع النفط في منطقة الخليج العربي واستمرار الهيمنة على مصر التي عانت كثيراً من ثقل الاحتلال البريطاني والتصرفات الكيفية والانفرادية واللاقانونية للسفارة البريطانية في القاهرة كما اجبرت قوى الاحتلال الفرنسي في أقطار شمال أفريقيا تجنيد مئات الألوف من

المغـرب والجزائر لتكون وقوداً لنيران الحرب في السـاحات القتالية الاوربية ولاسيما الحدود الفرنسـية . وفي هذه الفترة تم الاسـتحواذ على المقـدرات الاقتصاديـة العربيـة ففـي العراق كان أبناء الشـعب يعيشـون على فئات البطاقة التموينيـة بينما كانت القوات البريطانية الممثلة قد استحوذت على المنتجات الزراعية العراقية وقـد اخضعت السـلطات البريطانيـة المجتمع العراقي على سياسـة تقشف صارمة في المأكل والملبـس والتنميـة عمومـاً بينمـا كانـت تقوم بتطبيق سياسة نهب واحتكار واسعين .

فـي ضـوء السياسـات التعسـفية التي كان يتبعها الاستعمار البريطاني والفرنسي في العالم العربي وفي هذه البيئة بالذات انتعشت التيارات الدينية وكان الاخوان المسـلمون في مقدمة هذه التيـارات التي تأثـرت بالمدرسـة الوهابية في السـعودية وكانت امتداداتها في الشرق العربي ولاسـيما فـي سـوريا والعـراق كما انتعشـت التيارات الدينية في الاقطار العربية في شـمال افريقيا والسـعي لايجاد جبهة وطنية موحدة في المغرب العربي ومن الجدير بالذكر ان الاسلام عند هذه الاقطار يعني العروبة والعروبة تعني الاسلام ولايزال هذا الوضع سارياً حتى الوقت الحاضر .

ونشـأت في تلك الحقبة صـلات اتصالات مع العمل ومراكز الفكر بين المشرق والمغرب العربـي إلا ان تلك الصـلات اتصفت بالوطنية ووحـدة النضال العربي وفي المشـرق العربي توحـدت كل الفصائـل الوطنيـة تجـاه القضية الفلسطينية .

المرحلة الثالثة ١٩٤٥-١٩٨٠ :

انتهت الحرب العالمية الثانية بعد ان جعلت القوى الحليفة للعالم العربي جسراً لانتصاراتها العسـكرية وبـدأت مؤسسـات الاسـتعمار في المشـرق والمغـرب العربـي تسـتعيد مكانتها وتسـعى بـكل الوسـائل لتكريـس الاحتـلال والسـيطرة علـى المـوارد الطبيعيـة والمواقع الاستراتيجية العربية .

وقد تأثرت المنطقة العربية بالمتغيرات التي استجدت على الساحة الدولية بعد نهاية الحرب وقيام منظمـة الأمم المتحدة والتـي أكد ميثاقها على اهمية الاعتراف بحق الشعوب في الحرية والاستقلال والسيطرة على مواردها الطبيعية .

وكانـت ثـورة محمـد مصـدق الايرانيـة الاسـلامية وإقدامـه علـى تأميـم النفـط عـام ١٩٥١ هـي بدايـة المواجهات مع الاسـتعمار والاحتكارات الاقتصاديـة المتحالفة معه . وقد حركـت هذه الخطوة الشـارع العربي في اتجاه المطالبة بالتأميم ايضاً .

في هذه المرحة كانت التوجهات الاسـلامية توجهات وطنية عامة تؤيد نسق التطور السياسي الوطني القومي العام في نصرة حركات التحرر الوطنية في كافة اقطار العالم العربي في الشمال الافريقي والخليج العربي كما شهدت تلك الحقبة وحدة وطنية – اسلامية تجاه القضية الفلسطينية وقد أيدت في البداية شعارات الحركات الوطنية التحررية وسـاندت الثورات العربية في مصر عـام ١٩٥٢ وفـي العراق عـام ١٩٥٨ إلا ان مساندتها لتلك الثورات كانت مرحلية وسرعان

ما غيرت بعض هذه التيارات الدينية موقفها وحصل الاصطدام الأول بين القيادة المصرية وحزب الإخوان المسلمين الذي كان يستعد لاستخدام العنف لإزاحة القادة الجدد وتم التعامل مع التحركات الدينية الجديدة في مصر بصرامة شديدة وبعد ان فقدوا الساحة المصرية المهمة انسحب معظم قادة الاخوان الى المملكة العربية السعودية وقطر حيث تمكنوا من ان ينالوا ثقة الحكام ومن ثم يعد فترة وجيزة اصبحوا مركز تأثير مهم في صنع القرار السعودي بالنسبة لانتشار الدعوة الاسلامية والعلاقات مع الدول الاسلامية وقد احسن الاخوان استغلال كل الظروف في تلك الاقطار لصالح حركتهم وكانت في الحقيقة على حساب وحدة ومستقبل المملكة العربية السعودية وقطر فضلاً عن دورهم في رسم السياسة الخارجية لتلك الاقطار وان معظم قادة الاخوان المسلمين حالياً هم من الذين كانوا قريبين من صنع القرار في الدوحة والرياض .وقد تربع بعضهم على دوائر حساسة بما في ذلك السلك الدبلوماسي ومراكز النفوذ الثقافية والاعلامية ومجال الدعوة وفي النشاطات الدينية السعودية في الدول الاسلامية ولاسيما في جنوب شرق آسيا .

تداعيات أحداث ٥ حزيران ١٩٦٧ :

بالرغم من الشعور العام في الأقطار العربية بدور الرئيس جمال عبد الناصر في حركة التحرر الوطني العربي والدولية ودوره في نهضة مصر المعاصرة وترصين الفكر العربي المعاصر إلا ان كارثة ٥ حزيران وقعت على شعب مصر وعلى بقية الشعوب العربية والإسلامية وقع الصاعقة . وعلى الرغم من حجم الكارثة فان القيادة المصرية تمكنت وبسرعة مذهلة من اعادة الاتزان والتوازن في اعادة بناء القوات المسلحة ومن خلال دعم عربي غير مسبوق شاركت فيه العراق والمملكة العربية السعودية فقد نجحت تلك القيادة في استعادة المبادرة والمباشرة بحرب الاستنزاف والاهم من ذلك إعادة ثقة الشعب بقيادته . ورغم تحركات الاخوان المسلمين لاستغلال تلك الظروف إلا ان الفرص بقيت موصودة الى وفاة الرئيس المصري وتقلد انور السادات رئاسة مصر والذي كان يحتفظ بعلاقات طيبة مع جماعة الاخوان ويمكن القول ان عهد الرئيس محمد حسني مبارك كانت الفرصة الحقيقية الى بروز الاخوان فيها كقوة سياسية مؤثرة وقد نجحوا في الحصول على عدد مهم من المقاعد في البرلمان .

المرحلة الرابعة ١٩٨٠-عوامل الازدهار والانحدار :

شكلت الاحداث التي شهدتها المنطقة العربية فرصاً جديدة غير مسبوقة للتيارات الدينية ولاسيما في أعقاب الثورة الإسلامية في إيران بزعامة الامام الخميني . ولكن بدلاً من التقاء التيارات الاسلامية مع بعضها في دعم حركة التعاون بين الدول الاسلامية فان احداثاً هامة أعاقت التقدم في هذا الاتجاه ولعل من أهمها .

١- الحرب العراقية – الايرانية التي اهلكت الضرع والنسل ودمرت الشعبين العراقي

والايراني كما ضيعت فرص التنمية المستدامة في البلدين واهدرت ثروات هائلة وطاقات بشرية لايمكن تعويضها .

٢- قرار القيادة العراقية بغزو الكويت الدولة العربية العضو في الجامعة العربية والأمم المتحدة والتي كانت أقرب جيران العراق اليه . لقد كان ذلك القرار خاطئاً وقاتلاً للعراق واللحق أشد الأضرار بالعمل العربي المشترك .

٣- حرب الخليج الأولى والثانية والاحتلال الأمريكي للعراق وتداعياته على الشعب العراقي لقد كانت تلك الحروب قاسية ومدمرة للبنية التحتية العراقية شملت كل أوجه الحياة المدنية وقد استهدفت الولايات المتحدة من خططها التدميرية للعراق إعادته إلى عصور ما قبل التاريخ (كما صرح بذلك جيمس بيكر وزير خارجية الولايات المتحدة) واخراجه كلياً من أي دور مؤثر في منطقة الخليج ومن مجال الصراع العربي –الاسرائيلي . وكانت اهداف تلك الحرب تتمحور في السيطرة على منابع النفط في المنطقة والبدأ بتطبيق خطة جهنمية لاتشمل العراق وحده وانما كافة دول الطوق وهي العراق ومصر وسوريا وتشمل الخطة الامريكية تقسيم الاقطار العربية وتفتيتها والعمل على اضعاف مصر ودورها القيادي في المنظومة العربية .

٤- فشل الحكومات العربية في المحافظة على استقلالها وسيادتها الوطنية وانعدام مشاريع جدية في مجالات العمل العربي المشترك فضلا عن فشل هذه الحكومات داخلياً من خلال اقامة انظمة سلطوية لاتؤمن بالديمقراطية وخيار التعددية وحقوق الانسان وتكافؤ الفرص هذا فضلاً عن ان هذه الانظمة تعاني من الفساد والتخلف . وفي هذا المجال فشلت كافة الاحزاب القومية في تأسيس انظمة عصرية متقدمة .

٥- دور الأحزاب الإسلامية عابرة القارات والفشل في استراتيجية بعض الدول العربية التي ساهمت في خلق حركة الجهاد الراديكالية في افغانستان ضد السوفيت الشيوعيين والتي كانت البذرة الاولى في بروز التيارات الاسلامية المتطرفة وهكذا اصبحت طالبان هي البؤرة التي انتجت حركات اسلامية متطرفة اخرى مثل القاعدة والتي نقلت نشاطاتها الى العراق وسوريا وعدد كبير من دول العالم وقد نشأة «داعش» من حواضن منظمة القاعدة وبسرعة مذهلة تمكنت من احتلال اراضي شاسعة في سوريا والعراق تحت شعار الدولة الاسلامية واصبحت تهدد الأمن والاستقرار في منطقة الخليج العربي وتسعى بكل الوسائل لابتزاز دول المنطقة بما في ذلك التهديد بأستخدام العنف اسوة بما فعلت في العراق وسوريا .

الموجة الراديكالية المتوحشة وفشل تجربة داعش في الموصل وانهيارها

يمثل احتلال داعش لمدينة الموصل في ذاكرة الموصليين والعراقيين عموماً صفحة سوداء في تاريخهم ونتيجة لاخطاء الحكومات المركزية والمحلية والفشل في تحليل الاوضاع السياسية والدولية لدى الكتل والاحزاب الدينية والمدنية العراقية فقد نجح هذا التنظيم في إقامة

حكم دموي لم يسبق له مثيل في تاريخ الغزوات البربرية والوحشية حتى يمكن القول ان آثار الغزو المغولي بقيادة هولاكو لبغداد عاصمة الدولة العباسية عام ١٢٥٨م تبدو ثانوية قياساً لسياسة الارض المحروقة التي طبقها داعش في الموصل شملت كل شئ على وجه الأرض.

وقد وصف مفكر عراقي من الموصل وهو الاستاذ الدكتور سيار الجميل نتائج حكم تنظيم داعش الراديكالي والمتوحش على المدينة لثلاث سنوات متوالية بما يلي:

«ما جرى قبل ثلاث سنوات جعل ثاني أكبر مدن العراق وملحقاتها تحت بطش أشرس فئة ضالة وشريرة من البشر نجحت في تخريب المدينة وسحق مأثوراتها وحرق جامعاتها ومكتباتها ومتاحفها وتفجير أبرز معالمها وجوامعها وأديرتها وكنائسها القديمة ومن ثم ما اتبع من شراسة لا توصف في حكم العباد إذ قتل من البشر ما لا يحصى عدده وقطعت رقاب نسوة ورجال في ساحة قلب المدينة ونكب جيل بانقطاعه عن الدراسة والتعليم ثلاث سنوات وشتت الناس وجاعوا وتشردوا وتيتم مئات الأطفال فضلاً عن استئصال المسيحيين الموصليين من المدينة واطرافها وطردهم والاستيلاء على ممتلكاتهم وكذا العبث باليزيدية وقتل رجالهم وسبي نسائهم وامتلاك اطفالهم إلى غير ذلك من المخازي التي لم يشهد مثلها التاريخ أبداً .هذا الحدث المأساوي سيسجله التاريخ نقطة سوداء في تاريخ العراق على امتداد الزمن وقد سعى كل الخيرين بالعمل المضاد ضد هذا السرطان الذي اجتاح العراق وكل المنطقة هذا الغول الذي استلب حركة التغيير والثورات العربية ليقلبها الى حالات متنوعة من الفوضى المبرمجة والقتل والبطش وقد انتشر هذا الوباء في اجزاء متعددة من العالم لكي يفرض إرادته بالحديد والنار من خلال التفجيرات والقتل الجماعي سعياً وراء ما سميت دولة الخلافة الاسلامية التي جعلت الموصل عاصمة لها . وقد شهدت عمليات التحرير اهوالاً ولم تزل اذ وقع الناس في المدينة أسرى بأيادي الدواعش الذين خسروا كل مقوماتهم والذين باتوا كالأفعى التي قطع ذيلها وهي تفترس كل الأحياء .

سيسجل التاريخ كيف عاش أكثر من مليوني انسان تحت ظل هذا الوباء البدائي كيف عوملوا بشراسة لاتوصف وكيف مارسوا حياتهم تحت الارهاب المنظم وكيف عاشت المرأة عيشة صعبة لا تطاق وكيف غدت كل الحياة مكبلة بقيود من حديد وكيف قطعت رقاب الناس» .

ووصف مفكر موصلي آخر وهو الاستاذ الدكتور ابراهيم خليل العلاف وهو من جامعة الموصل ايضاً حقبة السنوات من حكم داعش الارهابي والذي عاش حقبة السنوات الثلاثة من حكم داعش الارهابي في الموصل بالقسوة الشديدة وتمثل بسلسلة من الاجراءات التي طالت الكثير من خصوصيات الناس وتقاليدهم وما تربوا عليه منذ سنين طويلة وتمثلت تلك

الاجـراءات بفرض قيود شـديدة علـى الثقافة والتعليـم والفكـر والفن والاتصـالات وخلال السـنوات العجـاف الثلاثـه تحولـت الموصل من مدينــة متنورة ومزدهرة الــى مدينة خاملة كئيبــة وأمــا مؤسســات المجتمــع وتنظيماتهــا المدنية ونقاباتها وجامعاتها ومعاهده العلمية فقد توقفت عن الحياة كما القيت المناهج الدراسـية الرسـمية وفرضت مناهج جديدة في الجامعات والمـدارس كان محورهـا هو السـلاح والقتال والمـوت وأصبحـت المنابـر ابواقـاً للانتحار الجماعي ودعوة الشـباب الى اسـتخدام أقسـى أنواع العنف .

ونجحـت القـوات المسـلحة العراقيـة في تحقيق النصر على تنظيم داعش بعد ان خاضت حرباً شرسـة إلا ان خطر هـذا التنظيم لايزال وسـتبقى افـكاره المتخلفـة والتدميرية تسـعى للعودة من جديد وبصورة قد تكون أكثر فضاعة وقسـوة وسـيحتاج ايقاف تمدد هذا التنظيم الى اسـتراتيجيات فكريـة ودينية ونفسـية لمعالجة آثـاره الاجتماعية والنفسـية والثقافية وترصين الدعـوة للتسـامح والاعتدال والتعايـش الديني والاجتماعي .

دروس وعبر :

يعتقد المفكر المصري الدكتور فؤاد زكريا إن أحـداث الحـادي عشـر مـن سـبتمبر عام ٢٠٠١ كانت لها علاقة مباشـرة بالإرهاب وان محـاولات الدفاع عن الإسـلام وتقديم الصورة الصحيحـة في الغرب لم يكـن لها نصيب كبير مـن النجـاح لان كل الأعمـال الارهابيـة التي وقعت كانت تتقنع وتتحدث باسـم الاسلام وفي الوقت نفسـه لم يبادر بعض المسؤولين ورجال الدين المسلمون القيام بما يتحتم عليهم من كشف وفضـح وزيف ادعاءات هـذه الفرق الارهابية الذين يقومون بأعمال إرهابية باسم الإسلام .

واليوم نرى من الضروري المبادرة الجادة لدراسة ظاهرة داعش من جديد والاسباب التي ادت الى ظهورها وتمددها في العراق وسوريا ومختلف الاقطار العربية والاسـلامية والنتائج الكارثية لسياسـات هـذا التنظيم علـى المنطقة العربية والعالم الاسـلامي والامن والاستقرار في العالم .

ويبـدو ان الاحسـاس المريـر بالتراجـع السياسـي والاقتصادي والعسـكري للشـعوب الاسلامية المعاصر قد دفع كثيراً من الدعاة الى التورط في تحريض المسـلمين على مخاصمة الدنيـا كلهـا والدخـول مع النـاس الآخرين في معركة مواجهة ورغبة في الاستبعاد والاقصاء (د. احمد ابو المجد الدين والدولة ص٦٤٤).

ان فشـل الفكر العربـي المعاصر في إقامة أنظمـة ديمقراطيـة تؤمـن بالحريـة والعدالـة الانتقاليـة والتعدديـة السياسـية وفشـل معظم الحكومـات القائمة في إنتاج برامـج اقتصادية واجتماعية وثقافية تحترم حقوق الانسان وتتلائم مـع تطور العصر والتقـدم العلمي والتكنلوجي

هو الذي شجع الكثيرين ولاسيما الشباب من ركوب موجة التطرف الديني وبالتالي الالتحاق بفرق الموت والذهاب الى درجة الانتحار الجماعي الذي شمل الآلاف من الشباب من مختلف الأقطار الإسلامية فضلاً عن متطوعين ومتطوعات من أكثر من خمسين دولة حول العالم .

وأكد المفكر التونسي صلاح الجورشي على أهمية السعي الجاد لإقناع الأحزاب الإسلامية في التوقف عن مصادرة الإسلام والاعتقاد بانهم الجهة الشرعية الناطقة باسمهم .

وعدم اللجوء الى العنف ومحاولة فرض الآراء والمعتقدات على المواطنين تحت أي غطاء كان فالاحزاب الاسلامية ولاسيما التي عاشت في ظل اللاقانونية فانها بقدر ما تعمل على تعميق الخيار الاصلاحي لديها وتجنب أساليب الاختراق الامني والعسكري لمؤسسات الدولة والتخلي عن السرية التي فرضتها أحياناً مراحل المواجهة والقمع وما ارتبط بها من ازدواجية الخطاب فانها توفر بذلك مناخ الثقة وتسهم بقوة في تعزيز شوط الانتقال الديمقراطي وضرورة ان تحترم الاحزاب الاسلامية الحريات الفردية والعامة وان تميز بوضوح بين مقومات العمل السياسي والنشاط الوعظي الديني لان الخلط بينهما أدى ولايزال الى مشكلات تخص المضمون وحماية الخيار الديمقراطي من أي انزلاق او تلاعب يؤدي الى الغاء التعددية أو تعطيل الحريات .

إن البناء السليم لمؤسسات الدولة وتعهدها بالتطوير وملاحقة وقائع الحياة المتجددة هو الذي يحول دون الاستبداد باسم الدين او باسم غيره ويوجه كل أنشطة الدولة الى ترسيخ مبادئ التعايش وثقافته بين جميع المواطنين مهما يكن بينهم من اختلاف في العقائد الدينية او الايدلوجيه أو في اللون أو العرق او النشأة الاجتماعية ولهذا السبب لايتنازع أحد في أن الدولة هي التي لها صلاحية المحافظة على حقوق الفرد وحريته بالمعايير المتعارف عليها في مجتمع التعايش المعاصر .

ما ينقذنا من الآثار المدمرة لما نتوهمه حرباً بين الدين والدولة أو تنافساً على النفوذ هو التخلي عن شوفينية الرأي سواء كان في فهم الدين أو في نظام الحياة على الارض مع الايمان بان الاختلاف العقدي وفي فهم تفاصيل أحكام الدين وفي فلسفة تدبير شؤون الحياة سنة للانسان ومفروض عليهم التعايش معهم وبالتوافق على هذه المنطلقات لتسهل صياغة مبادئ التعايش بين الدين والدولة والاستفادة المتبادلة بينها .(احمد الخمليشي-علاقة الدين بالدولة و(مؤسسة إمارة المؤمنين في المغرب)

وأشير الى مقدمة مهمة وضعها المفكر العربي المغربي الدكتور عبد الاله بلقزيز لكتاب الدين والدولة في الوطن العربي والذي صدر عام ٢٠١٣ وضم بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي تظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع المعهد السويدي

بالاسكندرية عند وصفه أفضل العلاقات بين الدين والدولة قائلاً :

«ليس يغامرنا شك في أن أفضل العلاقات بين الدين والدولة هي تلك التي تحفظ لها تمايزهما فلا تدع مجالاً للتداخل بين الزمني والديني على النحو الذي قد يفرض فيه أي منهما وصايته على الثاني والفكرة هذه التي ندافع عنها هي خلاصة معاينة انسانية وفكرية طويلة للأثمان الفادحة التي دفعها الدين والدولة معاً من إقامة التداخل والمماهاة بينهما في لحظات معلومة من التاريخ السياسي فلقد جر تدخل رجال الدين في السياسة والدولة او تدخل السياسيين فيها باسم الدين الى كوارث على المجتمعات واستقرارها وعلى السلم المدني من افرادها وجماعاتها مثلما جر تدخل الدولة في الدين كوارث عينها سواء كان باسم السيطرة عليه ام باسم نبذه واستبعاده وما أغنى مجتمعاتنا العربية اليوم عن أن تعيش مثل تلك الكوارث وتعاني آثارها في الدين والدولة معاً .

ان تدخل بعض الدول العربية باسم الدين في افغانستان بالتعاون مع أجهزة مخابرات غربية قد ساعد على تطرف الجماعات الراديكالية فانطلقت من عقالها لتدمير افغانستان نفسها ثم الانتقال لتدمير أقطار عربية وإسلامية عديدة وقد نجح العراق وبتضحيات هائلة بشرية ومادية في تحرير الموصل والاراضي العراقية المحتلة الأخرى ولكنه سيحتاج الى فترة طويلة من اجل اعادة الاعمار واعادة ملايين النازحين فضلاً عن معالجة الافكار المتطرفة التي انتشرت في حقبة سيطرة تنظيم داعش الارهابي على الموصل. نحن بحاجة الى جهود اقليمية ودولية مكثفة من اجل وضع استراتيجية دولية تشترك فيها الأمم المتحدة والمنظمات الدولية أولاً لايقاف انتشار هذه المنظمة الراديكالية العنيفة وثانياً من اجل تقديم دعم مادي الى الاقطار المتضررة ولاسيما العراق وسوريا . ومن ناحية اخرى فان جهود مهمة يجب ان تبدأ من قلب الدول العربية والإسلامية التي اصابها هذا السرطان وان يبدأ الاصلاح من البيت والمدرسة والمجتمع وإقامة انظمة سياسية عربية واسلامية على اسس من الحكم الرشيد تتلائم وروح العصر وتؤمن باهمية التغيير من أجل حياة أفضل .

أما عن علاقة المسلمين بغيرهم فهذه القضية بنظر المفكر العربي المصري احمد أبو المجد بالغة الأهمية وعلى فهمها الصحيح يتوقف مستقبل العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الإسلامي الواحد ومستقبل العلاقات بين المسلمين وغيرهم من شعوب الأرض ... ويتمثل الخطأ في إقامة سور نفسي واجتماعي يحاصر بين المسلمين وسائر الناس وإقامة سور آخر بين المسلمين بعضهم البعض داخل المجتمع الواحد فتكون عاقبة ذلك «محاصرة» المسلمين داخل حوزات مغلقة تحول دون تواصلهم مع غيرهم وتتركهم في عزلة تضر بهم وبالناس جميعاً وتمنح شرعيه كاذبة

للدعـاوي التي تملأ الدنيا مـن حولنا هذه الأيام زاعمة ان الاسـلام يضع أتباعه في حالة جهاد ديني مقدس متواصـل الحلقات ضد من لايدين بدينهـم ولا يرى رأيهم وأنهم سـيظلون – لذلك غرباء عن مسيرة الانسانية المعاصرةٍ . (الدين والدولة في الوطن العربي ص٦٤٢)

في نهاية الأمر ينبغي معالجة الأسباب التي تقود الى صناعة الإرهاب وتناميه وكشف منابعه وتصديـره للقضاء على الارهاب المتنامي في العالم بصورة عامة ومنطقة الشـرق الأوسـط بصـورة خاصـة .ويتطلـب هذا الامـر تعاون الجميع (دولاً ومنظمات ومؤسسـات وافراد في الغرب والشـرق) من اجل وقف تنامي قدرات الجماعـات الإرهابية المتطرفـة حجم التدهور الأمني الذي ربما يتسع نطاقة في الغد القريب.

مصادر مختارة

د. أشواق عباس «أزمة بناء الدولة العربية المعاصـرة مقاربـة نقديـة لمفهـوم الإصـلاح إشـكالية التكامـل العقلانـي» مركز دراسـات الوحدة العربية . بيروت ٢٠١٦

د.خيـري الديـن حسـيب «أوضـاع الأمة العربية ومسـتقبلها –مسـيرة وطن .. من خلال مواقـف مفكر ٢٠٠٦-٢٠١٦ مركز دراسـات الوحدة بيروت ٢٠١٦.

مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة «الدين والدولة في الوطن العربي» بحوث ومناقشـات النـدوة الفكريـة التـي نظمها مركز دراسـات الوحـدة العربية بالتعاون مع المعهد السـويدي بالإسكندرية . بيروت ٢٠١٣ .

فؤاد زكريا (فيلسوف العقل) . نشرة منارات الملحق لصحيفة المدى العراقية العدد /٣٧٥ في ٥ تشرين أول ٢٠١٦ .

مركز دراسـات الوحـدة العربيـة بيروت «مستقبل الاسلام السياسي» بحوث ومناقشات النـدوة الفكريـة التـي نضمها مركز دراسـات الوحـدة العربية بالتعاون مع المعهد السـويدي بالإسكندرية .بيروت ٢٠١٤

د. هاشـم الملاح ود.ابراهيـم خليل العلاف –(نهـوض الموصـل) من بحـوث مؤتمر بيت الحكمـة بمناسـبة يـوم النصـر تحـت عنوان (الإدارة السياسـية والأمنيـة والاجتماعيـة والاقتصاديـة للموصـل والمناطـق المحـررة /١٣-تموز-٢٠١٧)

وليد كاصد الزيدي «الاسـلاموية المتطرفة في أوربا دراسـة حالة الجهاديين الفرنسيين في الشـرق الأوسـط «. المركز العربـي للابحاث ودراسة السياسات بيروت-٢٠١٧.

ظاهرة الرئيس الفرنسي ماكرون
وتداعياتها على السياسات الفرنسية والأوربية والشرق الأوسط

د. وليد كاصد الزيدي(*)

المقدمة

إنفـردت الانتخابـات الرئاسـية الفرنسـية التـي جرت بجولتين في نيسـان/ مايس ٢٠١٧ وتنافس فيها احدى عشر مرشحابميزة أساسية، وهي انعدام القطبية ، تلك التي ميزت الرئاسات الفرنسـية لأول مـرة فـي تاريـخ الجمهوريـة الخامسة. ولعلإنتهاء التنافس القطبي الثنائي بين معسكر اليمين ومعسكر اليسار يتجلى -بأوضح صـوره- في بـروز ظاهـرة المرشـح مانويل ماكـرون الذي يعـدّ فعـلاً مفاجـأة الانتخابات الرئاسية الفرنسية الأخيرة.

ورغـم أن ماكـرون وضـع نفسـه فـي مواجهـة اليسـار القديـم واليميـن القديـم، فهو ليس شعبويا يسـاريا أو يمينيـا. بـل ينتمي إلى اليسار عاطفيا وفكريا، ولكنه يرفض «السياسة الطبقية» التقليدية(١).

ماكرون الفائز بالرئاسـة ، لـم يكن -إلى وقتٍ قريب- معروفـاً لدى عامة الفرنسـيين أو لدى أبـرز المراقبين، وإن شـغل منصب وزير في حكومة هولانـد ثم قدم اسـتقالته من المنصب، وهو ما يشـجع على قراءة هذه الظاهرة سياسيا واقتصاديـا واجتماعيا ولاسـيما تداعياتها على فرنسـا خاصة وأوربـا عامة، وبحـث الجذور الحقيقية التي أفرزت المشـهد الانتخابي الجديد وصاغت خصائصه.

وبعد خروج بريطانيا من الاتحاد الاوربي على اثر اسـتفتاء نُظم لهذا الغرض ، ثم فوز ترامب بانتخابات الرئاسـة الاميركية ، أعلن ماكرون عن ترشـحه للانتخابات الفرنسية، فكان تحولاً كبيراً وبمثابة دعوة لايقاظ السياسـة (٢) لفرنسية من غفوتها ، ما دفع الفرنسـيين إلى البحث عن مرشح جديد يعمل على تغيير المعادلة السياسية ويمكنه التصدي والتغلب على مرشـحة اليمين المتطـرف، مارين لوبـان، فظهـر ماكـرون ليصبح قائد الرد الفرنسي على موجة الشعبوية واليمين المتطرف.

وهكـذا فقـد أصبحـت الانتخابـات الرئاسـية الفرنسـية ومخرجاتها بتولي ماكرون الرئاسـة تمثّـلْ نقطة تحول بعد الاسـتفتاء على الخروج من الاتحاد الأوروبي في بريطانيا،والانتخابات الرئاسـية بالولايات المتحدة في عام ٢٠١٦ في حين أنها اعتبرت ظاهرة فريدة من نوعها على

(*) باحث سـابق في كلية الدراسـات الاجتماعيـة العليا بباريس- فرنسا (EHESS)

مستوى العالم لعدة اسباب سوف أتناولها في هذه الدراسة، التي سأتطرق فيها أيضا الى شخصية ماكرون وحظوظه قبل الانتخابات بتتبع بعض الاستبيانات التي نُظمت قبل الانتخابات،كذلك سأبين أهم الجوانب التي تضمنها برنامج ماكرون وما وعد به في حملته الانتخابية.

وخصَصتُ فقرة لبيان كيفية نشوء ظاهرة ماكرون وصداها العالمي وما الجديد في هذه الظاهرة ؟

ثم تناولت في فقرة أخرى أهم مخرجات ظاهرة ماكرون وتأثيراتها في السياسات الفرنسية الداخلية والدولية ولا سيما الأوربية وتلك المتعلقة بالشرق الأوسط.

بعدها أُختتمت الدراسة بخلاصة لما جاء فيها ، وقدمتُ رؤية على واقع ومستقبل ظاهرة ماكرون ومدى امكانية انتشارها في بقية البلدان وبخاصة الاوربية ، أم أن ماكرون سيواجه صعوبات مثل ما هو متوقع سوف يؤدي الى خفوت جذوة ظاهرته وإعادة حزبه الى صف الاحزاب التقليدية الفرنسية التي فشلت فشلاً ذريعاً في الانتخابات الأخيرة ٢٠١٧ ؟

أولاً- شخصية ماكرون وحظوظه قبيل الانتخابات

من هو ماكرون وكيف تدّرج في المناصب؟

في البدء ، لا بد لنا من تناول شخصية ماكرون والتعريف به قبل الخوض في تفاصيل ظاهرته التي تجاوزت الآفاق خارج فرنسا.فماكرون، لم يكن سنه قد تجاوز الـ ٣٩ عاماً عندما فاز بالرئاسة ليصبح أصغر الرؤساء الفرنسيين سناً على الاطلاق.وهو لم يكن شخصية سياسية بارزة، كما انه لم يترشح في أية انتخابات من قبل، ولكن صعود نجمه السياسي أصبح يُشكل ظاهرة كونية،وهو يعّد الرئيس الأصغر لفرنسا منذ عهد نابليون بونابرت(٣). لدى ماكرون العديد من الشهادات الأكاديمية، بدأها بمدرسة «هنري (٤)»(Lycée Henri-IV)، ثم درس الفلسفة في جامعة «ناتري»، وإنضم إلى مدرسة النخبة «المدرسة الوطنية للإدارة»،ثم التحق بمدرسة «العلوم السياسية» في باريس عام ٢٠٠١، بعدها درس في «المدرسة العليا للإدارة» في مدينة ستراسبورغ.

أصبح بعد تخرجه مصرفيا مختصا بالاستثمارات، ولدى ممارسته العمل المهني في مجال المال والأعمال ، تراكمت لديه خبرة في تسيير البنوك، وعَمِلَ لعددٍ من السنوات في مجال الاستثمار في مؤسسة روتشيلد المالية ،قبل أن يصبح مستشارا ماليا للرئيس السابق فرانسوا هولاند عام ٢٠١٢،ثم يُعيّنْ في منصب وزير الاقتصاد والصناعة والشؤون الرقمية عام ٢٠١٤,٤وفيحوار مع جريدة «لوموند» الباريسية ، علق ماكرون عن خبرته البنكية قائلا:» لقد تعلمت مهنة، وإكتشفت كيف يسير عالم المال والاقتصاد.»(٥)

أسس حركة سياسية أطلق عليها إسم «إلى الأمام» (En Marche!)، وعندما قرر تأسيس حركته هذه ذات التوجهات الوسطية التي وصفها بأنها «لا يسارية ولا يمينية» في نيسان / أبريل ٢٠١٦،أصبح وجوده في الحكومة الاشتراكية أمرا غير ممكنا،لذا قدم استقالته من الحكومة، وإستقطب الآلاف من الشباب الفرنسي، ثم أعلن بعد ذلك ترشحه للانتخابات الرئاسية الفرنسية،

مرشـحا مسـتقلا، بعد أن رفض الترّشح تحت مظلة «الحزب الاشتراكي».

ماكـرون متـزوج مـن مدرسـته السـابقة بريجيـت ترونيـو التي تكبره بأربع وعشـرين عاما، التي التقاها عندما كان في سـن الخامسة عشرة.وبحسـب المقولـة الشـائعة على لسـان نابليون «وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة»، فإن زوجة ماكـرون وقفت إلى جانبه في جميع مراحل حياته السياسية والأكاديمية والمصرفية حتى وصل الى سدة الرئاسة الفرنسية[٦].

صـورة للرئيس ماكـرون أثنـاء حملته الانتخابية

واقع و حظوظ ماكرون قبيل ترشـحه للرئاسة قدم ماكرون نفسـه على أنه خـارج الأحزاب، إلا أنه حصل على دعم بعض الشـخصيات في اليمين واليسـار، حتى إن كثيرين يعتقدون بأن هولاند دعمه سـراً،وفاجأ ماكرون منافسيه من خـلال الحصول على تأييد سياسـيين منشـقين عن يسـار الوسط ويمين الوسـط، فضلاً الدعم الخارجي ولا سـيما الاوربـي نظراً لطروحاته الداعمة لأوربا الموحدة والاتحاد الاوربي.

لم تكـن لماكرون حظوظ تذكر للفوز برئاسـة فرنسـا، نظرا لكونه مرشحا مسـتقلا بلا قاعدة حزبية، ورجل تكنوقراط بالأسـاس لم يُنتخب سـابقا، فيما كانت كافة التوقعات تشـير إلى أن المنافسة ستكون محصورة بين رئيسة «الجبهة الوطنية» ماري لوبان، ومرشـح يمين الوسـط فرانسـوا فيون، لكـن مع إتهام فيـون بفضيحة ماليـة، ظهـر ماكـرون فـي موقـع محـوري كبديـلاً له[٧].وقد أظهرت اسـتطلاعات الرأي قبـل الانتخابـات الرئاسـية الفرنسـية عن دقة ملحوظة بمقاربة الارقام الحقيقية التي أظهرتها الانتخابـات، فقد كشـف اسـتطلاع رأي أجراه معهـد «إبسـوس» لصالح صحيفـة «لوموند» أن ماكرون سـيفوز فـي الانتخابات الرئاسـية بنسـبة ٦٣٪، مقابـل ٣٧٪ لصالـح منافسـته مارين لوبان، مرشـحة حزب الجبهة الوطنية. وهي أرقام مقاربة لتلك التي أظهرها استطلاع أجراه «المعهد الفرنسـي للرأي العام» ، كشف أن ماكرون سـيحصل علـى ٦٢٪ مقابل ٣٨٪ للوبان.في حين رأى نحو ٦٣٪ من المسـتطلعة آراؤهم أن مرشح الوسط ماكرون كان «الأكثر إقناعا» من منافسـته لوبان لـدى المناظرةالتي جـرت بينهمـا قبيـل إنتخابـات الجولـة الثانية للرئاسة[٩].

في حيـن تمخضـت النتائج النهائيـة عن فوز إيمانويـل ماكـرون بالرئاسـة بحصولـه على ٦٦,١ ٪ مـن الأصـوات، مقابـل ٣٣,٩ ٪ لمرشحة اليمين المتطرف مارين لوبان.

صورة توضح نسبة فوز ماكرون الى لوبان

المصدر : وزارة الداخلية الفرنسية

كانت شـعبية ماكرون في اسـتطلاعات الرأي ضمن انتخابات الجولـة الاولى التي جرت في أبريل/نيسـان ٢٠١٧لا تتجـاوز ٢٠٪. وكانت هذه النسـبةلا تبـدو كافية للانتقال إلـى الجولة الثانيـة من الانتخابات التـي جرت مطلع مايو/ أيـار من نفـس العـام ، عندما واجـه ماكرون مارين لوبان اللذان حصلا على أعلى الأصوات لتحديد الفائز بالرئاسة.

وعلـى النقيض مـن بقية المرشـحين ، كانت حملـة ماكـرون إيجابيـة؛ فهـو غالبـا تجنـب الهجمات الانتقادية على المرشـحين الآخرين، ويسـوق حجـة مفادهـا أن فرنسـا يمكنهـا أن تكسـب من الإصلاحات التعاونيـة أكثر مما قد تكسـبه من إعلان الحرب على «الخبراء»، أو الصحفيين،أو أصحـاب رأس المال، أو العمال النقابيين، أو المهاجرين، أو غيرهم.

كمـا مثّل فشـل الرئيـس الاشـتراكي هولاند فـي الخروج بفرنسـا مـن أزمتهـا الاقتصادية والاجتماعية الخانقة، عاملاً دافعا للمرشح الجديد من أجل تحقيق هدفين لا ينفصلان: يتمثل الأول في الإبقاء ولو رمزيا على انتمائه الاشـتراكي، كونـه خرج أولا من البوابة الاشـتراكية للحياة السياسية الفرنسية بعد أن دعمه الرئيس هولاند فـي الحصول على مناصـب مرموقة ، ومن ثم منحه فرصة دخول المعترك السياسي العام.

وأمـا الهـدف الثاني فيتمثـل في القـدرة على مغادرة المعسكر الاشتراكي الى تيار وسطي ، مما يسمح له بعدم تحمل تبعات النتائج الكارثية لحكم الاشتراكيين، والقدرة على المناورة أيضا داخل المعسكر اليميني المقابل.

أما مـن زاوية المعسـكر اليمينـي فقد أعطت الفضائـح المالية والإعلامية للمرشح فرانسـوا فيـون دفعة كبيـرة لحظوظ ماكـرون من أجل احتلال مركز متقدم في الانتخابات،فقبل أسابيع قليلة سـبقت الانتخابـات، كان فيون يُعد الأوفر حظـا للفوز بالرئاسـة قبل أن «يُغتـال إعلاميا وانتخابيا» كما عبَّر هو عن ذلك في مناسـبات عديـدة، مؤكـداً تحالف قوى مختلفـة لمنعه من الوصول إلى كرسي الرئاسة(١٠).

وفقا لهـذه التوجهـات، مثّل ماكـرون صورة مغايـرة للشـعبويين فـي برنامجـه وخطابـه الانتخابـي؛ ولاسـيما مع مارين لوبان زعيمة الجبهة الوطنية (ابنة الزعيم التاريخي للحزب) فمن خلال توظيف الحجج المبنية على الحقائق ومخاطبـة القيم الإنسـانية والديمقراطية، هاجم وانتقـد ماكـرون إطروحات لوبـان التي كانت غير معبرة عن المزاج العام للناخب الفرنسـي، بسبب التكرار الممل لشعارات الانتخابية التي لـم تخرج عـن معـاداة المهاجريـن، والعرب والمسـلمين، وتحميلهـم كل أسـباب الأزمـات الاقتصاديـة والامنية التي تمر بهـا البلاد. هذه

الشـعارات المتناقضـة تمامـا مـع اطروحات ماكـرون، ما أدى الى تفوق برنامجه الانتخابي على برنامج مارين لوبان المتطرف.

لذا وصفت الاوسـاط الفرنسية ماكرون عندما تأهل للجولة الثانية، بأنه سيُشكّل تهديدا لمارين لوبان أكبر مما قد يفرضه أي مرشـح آخر. وقد يكون هو الشخص المعطِّل لمخططات «القومية الدولية» التي تعد لوبان أحد أعمدتها[١١].

ثانياً- برنامج ماكـرون وما الذي وعد به قبل الانتخابات

قبـل ثلاثة أشـهر فقط من الانتخابـات ، كانت قِلـة فقط مـن المراقبين يرون أنـه ربما يحظى بفرصـة مقبولة ، ولكنه سـرعان مـا نجح في تجميـع فريق قوي وحشـد الدعم بيـن الناخبين الشـباب ، وإسـتهدفت حملته أصوات الناخبين مـن مختلـف مكونـات المجتمـع ولا سـيما الشـباب،كما تواصل مع العمال الذين يشعرون بأن «النظام» خانهم وأصبحوا مهددين بالعولمة والتقنيـات الجديدة.فوعد ماكرون بتحقيق ثلاث أولويات ، ولعل الصلاحيات الواسعة الممنوحة لرئيس الجمهورية في فرنسا تمكنه من نساعده كثيرا في تحقيق برنامجه:

أولاً، فـرض معاييـر أخلاقيـة علـى الحيـاة السياسـية. ثانياً، إصلاح قانـون العمل، وثالثاً، تعزيـز سـبل مكافحـة الإرهاب.فقـد أعطـى الأولوية لمبدأ سُـميّ «تخليق» الحياة السياسية الفرنسـية، وإعادة المصداقيـة والمكانة للنخبة السياسـية، بعـد أن شـابت الحملـة الانتخابيـة الأخيرة شبهات كثيرة بالفساد لاسيما مع مرشح اليميـن المحافظ فرانسـوا فيـون، ومرشـحة «الجبهـة الوطنية»، مارين لوبـان، رغم ذلك فإنهما لم ينسحبا من سباق الانتخابات الرئاسية. ولغـرض تحديد مـا تضمنه برنامـج ماكرون الانتخابـي أتناول فـي أدناه عدد مـن مجالاتها المهمة:

١- سياسياً

أعلـن ماكرون عزمه على إعادة ترتيب الحياة السياسـية المتأثرة سلباً بفضائح إستغلال النفوذ عبر»منـع البرلمانيين والـوزراء من توظيف أبنائهـم وأقاربهـم» مثلاً، في محاولـة لتجاوز الفضيحـة الماليـة والعائليـة لمرشـح اليميـن فرانسـوا فيون، وسـعيا منه إلى استعادة بعض الثقة التي فقدها السياسـيون الفرنسـيون خلال العقود الأخيرة»بسـبب تفشـي ظواهر التهرب الضريبـي واسـتغلال النفـوذ والإثـراء غيـر المشروع.

لـذا إقتـرح ماكـرون قانونًـا يلغـي توظيـف المنتخبيـن والـوزراء لأفـراد مـن عائلاتهم، وحصـر ولايـات المنتخبين في ثـلاث ولايات فقـط، إضافـة إلى خفض عـدد النواب بنسـبة الثلث، كما أن الترشح لأي ولاية انتخابية ينبغي أن يتطلب سجلا جنائيا أكثر دقة.

٢- إقتصادياً

علـى المسـتوى الاقتصـادي، وعـد ماكرون بتوفيـر ٦٠ مليـار يورو من خلال الاسـتغناء عن ١٢٠ ألف منصب فـي الوظيفة العمومية، ويسـعى الى ضخ ٥٠ مليارا في الاستثمارات، خاصة مجـال الطاقات المتجددة، التي سـتوفر لهـا مبلغا يقدر بـ١٥ ملياراً لكي تسـاعد على خلق آلاف من فرص العمل الجديدة.

وعد بإطلاق برنامج اسـتثماري حكومي تبلغ

قيمتــه ٥٠ مليــار يورو للانفاق علــى التدريب والتخلــي عــن الفحم لصالــح اســتخدام موارد الطاقــة المســتدامة، والبنيــة التحتيــة وتحديث الاقتصاد الفرنسي.

توجــه نحو إجــراء خفض كبير فــي ضرائب الشــركات، وفســح المجال لهــا للتفاوض حول ساعات العمل الأسبوعية للعمال.

خلق ماكرون لنفســه ســمعة بفضل ما سُميّ بـ «قانون ماكرون»[١٢] الذي صاغه، وهو قانون اصلاحــي مثير للجدل يســمح للمتاجر بمزاولة اعمالهــا ايام الأحد اكثر ممــا يتمكن في الوقت الحاضــر ويرفــع العديــد من القيــود الحكومية المفروضة على بعض من القطاعات الصناعية وسيسعى ماكرون للإبقاء عليه وتفعيله[١٣].

وبينما شعر قطاع الاعمال في فرنسا بالارتياح ازاء البرنامج الذي اختطه ماكرون، إلا أنه آثار معارضة مــن جانب الجناح اليســاري للحزب الاشتراكي الحاكم.

٣- اجتماعياً

يضع ماكرون محاربــة البطالة كأولوية، وهو الــذي وصف فرنســا، خلال الحملة الانتخابية، بأنهــا البلد الأوروبي الوحيد الــذي لم يجد حلًّا بعــدُ لمعضلــة البطالة المســتفحلة. لــذا توخي خفض نسبتها الى ٧ ٪ (تبلغ هذه النسبة في ذلك الوقت ٩,٧ ٪).وهذا ما دفعه إلى تطبيق صارم لقانون الشغل الجديد[١٤].وفي أدناه جدول بياني يبين نســب البطالة خلال ١٢ عاماً الماضية في فرنسا.

كمــا أن الرئيــس ماكرون وعــدَ، في إطار مشــروع قانون بشــأن المالية وتمويل الضمان الاجتماعــي، خفضــاً تدريجيــا للضرائب على الشــركات من ٣٣٪ إلى ٢٥٪، كما هو معمول بــه في معظــم البلــدان الأوروبيــة. إضافة إلى إعفــاء نحــو ٨٠ ٪مــن البيــوت الفرنســية من ضريبة الســكن ، وهو إجراء ســيقابَل بارتياح كبير بين أوساط الطبقات الشعبية والمتوسطة.

يعكف على دعم تدريس العلمانية في المدارس وتأهيل أئمة المساجد.

يعتزم ماكرون الغاء انظمة التقاعد في فرنســا وتوحيدها في نظام واحد.

ومن أكبــر الإصلاحــات التي يعمــل الرئيس الجديد على البدء في تنفيذها هي إصلاح التعليم الابتدائي، باعتباره العمود الفقري للتعليم ككل.

قدم برنامجاً خاصاً بتطوير الضواحي وقضية الاندماج، إذ يولي عمليــة الاندماج الاجتماعي في الضواحي الفرنســية الأهمية القصوى التى تســتحقها. هــذه الضواحــي التي تمثــل البؤس والتهميــش والتى تشــكل أرضية خصبة لجميع أنــواع التطرف بالأمس واليــوم، والتى توظّف من قبل أعداء فرنســا للدفع باتجاه نشر مثل هذه الراديكاليات الدينية والعنصرية[١٥].

٤- أمنياً

تعهــد بإنشــاء قــوة شــرطة داخليــة جديدة وتوظيــف أكثــر من عشــرة آلاف رجــل أمن وشــرطة إضافيين،وفــرض خدمــة عســكرية الزامية لمدة شــهر[١٦]، والانضمام لجبهة دولية ضــد الارهاب،وتوفير ١٥ ألف مكان جديد في الســجون، في مســعاه الى استقرار امني افضل وهي محاولاتٍ لكسب الناخب الفرنسي المتذمر مــن آثــار التــردي الامنــي وازديــاد العمليات الارهابية داخل فرنسا في السنوات الاخيرة.

٥ـ ثقافياً

يسعى ماكرون الى إتاحة الفرصة للجميع من أجل الوصول الى منابع الثقافة ، وفتح المكتبات العامة أيام الآحاد وفي المساء، كذلك منح اشتراك مجاني بقيمة ٥٠٠ يورو للشباب بسن ١٨ سنة فما فوق لتمكينه من ممارسة الانشطة الثقافية التي يرغب فيها : (مسارح سينما ، حفلات، كتب وموسيقى)،فضلا عن انشاء صندوق استثماري بقيمة ٢٠٠ مليون يورو لدعم الانشطة الثقافية والابداعية الفرنسية.

كل هذه النقاط الأساسية وغيرها من الاقتراحات التي تضمنها برنامج ماكرون لا تختلف في الحقيقة اختلافا جذريا عن برنامج بقية المرشحين، لأن مقياس هذه المبادرات والاقتراحات هو قابليتها للتطبيق بناءً على الإمكانات المادية والاجتماعية للدولة، ثم بناءً على السياق الأوروبي والعالمي الذي تتحرك داخله فرنسا.

ومن الجدير بالاشارة ، انّ انتخاب ماكرون وفوزه بالرئاسة كان في جزء كبير منه يهدف الى قطع الطريق على مارين لوبان مرشحة اليمين المتطرف، تلافياً في أن تغدو فرنسا أول دولة غربية كبرى يحكمها اليمين المتطرف. وهكذا، فقد واجهت مارينلوبانما يُسمى بـ(السقف الزجاجي)[١٧]. والمقصود في حالة «الجبهة الوطنية» محاولة منع لوبان من الوصول إلى رئاسة الجمهورية لأسباب تتعلق بتطرف حزبها وماضيها وبالاسم الذي تحمله.

ولا بد لنا القول ، إنّ ليس جميع الوعود الانتخابية التي قطعها ماكرون سوف يعمل على تحقيقها وهو ما يحدث غالبا في معظم الحملات الانتخابية في العالم ، ففي مجال السياسات الدفاعية، إقترح ماكرون زيادة الإنفاق إلى ٢ ٪ من الناتج الوطني الإجمالي قبيل الانتخابات ، وهو مطلب ملح للولايات المتحدة وغيرها من الدول الأعضاء في حلف شمال الأطلسي.إلا أنّ الحكومة الفرنسية التي يرأسها أحد مرشحي «حزب الى الامام» الماكروني ، عملت على خفض موازنة الدفاع وبواقع ٨٥٠ مليون يورو خلال العام الجارى[١٨]، ما أدى الى اعلان يير دو فيلييه قائد القوات المسلحة الفرنسية استقالته وذلك بعد أيام من خلاف علني مع الرئيس ماكرون حول اقتراحات بخفض ميزانية الدفاع[١٩] وفي نفس السياق، يتهم مناوئو ماكرون بأن برنامجه يسعى لإرضاء أكبر عدد من الناس ليس إلا، وبأنه لن يكون قادراً على الحكم الذي يتبناه لأن النظام السياسي في فرنسا رئاسي / برلماني[٢٠]، والأحزاب يبقى لها سلطة في البرلمان وإنْحصل حزب ماكرون على أغلبية مقاعده.

ثالثاً- كيف أصبح ماكرون ظاهرة عالمية ؟

نشأة الظاهرة

يمثل صعود ماكرون ظاهرة سياسية حقيقية في المجتمع الفرنسي. فهوفي البدء يعكس رغبة التجديد والانفتاح رغم وصف منافسيه له بأنه «مرشح البورصة» أو«أوليغارشيا المال»، أو أنه «الطفل المدلل» للوسائل الإعلامية القوية ولأرباب العمل. وتذهب منافسته مارين لوبان أبعد من ذلك فلا تتردد في وصفه بـ«مرشح الخارج» و«المجموعات الإسلامية» و«المهاجرين»، وتتهمه بالتخلي عن «الهوية الفرنسية»، إلى غير ذلك من النعوت التي يراد

منها نزع الشرعية عنه . كذلك رأى كثيرون أن ماكرون مجرد «هالة إعلامية» أو «مرشح افتراضي» أو حتى «صنيعة مؤسسات استطلاع الرأي». وبناءً عليه؛ لن يصمد في السباق الانتخابي لأنه سيعجز عن إثبات وجوده في وجه أحزاب متجذّرة في المجتمع الفرنسي، ولها «ماكيناتها» السياسية والإدارية والتنظيمية[٢١].

وهكذا فقد ظهر ماكرون في صورة المرشح الأبرز للرئاسة ، وتتمثل ظاهرته بعنصر مفاجأة أكثر جلاءً باعتبار قُصرْ تجربته السياسية مقارنة ببقية المرشحين، وحتى صُغر سنه مقابل كبار الساسة المخضرمين.

لا يمكن من ناحية أخرى أن نغفل أن الظاهرة السياسية للمرشح ماكرون لا تستمد وجودها في الحقيقة من المرشح نفسه بقدر ما تستمده من خصوصية السياق الفرنسي انتخابيا وسياسيا واقتصاديا، ومن خصوصية السياق الأوروبي والدولي بشكل عام. أي أن دور العوامل الخارجية كان حاسما في دفعه إلى الفوز بالسابق الرئاسي فجأة.

لم يكن لأبرز مراكز البحوث ومعاهد سبر الآراء أن تتوقع بزوغ نجم هذا الشاب وبهذه السرعة في إطار السياسية الفرنسية، التي ظلت لعقود محصورة بين كبار السياسيين من اليمين واليسار.

ففي شهر مارس/آذار ٢٠١٦ أعلن ماكرون دعمه لترشح الرئيس الاشتراكي الحالي فرانسوا هولاند لرئاسة ٢٠١٧، لكنه بعد ذلك بشهرين أنشأ حركة «إلى الأمام» معلنا عزمه الترشح إلى الرئاسة ، وقد عُدّت هذه الخطوة -لدى المعسكر اليساري حينها- خيانة للعائلة الاشتراكية الفرنسية عامة.

لم يكن ماكرون من قبل قط سياسيا أو حزبيا. وقبل ثلاثة أشهر فقط من الانتخابات ، كان قِلة فقط من المراقبين يرون أنه ربما يحظى بفرصة معقولة. ولكنه سرعان ما نجح في جمع فريق قوي وحشد الدعم بين الناخبين الشباب[٢٢].

مع ذلك، كان ماكرون قد شغل منصب «وزير الاقتصاد والصناعة والاقتصاد الرقمي» خلال ٢٠١٤-٢٠١٦، وتولى قبلها منصب نائب الأمين العام للرئاسة ٢٠١٢-٢٠١٤، وهي كلها خطوات مكنّته من الحصول على موطأ قدم داخل أروقة السياسية الفرنسية.

لقد ساعدت الخلفية المالية والمصرفية لماكرون في صعوده السريع والمفاجيء أمام منافسين كبار في مجال السياسة ، ومن ثم بروزه كظاهرة عالمية.

الجديد في ظاهرة ماكرون

فضلا عن الفوز غير المتوقع لماكرون بالرئاسة والذي سبق التطرق اليه اعلاه ، فإنّ الانتخابات التشريعية تُعد العاشرة في تاريخ الجمهورية الفرنسية الخامسة، وهي الاولى من نوعها التي لا تشبه أية انتخابات سابقة ، كما ذكرت مجلة الاكسبريس الفرنسية[٢٣]، وذلك لعدة أسباب ، أبرزها:

- استخدم تحليل البيانات الضخمة Big Data وعلوم التواصل في السباق الرئاسي، وخصص خبيراً تقنيا مرموقاً لادارة برنامجه الانتخابي باستخدام التقنيات الحديثة[٢٤].

- جذب الفرنسيين الهاربين من انشطار اليمين واليسار.

إعتبرت أوساط عديدة دخول ماكرون إلى قصر الإليزيه، بمثابة إعلان وفاة رسمي للأحزاب التقليدية في فرنسا وربما في أوروبا، وقد تكون المستشارة الألمانية أنغيلا ميركل الاستثناء من ذلك وهي الفائزة في الانتخابات الأخيرة التي أُجريت نهاية شهر أيلول/سبتمبر ٢٠١٧ ، وترشحت لفترة ولاية رابعة، والتي تبدو متناغمة مع ماكرون.

إنّ ظهور ظاهرة ماكرون وفوزه في الانتخابات كانت في أغلبها ردود فعل الناخب الفرنسي تجاه الاحزاب التقليدية التي لم تقدم له ما تضمنته برامجها و ما وعدت به في حملاتها الانتخابية[٢٥].

قدم حزب ماكرون (الجمهورية الى الامام) قائمة متوازنة للجنسين في الانتخابات التشريعية، أي نصف المرشحين من النساء والنصف الآخر من الرجال، ولعل النسبة العالية من الفوز الذي أحرزته النساء[٢٦] جاء بسبب هذا التوجه حيث إستطاع حزب ماكرون الحصول على الأغلبية المطلقة في الجمعية الوطنية[٢٧] ، كما أعطت حصة أكبر للشباب في تشكيلة الجمعية، فضلاً عن دخول وجوه جديدة فيها أكثر من أي وقت مضى.

وصف بعض المحللين ما نادى به المرشح الرئاسي وزعيم اليسار الراديكالي (جان لوك ميلانشون) بحاجة فرنسا اليوم الى (ثورة مواطنة)[٢٨] قد حققه ماكرون فعلاً، بعد أن إستخدم شخصيته الكارزمية في الانتخابات التشريعية أيضاً إثر فوزه في الرئاسية [٢٩]، متوخياً إبعاد الأحزاب الاخرى العريقة كالاشتراكي والجمهوري اللذان كانا مهيمنان على مقاعد الجمعية الوطنية الفرنسية منذ قيام الجمهورية الخامسة ولغاية إنتخابات ٢٠١٧[٣٠].

- اكتساح حزب ماكرون الجديد لمقاعد الجمعية الوطنية مما سيمكنه من تشريع القوانين او تعديلها ومن ثم اتخاذ القرار السياسي بسهولة ويسر.

رابعا- مخرجات ظاهرة ماكرون وتأثيراتها في السياسات الفرنسية والدولية

تأثيراتها في السياسات الفرنسية

لعل من بين أبرز نتائج صعود ماكرون وحزبه – وكما سبقت الاشارة اليه- هو الاطاحة بأحزاب تقليدية وعريقة كبيرة ، مثل الحزب الجمهوري والحزب الاشتراكي اللذان كانا يمران بأزمة سياسية شعبية ومالية قبل الانتخابات، بل حتى حزب الجبهة الوطنية، في حين استقطب ماكرون العديد من مرشحي اليسار وكوادره بحسب وصف صحيفة (لو آن) الفرنسية[٣١]، مما أدى الى استقالة الامين العام للحزب الاشتراكي جان كريستوف من منصبه[٣٢].

يعد فوز ماكرون بمثابة صعود عصر سياسي جديد ليس في فرنسا فحسب, بل وفي جميع أنحاء القارة الأوروبية ، هذا القول صدر عن صحيفة «وول ستريت جورنال» الأمريكية, التي أردفت بأنّ فوزه يبشر بردم الفجوة التقليدية بين اليسار واليمين، وبصعود عصر سياسي جديد, وأضافت الصحيفة في مقال لها نُشر في ٢٧ إبريل ٢٠١٧ , أن التمييز أيضا على أساس يمين ويسار لم يعد ينطبق على خيارات الناخبين، إذ أنّ الانتخابات الآن أصبحت تنقسم على أساس مجتمع منفتح مقابل آخر منغلق. وإنّ « انتخابات فرنسا

كانـت اختيارا بين مجتمـع المتطرفين المغلق الذي تمثله لوبـان والمجتمع المنفتح الذي يمثله ماكرون»[٣٣].

عـزز قادة أوربيين جبهة ماكرون في مواجهة اليميـن المتطرف في فرنسـا، بعد أن اسـتخدم ماكـرون لهجة شـديدة تجاه اليميـن المتطرف فوصفهم «الأعـداء الأساسـيون وورثة حزب الحقد»، مؤكدا أنه سـيدافع عن الفرنسيين ذوي الأصول الأجنبية الفخورين بكونهم فرنسيين.

رفـض ماكـرون – بحسـب قولـه - وضـع الفرنسـيين المسـلمين «فـي مواجهـة مـع الجمهوريـة». ويؤكد إنه لن يقبل أبدا أن يوصم الناس بنـاءاً على دينهـم أو معتقداتهم، كما أنه يرفض أي تعصب على أسـس دينية. وفي نفس الوقت يطالب بوضـع «خارطة طريق دولية» لمحاربة «الإسلام المتطرف»، ووصف إفريقيا بأنهـا منطقة فيها «كل المخاطر وكل الفرص» لفرنسا[٣٤].

تتجه فرنسـا المحافظة وفقا لما يسعى ماكرون الـى تحقيقـه فـي السـنوات القريبـة القادمـة لتكـون قـدوة لليبرالية والانفتاح الأوسـع على المهاجريـن، وتوفيـر برامـج محليـة لادماج المهاجرين وتعليمهم اللغة الفرنسـية، وتسـريع اجراءات طلب اللجوء وحصر دراستها والبت بها بثمانية أسـابيع ، فضلاً عن تعزيز الشرطة على الحدود الاوربية.

تأثيراتها في السياسة الدولية (أوربا خاصة)

يـكاد المراقبـون يجمعون علـى أن التاثير الخارجي- أوروبياً ودولياً - ألقى بظلاله الكثيفة علـى الانتخابـات الفرنسـية ومخرجاتها. ففي إطـار السياسـة الدولية، يسـعى ماكـرون الى الدفاع عـن فهم «ديغولي- ميتراني» للسياسـة الخارجيـة الفرنسـية ولمبـدأ الاسـتقلالية. كما يطمح بأن يجعل فرنسـا تتحـاور، بِنَدّيّة، ومن دون تبعيـة، مع الحليـف الأميركي، وبصرامة واحتـرام مـع روسـيا الاتحادية، لاسـيما وأن عـدة مناطق نزاع تتطلب الحـوار والتفاهم مع مختلف الأطراف، سـواء في العراق أو سورية وأوكرانيا أوغيرها[٣٥].

وبشـأن موقفـه من أوربـا، يُعد ماكـرون أحد المتمسكين بالبقاء في الاتحاد الاوربي ومن أشد المؤيدين لأوروبا، وسـبق لـه أن دعا إلى بذل جهـود لإعادة الحياة إلـى منطقة اليورو ويدعم اقتراح إنشـاء منصب وزير مالية لهذه المنطقة ، وإلـى تعزيـز السـوق الأوروبيـة الموحدة، وضـرورة الدفاع عنها فـي مفاوضات خروج بريطانيـا مـن الاتحـاد الأوروبي مـع تصاعد المشاعر القومية عبر العالم الغربي.

وكان من بين شـعارات ماكرون التي طرحها فـي حملتـه الانتخابية والتي مكنّتـه من الفوز، شعار» أنا مع أوربا بل ومع أوربا الفيدرالية». فأوروبياً لا يمكن لفرنسـا أو للرئيس الفرنسـي أن يتحـرك خارج الظروف الأوروبية الحالية، لا سـيما بعـد مغادرة بريطانيا مؤخـرا اتحـاد القارة العجـوز وتغوّل الاقتصاد الألماني داخل نفـس الهيكل. فبين طرفـيْ النقيض هذين يوجد هامش المناورة الفرنسـي، أي بين الحفاظ على الانتمـاء الأوروبـي -الـذي يمد فرنسـا بقوتها القارية- والقدرة على مجابهة الغول الاقتصادي والصناعي الألماني[٣٦].

كما تحاول فرنسـا في داخل الاتحاد الأوروبي جاهدة الحدّ من سـطوة روسـيا التي نجحت في اسـتمالة زعيمة اليميـن المتطرف لوبان، وفي التحالـف المعلـن مع فيون زعيـم اليمين، وهو ما جعل الحضور الروسـي ثقيـلا في كواليس السياسة الفرنسية.

ولابـد الأخذ بنظر الاعتبار أن حيز السياسـية الفرنسـية -مهما توسّـع- فلن يسـتطيع التحرك

خارج النطاق الأطلسي، خاصة بعد وصول المرشح الجمهوري المتشدد دونالد ترمب إلى سدة الحكم في البيت الأبيض.

إن محاولة الحفاظ على الانتماء الفرنسي أوروبياً، والإبقاء على روابط ثابتة مع موسكو من جهة ومع واشنطن من جهة أخرى، هي المعادلة التي أعلنها ماكرون في خطاباته الانتخابية ومن ثم اعتمدها فعلا بعد توليه الرئاسة.

يعد ماكرون النجم السياسي الصاعد في الفضاء الأوروبي، حيث يعزز وصوله معسكر الاندماج الأوروبي ضد التيارات الشعوبية التي صوتت في بريطانيا لفائدة خروج البلاد من الاتحاد، ومنحت في هولندا المرتبة الثانية في الانتخابات العامة إلى حزب زعيم اليمين المتطرف غيرت فيلدرس عام ٢٠١٦، ووضعت زعيمة اليمين المتطرف الفرنسي مارين لوبان في المرتبة الثانية في انتخابات الرئاسة ٢٠١٧[٣٧]، وأخيرا ما حققه حزب «البديل»في ألمانيا، وهو يمني قومي متطرف في الانتخابات التشريعية التي جرت يوم ٢٤ أيلول/سبتمبر ٢٠١٧ ، بفوزه بـ ١٣٪ من أصوات الناخبين، لتقف برلين أمام نقطة مفصلية في تاريخها منذ الحرب العالمية الثانية.

إتجه وبدأ ينجح ماكرون في التسويق لخط سياسي اقتصادي ليبرالي أوروبي من دون أن يتخلى عن أساسيات توفير الحماية للمواطن والمحافظة على الضمانات الاجتماعية الأساسية في المجتمع الفرنسي.

أما بشان العولمة ، ينظر ماكرون إليها باعتبارها أمراً طيباً، ولكنه يدرك أنها لابد أن تُدار من خلال اتفاقيات ومؤسسات دولية دائمة وفعّالة. مع انه يدافع عن وحدة الاتحاد الاوربي والتي سمّاها «أوروبا التي تحمي» من العواقب السلبية للعولمة[٣٨].

تأثيرها في في الشرق الاوسط

يؤيّد الرئيس الفرنسي بشكل حازم الحراك السياسي، ويُفصح بشكل علني عن أن هدفه يتمثّل بالوصول إلى ما وصل إليه رؤساء كشارل ديغول[٣٩] وفرانسوا ميتران[٤٠] اللذان تركا بصمات بارزة في الشؤون الدولية الفرنسية. وتُعتبر منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الحديقة الخلفية الأقرب حيث يمكن لفرنسا أن تلعب هذا الدور بشكل فعّال، الذي من شأنه أن يحظى بدعم الرأي الفرنسي المحلي، ربما لأنه يُعتقد بأن لذلك صلة مباشرة بالحرب ضد الإرهاب وبأمن الفرنسيين الخاص.

لذا أعلن ماكرون زيارته لإسرائيل ولبنان والأراضي الفلسطينية والأردن لدفع عملية السلام فى الشرق الأوسط ، وهو صاحب مقترح تفعيل (حل الدولتين)[٤١]،كما أن باريس حصلت على نتائج ملموسة من روسيا بشأن الحد من استخدام الأسلحة الكيماوية في سوريا، وتأكيد ماكرون على أن مكافحة الإرهاب فى ليبيا أمرا حتميا، وبشأن ايران اشار إلى أنه لابديل عن الاتفاق النووي معها.وفي نفس سياق التواجد السياسي الفرنسي في المنطقة العربية أعلن الرئيس الفرنسي نهاية تموز الماضي على هامش زيارة لمركز إيواء لاجئين في وسط البلاد أن فرنسا ستقيم مراكز في ليبيا لدراسة طلبات اللجوء لليبيين من اجل تجنب المخاطر لعددٍ كبير منهم[٤٢].

كانت توجهات ماكرون في برنامجه تستند الى أن تلعب فرنسا سياسة متوازنة وغير مُنحازة. وبالنسبة إلى الحرب في سوريا مثلاً، يرفض ماكرون أن يكون مُنحازًا إلى جهة دون أخرى، حيث أنّه يعتمد سياسة وسطية، تحفظ لفرنسا موقعا وسطيا يسمح لها بالتعامل بتوازن مع مختلف القوى. وبحسب المحلّلين الغربيّين، فإنّ ماكرون سيتجنّب الدخول طرفًا في صراعات الشرق الأوسط العسكرية، حيث

يُتوقّع أن يلعب دورا وسطيا وحياديا، أقرب إلى سياسة ألمانيا مثلاً منه إلى سياسة فرنسا الرامية الى التدخل الحربي في عدد من الدول في الشرق الاوسط والمنطقة[٤٣].

ولكن ذلك لا يمنعه من أن يستمر في السعي إلى الاضطلاع بدور أكبر على الساحة الشرق أوسطية مع التزام الوسطية. أما في ما يتعلق بإمكانية نجاحه في ذلك، فلابدّ من أن يتذكّر، مع انطلاق مسيرته المليئة بالصعوبات، اعتراف شارل ديغول أنه غالباً ما قارب الشرق الأوسط المعقّد بأفكار مبسّطة للغاية[٤٤].

يقول مارك بييريني[٤٥]أطلق ماكرون، في بداية عهده الذي غلبت عليه أجواء التفاؤل، سلسلةً من المبادرات تتعلّق بالسياسة الخارجية حول مسائل معقّدة شملت روسيا والولايات المتحدة والشرق الأوسط وليبيا، وكان هدفها وضع فرنسا مجدَّدا على خريطة السياسة الخارجية، بعد رئاسة فرانسوا هولاند التي نُظر إليها على نطاق واسع على أنها فاشلة دبلوماسياً. وقد عمل ماكرون بالفعل على تخفيف حدة التوتر مع سوريا وتفاوض مع روسياوتواصل مع العراق في حربه ضد داعش[٤٦].

هنالك سؤال لجوزيف باحوط [٤٧] يقول فيه : «هل يبذل إيمانويل ماكرون قصارى جهده لتوسيع وجود فرنسا في الشرق الأوسط؟» ثم يجيب بـ «نعم». فبعد مرور ثلاثة أشهر فقط على تسنمه منصب الرئاسة، يملك ماكرون ما لايقل عن أربعة مواقف أو مبادرات قوية تركّز على الشرق الأوسط والمنطقة العربية والافريقية الأوسع. وهي: تصريحاته المثيرة للجدل والغامضة حول الشأن السوري التي تُعتبر مختلطة مع بعض التطمينات؛ ومحاولة خجولة لكن رفيعة المستوى للتوسّط بين قطر وبين خصومها في الخليج ، وقمة مُجلجلة إعلامياً حول ليبيا، فضلا عن موقفه إزاء النزاع في الصحراء الغربية؛ وهو ما يشير إلى وجود رغبة فرنسية في تولي زمام المبادرة لحل إحدى أكثر الأزمات تعقيداً في المنطقة كما يود ماكرون أيضا تقوية علاقات بلاده مع دول المغرب العربى، (المغرب وتونس الجزائر(، وقبل اجراء الانتخابات الرئاسية وصف ماكرون الممارسات الاستعمارية الفرنسية بأنها كانت «جرائم ضد الإنسانية»، وبالرغم من اعتذاره بعدئذ ، فإنه لم يسحب ذلك التصريح وقد أثار غضب العديد من المؤسسات الفرنسية[٤٨].

مع كل ما تقدم ، فإنّ هناك من يرى أن ليس الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، أول رئيس يزعم، بإسم الفاعلية والبراغماتية، بأنه سيلعب دوراً في الشرق الأوسط يميّزه عن خلفه. لكن الدور الوحيد الذي سيوكل إليه، والذي أصبحت مؤشراته الأولى واضحة للعيان، أنه سيكون شريكاً تابعاً لدونالد ترامب أو فلاديمير بوتين[٤٩].

خلاصة

مع كل ما تم التطرق اليه عن ظاهرة ماكرون نخلص الى أنّ الناخب الفرنسي لم يكن لديه خيار آخر سوى التصويت لمرشح الرئاسة الجديد بعد أن اصبح قبيل الانتخابات في حيرة من أمره بشأن التصويت لرئيس يقدم برنامجاً يُلبي ولو جزء من احتياجاته ومتطلباته، وهو ما كنت ألمسه في الشارع الفرنسي ومن خلال حديثي مع نخب وباحثين وبعض من عامة الناس . فقبل الانتخابات بشهر تقريبا كان لا يزال ٤٠٪ من الناخبين والناخبات الفرنسيين «حائرين» بشأن التصويت إحدى عشر مرشحاً للرئاسة . وهو ما أظهره استقصاء ، كان فيه جواب هذه النسبة من المستقصين إنهم رغم ميلهم لهذا أو ذاك من المرشحين، فإنهم قد

يُغّيـرونْ رأيهم في أية لحظة وهو ما يُسـمون بـــ « الناخبين المترددين « ضمن المطلحات الانتخابية.

وهـذا القـول تؤيـده نسـبة الممتنعيـن عـن التصويـت فـي الانتخابـات الرئاسـية التـي بلغت٢٥,٩٥٪من الناخبين المسـجلين، كما أن هنالك (٤,٠٥٨,١٥٥) ورقة بيضاء وُضعت في صناديق الاقتـراع أو أعتبرت ملغاة[٥٠]. ما يعنى أن هنالـك حوالي٣٢ ٪ من المقترعين لم يشاركوا فى الانتخاباتوهو رقم قياسي،في حين اِمتنع حوالي ٥٦,٦٪ من النّاخبين عن الذّهاب إلي مراكز التّصويت في الانتخابات التشريعية والّذيـن أصبحوا يشـكّلون الأغلبية المطلقة في الجسم الاِنتخابي الفرنسـي[٥١]. حينها قيل على المستوى السّياسـي « إنّ المنتصر الحقيقي في هذه الاِنتخابات هم الممتنعون عن التّصويت». ولعل نسـبة المشاركة في الانتخابات الاخيرة ، تؤشـر علامة مبكرة علـى خيبة الأمل من دعم جماهيري أوسـع لدعم وإنجاح برنامج الرئيس ماكرون.

وهنالك من يرى ، بما أنّ ماكرون هو مرشح البنوك العالمية - كما يقول خصومه السياسيون- فإنه سـيبقى وفيا لقطاع الأعمـال والمصارف الذي يقـف وراء حملته الانتخابية،والذي دعمه بالفوز برئاسة فرنسا، لكن ذلك لن يكفيه ليتمكن مـن إخـراج البـلاد من أسـوء مرحلـة ركود اقتصـادي عرفتها منذ عقود، ولـن يكون كافيا ليعيد إلى فرنسـا بريقها الذي فقدته على الساحة الدولية والأوروبية[٥٢].

لذلـك فإن الكثير من الباحثيـن والمتخصصين يراهنون على فشـله كما حدث للرؤسـاء الذين سبقوه لأسـباب لا تتعلق بشـخصياتهم أو سوء ادارتهم ، بل لواقع الازمات التي تمر بها فرنسا وأوربـا عامـة والتـي لا تُمكنها مـن النهوض واسـتعادة عافيتهـا وبريقهـا السـابقين ، وفي ذات الرهـان يـرى هـؤلاء أن حظـوظ اليمين المتطرف ، سـواء حزب الجبهة الوطنية بقيادة مارين لوبان أو غيرها من الاحزاب والتيارات الموجـودة حاليـا أو التـي قد تظهـر وتنمو في الساحة السياسية الفرنسية سوف تكون أكبر في أية انتخابات قادمة.

ولحيـن انتهاء مدة رئاسـة ماكـرون واجراء الانتخابـات المقبلـة عـام ٢٠٢٢، يبقـى هناك تخّوفْ من سـيطرة الحزب الواحد على المشهد السياسي الفرنسي كما يُروّجْ لذلك خصوم حزب «الجمهورية الى الامام» بقيادة ماكرون إلا أن ما يبدد هذه الشـكوك ، هـو أن حزب ماكرون ليـس حزبـاً أيديولوجيـاً منظمـاً ، فهـو يضم شـخصيات من اليميـن واليسـار والمحافظين وشخصيات أخرى من المجتمع المدني وأنصار البيئة وغيرها.

الجميع ينتظر أن يشكّلْ فوز ماكرون ظاهرة سياسـية جديـدة أسـموها «الماكرونيـة» تُقدّم نموذجاً ملهماً يعبر حدود فرنسـا، ويسـاهم في تجديد دماء الديموقراطيات الغربية، واسـتعادة النظام الديموقراطي مكانته في العالم.

باحث سـابق في مدرسـة الدراسـات العليا للعلوم الاجتماعية بباريس- فرنسا

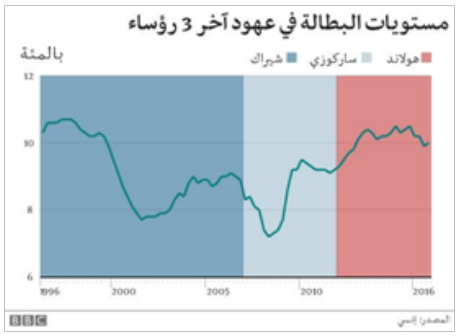

خارطة فرنسا ومدنها

الهوامش

١-(ماكرون المتمرد) ، قناة الجزيرة ، ٢٠١٧/٢/١٥

www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions:

٢- « مـن هو إيمانويل ماكـرون متصدر نتائج الدورة الأولى؟»، قناة (فرانس ٢٤) :

https://www.youtube.com/watch?v=zgDrKFxL7wo&feature=youtu.be

3- Qui est Emmanuel Macron? La revue Fiats & Documents, mercredi 26 avril.

4- Maxime Vaudano et Agathe Dahyot ,» Propositions et passes d'armes : récit et décryptage du débat présidentiel à onze, Le monde , 05-4-2017.

5- « Connaissez-vous bien le nouveau président de la France ? Portrait, en images, d›Emmanuel Macron.», Le Parisien, 07 mai 2017؛

«ماكـرون الرئيـس العاشـق»،صحيفة الوطـن، ٢٠١٧/٥/٩:

www.al-watan.com/PrintNews.aspx?id=٧٥٨٧٥

٦- أُتهـم بتوظيـف زوجته وأبناءه فـي مناصب وهمية أثناء خدمته في الجمعية الوطنية.

(«Penelope Fillon accusée d›emploi fictif: la défense brouillonne du camp Fillon», l›express, 25/01/2017).

٧- يمكـن متابعـة المناظـرة علـى موقع قنـاة (فرانس ٢٤): https://www.youtube.com/watch?v=goDtYy-UC٠c

٨- الانتخابـات الفرنسـية: ماكرون «أكثـر إقناعا» من لوبان في المناظرة النهائية ، مصدر سابق: http://www.bbc.com/arabic/world-٣٩٨٠٣٩٠٣

٩- (ظاهرة المرشح ماكرون في الرئاسيات الفرنسية)، مصدر سابق.

١٠- جـاءت تسـمية «القومية الدولية»على لسـان كبير زملاء مؤسسة «نيو أميركا» سكوت مالكومسون.

١١- (قانـون ماكـرون): اقترحـه ماكـرون عندما كان وزيـر الاقتصـاد والشـؤون الرقميـة فـي حكومة مانويل فالـس مطلع عام ٢٠١٥مـن أجل النهوض بالاقتصاد الفرنسـي، مسـتندا الى المادة ٤٩-٣ من الدسـتور والتي تسـمح للحكومة بتمرير قانون دون أن يصـوت عليه أعضـاء الجمعيـة الوطنيةولمرة واحدة في السـنة ، من بين هذه الإجراءات، السماح لبعض المراكز التجارية الكبرى، ولاسيما تلك التي في المناطق السـياحية، وفتح أبوابها خلال إثناعشر يوما (أيام الأحاد) خلال السنة مقابل خمسة أيام كان مسموح بها من قبل، فضلا عن شموله تحرير قطاع المواصـلات وبخاصة شـبكة الحافـلات، وإجراء تغييـرات في عـددٍ من مـواد قوانيـن العمل وعلى بعض القطاعـات المهنية التي كانـت محتكرة على عددٍ من المستثمرين.

(« Loi Macron : les quatre jours qui ont fait basculer la majorité, Liberation»,20-2-2015).

١٢- المتنافسـون على الرئاسـة الفرنسـية ٢٠١٧ ، قناة

BBC ، ١٨ أبريل/ نيسان ٢٠١٧:.http://www
٣٩٥٥٩٧٢٦-bbc.com/arabic/world

١٣- ناصيف حتي ، إيمانويل ماكرون: خمس تحديات رئيسية ، صحيفة النهار البيروتية ، ٢٥-٥-٢٠١٧ .

١٤- بقرار من الرئيس اليميني السابق جاك شيراك، ألغت فرنسا في ١٩٩٧ الخدمة العسكرية الإجبارية التي كان معمولا بها منذ ١٧٩٨ بموجب قانون «جوردان» (٥ سبتمبر ١٧٩٨) إبان الثورة الفرنسية، حيث كانت تنص مادته الأولى على : «كل فرنسي هو جندي، ويجب عليه الدفاع عن وطنه.» تُنظر ، «فرنسا تبحث إعادة الخدمة العسكرية الإجبارية لمواجهة الفترة العصيبة التي تواجهها» ، موقع قناة فرانس ٢٤، ٢٠١٥/٠١/٢١ : https:// ٢٠١٥٠١٢١/com/ar.amp.france٢٤

١٥- السقف الزجاجي أو « «Plafond de verre بالفرنسية: هو تعبير سياسي يعني وجود «حاجز غير مرئي» يحول دون وصول حزب أو حركة إلى موقع متقدم في السلطة. ظهر هذا المصطلح منذ الانتخابات الإقليمية عام ٢٠١٥ ، وأصبح التعبير قولاً مأثوراً ، ولا سيما بالنسبة لحزب الجبهة الوطنية ، إذ أصبح الحاجز غير المرئي الذي يمنع الحزب من إجتياز الجولة الثانية من الانتخابات للوصول الى السلطة.

١٦- قلصت الحكومة الفرنسية ميزانية الدفاع لعام ٢٠١٧ لضمان أن تتمكن باريس من الوفاء بتعهدات قطعتها بخفض العجز فى الميزانية لأقل من ٣٪ من الدخل القومى وهو المستوى الذى حدده الاتحاد الأوروبى.

١٧- «ماكرون: إذا وقع خلاف بين رئيس أركان الجيش والرئيس.. فليذهب رئيس الأركان»، مجلة اليوم السابع المصرية، ٧/١٦/ ٢٠١٧.

١٨- يتميز النظام السياسي الفرنسي بأنه أول من طبق مبدأ الفصل بين السلطات الثلاث في العالم وذلك منذ قيام الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩،ودعوته لتحقيق المبادئ الثلاثة)الحرية ، والأخوة، والمساواة. (وهو نظام برلماني رئاسي،على أساس أنه خليط من النظام البرلماني المعمول به في معظم الدول الديمقرطية الغربية،والنظام الرئاسي الموجود في الولايات المتحدة.لذا فإنه سمي بالنظام المختلط،حسبما جاء في الدستور المعمول به حال يا،وهودستورالجمهوريةالفرنسيةالخامسةالصادرف يعام١٩٥٨، المعدل عام١٩٦٢وعام٢٠٠١،والذي يعتبر الدستور الفرنسي السادس عشرمنذ سقوط سجن الباستيلBastille.

١٩- ميشال أبو نجم ، « إيمانويل ماكرون... «سوبر ستار» فرنسي ، لمن تقرع أجراس باريس مساء غد؟ « ، صحيفة الشرق الأوسط اللندنية ، ٢٠١٧/٥/٦.

٢٠- (ظاهرة المرشح ماكرون في الرئاسيات الفرنسية)، مصدر سابق.

21- Emmanuel Macron: «Je vous servirai avec amour «,L›express, 08/05/2017.

٢٢- إستقال «جان بيساني فيري»، وهو واحد من أفضل خبراء الاقتصاد في فرنسا،قبل الانتخابات من منصب مدير «فرانس إستراتيجي» وهو مركز بحثي تابع للحكومة الفرنسية ، لكي يتولى إدارة برنامج ماكرون.

٢٣- «هذا هو سر ماكرون»، قناة العربية الفضائية على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=0m-DeSyV9XY&feature=youtu.be

٢٤- حصلت النساء على ٢٢٣ مقعداً بنسبة ٣٨,٦٥ ٪ من مجمل المقاعد ولأول مرة في تاريخ فرنسا، بينما شهدت انتخابات ٢٠١٢ وصول ١٥٥ إمرأة إلى الجمعية الوطنية بنسبة ٢٦,٩ ٪ ، مقابل ١٨,٥ ٪ في العام ٢٠٠٧، و١٢,٣ ٪ عام ٢٠٠٢.

٢٥- فيما لو كان حزب الجمهوريين وجزب الاشتراكيين قد حصلا على مقاعد كافية تؤهلهما للمنافسة في الجمعية الوطنية ،كان يتوجب العودة إلى « المساكنة أو التعايش المزدوج» Cohabitation السياسية مع حزب الرئيس ماكرون « إلى الأمام»، ولكن نجح الرئيس المنتخب فى تكوين «الأكثرية الجمهورية»، مثلما فعل الرئيس الأسبق فاليرى جيسكار ديستان الذى جاء من حزب سياسي صغير ينتمي إلى يمين الوسط، وهو الحزب الجمهوري المستقل الذي تأسس عام ١٩٦٢، وحكم فرنسا في الفترة من مايو/أيار ١٩٧٤ إلى ١٩٨١ بعد أن فاز ديستان في الانتخابات بنسبة ٥٠,٨٪. ومنذ الستينات يتمتع الرئيس في فرنسا بلاحيات واسعة تدعم أغلبيته في البرلمان حتى أنه أصبح يقيل رئيس الوزراء رغم عدم وجود ما يخول له ذلك في الدستور و لم يحد عن ذلك الا سنة ١٩٨٦ حين عرفت حالة « المساكنة» ، وهى الحالة التى يتم فيها اختيار رئيس الجمهورية من إتجاة فكري مناقض للاتجاه الذى يمثله رئيس الوزراء. حيث اضطر الرئيس الفرنسى السابق ميتران «الاشتراكي» عندما فرضت عليه الجمعية العمومية ان يختار جاك شيراك «اليمينى الرأسمالي» ليكون رئيسا للوزراء عام ١٩٨٦. تُنظر ، الموسوعة الحرة ويكيبيديا :https:// /ar.wikipedia.org/wiki

٢٦- دعا ميلانشون منذ عام ٢٠١٠ في خطاباته ومؤتمراته الانتخابية للقيام بثورة مدنية أسماها « ثورة مواطنة» ، وتحدث عنها في كتابه الذي حمل عنوانه :»– Qu’ils s’en aillent tous ! Vite, la Révolution citoyenne« حيث يشير المقطع الثاني الى نداء ميلانشون: « بسرعة نحو ثورة مواطنة».

٢٧- «الانتخابات التشريعية الفرنسية: الجمهورية إلى الامام»، قناة (فرانس ٢٤):

https://www.youtube.com/watch?v=6vZMKBd8pvc&feature=youtu.be

٢٨- إذا ما رجعنا الى أقرب انتخابات جرت قبل انتخابات الرئاسة لعام ٢٠١٧، وهي الانتخابات المناطقية الفرنسية(ÉlectionsRégionalesFrançaises)لعام ٢٠١٥ ، بهدف إنتخاب أربعة عشر مجلساً محلياً ورؤسائهم فيعموم فرنسا. فقد تصَّدَر في الجولة الاولى للانتخابات حزب الجبهة الوطنية بقيادة مارين لوبان كل المنافسين بـــ٣٠,٩ ٪ من الأصوات،في حين حصل حزب «الجمهوريين» بزعامة الرئيس الأسبق نيكولا ساركوزي على ٢٧ ٪ في مقابل ٢٢ ٪ فقط للحزب الاشتراكي الحاكم آنذاك .أما في الجولة الثانية فقد توقف تسونامي الجبهة الوطنية الذي بدأ يضرب أطنابه في الجولة الاولى ، إذ لم يفز بأي منطقة في عموم فرنسا، في حين فاز اليمين بسبعة مناطق من أصل ١٣، بينها العاصمة باريس وضواحيها، فيما فاز ممثلو اليسار بخمسة مناطق، وهو يدلل على هيمنة هذين الحزبين على المشهد الانتخابي الفرنسي حتى وقت اجراء انتخابات ٢٠١٧. يُنظر للتفاصيل : وليد كاصد الزيدي، « إنحسار تسونامي حزب الجبهة

الوطنية في الجولــة الثانية من الانتخابات المناطقية الفرنسية «، صحيفة المثقف ، ٢٠١٥/١٢/١٧.

29- Journal le un : https://le1hebdo.fr

30- «Elections législatives 2017:Résultats des législatives 2017 : Jean-Christophe Cambadélis démissionne de la tête du Parti socialiste», Le monde, 18.06.2017.

31- France Presidential Election: Le Pen duels Macron in Whirlpool standoff, the Wall Street Journal , 27-04-2017.

٣٢- «ما الذي يمثله ايمانويل ماكرون المرشــح الرئاسي في فرنســا؟»، قناة BBC ، ٢٠١٧/٤/١٨ http://:٣٩٢٠٦٤٩٨-www.bbc.com/arabic/world

٣٣- عبـد الإلــه الصالحــي ،(أولويات ماكـرون خلال أيامــه الأولى في الإليزيــه)، صحيفة العربي الجديد ٨، ٥- ٢٠١٧.

٣٤- وليـد كاصد الزيـدي ، «ما الجديد فــي الانتخابات الفرنسـية ٢٠١٧؟ « ، صحيفــة المثقـف ، ١٠-٧-٢٠١٧.

٣٥- «فــوز ماكرون فــي الانتخابات الفرنســية.. تحّول جديد في سياســة أوروبــا»، صحيفة الصباح الجديد ، ٩-٥-٢٠١٧.

٣٦- «تفــاؤل أوروبــي بفــوز ماكــرون وتســاؤل حول تفتت المشــهد الفرنســي»،موقع قناة العربية،٧-٥-٢٠١٧:www.alarabiya.net

٣٧-شارل ديغول (١٨٩٠-١٩٧٠): قاد قوات المقاومة الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية، أول من تبوأ منصــب الرئيس في الجمهورية الخامســة في الفترة من يناير/كانــون الثاني ١٩٥٩ حتى أبريل/نيســان ١٩٦٩.تبنى دســتورا جديدا لفرنســا مؤسســا بذلك الجمهوريــة الخامســة. وانتُخب رئيســا للجمهورية بعد أن حقق فوزا ســهلا في انتخابات ١٩٥٨ وتولى الحكــم في مطلــع ١٩٥٩. ثــم أُعيد انتخابه بنســبة ٥٥,٢٪ في الانتخابات الرئاســية عام ١٩٦٥.أسس ديغــول حزب الاتحــاد مــن أجــل الجمهورية الذي ســمي ســنة ١٩٦٨ بالاتحاد مــن أجــل الدفاع عن الجمهورية. واستقال من رئاســة البلاد عام ١٩٦٩ بعد أن فشلت التعديلات الدستورية التي اقترحها في كســب التأييد الشــعبي المطلوب في الاستفتاء الذي نُظم في تلك السنة.

٣٨-فرانسواميتران

(١٩١٦-١٩٩٦):يعتبر فرانســوا ميتران أول اشتراكي يتولــى منصب رئيس الجمهورية، وأطول رؤســاء فرنســا بقاء فــي الكرســي (١٩٨١-١٩٩٥) فــي الجمهوريــة الخامســة، حيــث كان أول رئيس يفوز بولايتيــن رئاســيتين. وقــد جــاء إلــى الســلطة عام ١٩٨١بأغلبيــة ٥١,٨٪. وفــاز بفتــرة ثانية في عام ١٩٨٨ بنســبة ٥٤٪ مرشحا عن الحزب الاشتراكي اليســاري. عُرِفَ بمواقفه وبرامجه الإصلاحية التي ســاهمت في تحديث البلاد، وشــهدت فترة رئاســته الثانية مشاركة فرنســا في حرب الخليج الثانية جنبا إلــى جنب مــع الولايــات المتحدة. يُنظر،»رؤســاء فرنسا من ديغول لســاركوزي»،موقع قناة الجزيرة الفضائيــة،٢٠١٢/٥/٦:www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews

٣٩-(حــل الدولتين) :هــو حل مقترح للصــراع العربي الإســرائيلي، وهــو المقابــل لمحــاولات تتمحــور حول حــل الدولــة الواحدة والــذي لا يحظــى بتأييد

معظـم الـدول. يقوم هـذا الحل على أسـاس دولتين في فلسـطين التاريخية تعيشـان جنبـا إلـى جنـب، هما دولـة فلسـطين إلى جانب دولـة إسـرائيل، وهـو مـا تـم إقـراره في قـرار مجلـس الأمـن ٢٤٢ بعد حـرب ١٩٦٧ وسيطرة إسـرائيل على باقـي أراضي فلسـطين التاريخيـة. اعتمـد بعض الفلسـطينيون هذه المبادئ في عام ١٩٧٤ بالبرنامج المرحلي للمجلـس الوطنـي الفلسـطيني، والـذي عارضته بعـض الفصائل الفلسـطينية وقتها، حيث شـكلت ما يعرف بجبهة الرفض .أصبحت فيما بعد مرجعيـة المفاوضات في إتفاق أوسـلو عام ١٩٩٣ بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل.

The PNC Program of 1974, June 8, 1974. On the site of Mideast Web for Coexistence R.A, Middle East Resources. Page includes commentary. Accessed5 December 2006.

٤٠-«الرئيس الفرنسـي يعلن عن إنشـاء مراكز في ليبيا لدراسة طلبات اللجوء»، قناة (فرانس ٢٤)،٢٧-٧-٢٠١٧.

٤١- ناجي البسـتاني، «نتائج وإرتـدادات فوز ماكرون المُرتقب برئاسـة فرنسا»، صحيفة النشرة، ٢٦ /٤/ ٢٠١٧.

٤٢- جوزيـف باحوط ، « هل ينجـح إيمانويل ماكرون في توسيع نفوذ فرنسا في الشرق الأوسط؟»، مركز كارنيغي للشرق الأوسط ، ٢٠-٨-٢٠١٧.

٤٣- باحـث زائر في مركـز كارنيغي أوروبا، وسـفير سـابق للاتحاد الأوروبي، ورئيـس بعثته لدى تركيا (٢٠٠٦-٢٠١١)، وسـفير سـابق فـي تونس وليبيا (٢٠٠٢-٢٠٠٦) وسـورية (١٩٩٨-٢٠٠٢) والمغـرب (١٩٩١-١٩٩٥). كما كان أول منسّـق للشـراكة الأورو-متوسـطية، أو عمليـة برشـلونة (١٩٩٥-١٩٩٨).

٤٤- مـارك بييريني،» هل ينجـح إيمانويل ماكرون في توسـيع نفوذ فرنسـا في الشرق الأوسـط؟»،مركز كارنيغي للشرق الأوسط ، ٢٠-٨-٢٠١٧.

٤٥- باحث زائر في برنامج كارنيغي للشـرق الأوسـط ، ومستشـار سـابق فـي مركـز التحليـل والتنبـؤ والاستراتيجية في وزارة الخارجية الفرنسية.

٤٦-مارك بييريني، مصدر سابق.

٤٧- جوزيف باحوط ، مصدر سابق.

48-«Penelope Fillon accusée d›emploi fictif: la défense brouillonne du camp Fillon», op.cit.

٤٩- تعد نسبة تاريخية لم تحصل في أية إنتخابات تشريعية في عهد الجمهورية الخامسة إذ كانت النسبة ٤٨,٣١ في عام ٢٠١٢ ، و ٤٩,٢٨٪ في عام ٢٠٠٧ كانت ، وفي عام ٢٠٠٢ بلغت ٥٠,٥١٪ . «تفاصيل نسبة المشاركة في الانتخابات التشريعية الفرنسية»،موقع قنـاة (فرانـس ٢٤): https://www.youtube.com/watch?v=dagOcap٢٢eI

٥٠- (ظاهـرة المرشـح ماكـرون فـي الرئاسـيات الفرنسـية)، ٢٠١٧/٤/٢٠ ، موقـع قنـاة الجزيرة الفضائيـة: https://www.google.iq/search?biw=١٣٦٦&bih=٦١٣&q

القدس بين مخططات التهويد ومشاريع التسوية الاسرائيلية

د.فرح صابر (*)

المقدمة

إذا كان الصراع العربي _ الاسرائيلي أهم وأعقد القضايا التي شغلت ومازالت تشغل الرأي العام العربي منذ أكثر من نصف قرن من الزمن ، فان قضية القدس تعد مفتاح وجود وجوهر هذه القضايا.

فالقدس لا تقف اهميتها من المنظورين العربي والاسلامي عند جوانبها السياسية والاستراتيجية في الصراع بين العرب واسرائيل ، بل هي اكثر اهمية بايحاءاتها الروحية والرمزية والحضارية . فأي حديث عن حلٍ للصراع العربي _ الاسرائيلي دون القدس يصبح حديثا لامعنى له ، ودون اي مضمون. ومنذ احتلالها للقدس الشرقية بعد ان استباحت القدس الغربية عام ١٩٤٨ ويبدو التصميم الاسرائيلي واضحا لطمس وازالة التراث والهوية العربية والاسلامية اللتين طبعتا القدس طوال قرون من تاريخها الحافل بطابعه الخاص والفريد . ولم تعدم سلطات الاحتلال الوسائل والادوات التي تعينها في تنفيذ مخططاتها في هذا الصدد ، ولاسيما في ظل الاختلال الخطير في ميزان القوى مع العرب لصالحها .

القدس وبداية الاحتلال :

نصّ قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العمومية للامم المتحدة المرقم (١٨١) والصادر في التاسع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٤٨ ، الذي جاء تحت ضغوط دولية هائلة مارستها المنظمة الصهيونية العالمية والدول الكبرى المؤيدة لها على تقسيم فلسطين الى دولتين عربية وبهودية . واستثنى ذلك القرار القدس من كلتا الدولتين . ونص القرار على اقامة كيان خاص للقدس ، تحت الوصاية الدولية الدائمة ، وعلى ان توسع حدود بلدية المدينة لتضم محيطها المباشر في الكيان الخاص[١] .في غضون ذلك اعلنت بريطانيا وهي الدولة المنتدبة على فلسطين ، عزمها على الانسحاب المبكر من فلسطين بحلول

(*) كلية التربية للعلوم الانسانية /جامعة بغداد

اليوم الاول من شـهر آب عام ١٩٤٨ . فوافقت الجمعية العامـة على ذلك المقترح البريطاني ، وقررت انهاء الانتداب البريطاني على فلسطين بموعـد لايتجـاوز الاول من آب عـام ١٩٤٨ . وتكون الفترة الواقعة بين اتخاذ القرار وتشكيل الدولتيـن الجديدتيـن (فترة انتقـال) ، يجري خلالها استبدال الحكم البريطاني تدريجيا [٢] .

كان قرار التقسـيم فرصة ذهبية بكل المقاييس لقادة الحركة الصهيونية لتنفيذ مخططهم بشـأن فلسـطين . فعلـى الرغـم من ان خطة التقسـيم منحـت اليهـود ارضـا لايمتلكوهـا واعطتهم نصف فلسـطين ، الا ان انظارهم بقيت متجهة نحـو القـدس ، غيـر ان الوصول الـى المدينة المقدسـة كانت تحـول دونه صعوبـات جمة ، اذ ان القـدس كانت تقع فـي قلب الدولة العربية المقترحـة ، وكانت تفصلها عن الدولة اليهودية الواقعة على السـاحل عشـرات القرى العربية المنتشرة على امتداد السـهول والجبال الواقعة على اطرافها [٣] .

ولتحقيـق الهدف الصهيونـي ، وضعت القيادة الصهيونيـة بعيد قرار التقسـيم مباشـرة خطة هجومية كبرى اسمتها (خطة دال) لتنفيذ قرار التقسيم بقوة السـلاح ، وتخفّى هدفها الظاهري وراء ذريعـة الدفـاع عن الاحيـاء اليهودية في القدس ، بينما كان هدفها الرئيس احتلال قضاء القـدس بكامله بعـد احتلال المناطـق المحيطة بها[٤] .

ومما له مغزاه ان تنفيذ الخطة الصهيونية بدأ في الاسـبوع الاول من نيسـان عام ١٩٤٨ اي قبل ستة أسـابيع من انتهاء الانتداب البريطاني في الخامس عشـر مـن ايار ، ومـن ثم دخول الجيـوش العربيـة الى فلسـطين ، وجـاء ذلك الهجوم تمهيدا لاعلان «دولة اسـرائيل» والذي تم فـي اليوم نفسـه الـذي انتهى فيـه الانتداب البريطاني . ونجحت القوات الصهيونية عبر سلسلة من العمليات المنظمة في تحقيق اهدافها من الهجوم على القدس ، حينما سـيطرت على ٨٤,١٣ في المئة من مساحة بلدية القدس والتي عرفـت فيما بعد بالقدس الغربيـة . ضم الجزء المحتل اهم المراكز التجارية والاحياء السكنية خارج الاسوار ، وكان يقطن هذه الاحياء ٠٠٠ ر٢٥ مقدسـي عربي من المسلمين والمسيحيين من اصحاب المهن الحرة والتجار والموظفين[٥]

وهكذا عندما دخلت القوات العربية الى القدس في الخامس عشـر من آيار عام ١٩٤٨ لم يكن قـد تبقى منها في ايدي العرب سـوى ماسـمي بالقدس الشرقية التي لم تتعدَ مساحتها ١١ر٤٨ في المئة من مسـاحة بلدية القدس ، بما في ذلك البلـدة القديمـة داخل الاسـوار [٦] . اما القسـم الاخيـر الذي تبلغ نسـبته ٣٩ر٤ فـي المئة من المجموع العام فشكل المنطقة الحرام بين هذين القسـمين طوال الفترة الممتدة من سنة ١٩٤٩ الى سـنة ١٩٦٧ اي الفترة مابين اتفاقية الهدنة الاردنية _ الاسرائيلية واحتلال القدس الشرقية في حرب حزيران عام ١٩٦٧ [٧] .

منـذ اللحظات الاولى لاحتلال القدس ، بدأ القادة الاسـرائيليون يسفرون عن نواياهم بشأن المدينـة المحتلـة ، وهو ماتجلى خـلال النقاش الصاخب الذي احتدم في مجلس الشعب المؤقت (الكنيسـت) لاحقـا فـي الرابع والعشـرين من حزيران عام ١٩٤٨، حينما تمت مناقشة الخطط الكفيلة بالحاق القدس بالكيـان الجديد والعقبات التـي تواجه تحقيق هذا المخطـط . فقد عبر بن جوريـون ، المؤسـس الحقيقي للدولـة العبرية

واول رئيس لحكومتها عن هذه النوايا دون مواربة ، واضعا بذلك الاساس الاستراتيجي لكيفية التعامل مع القدس . اذ قال اثناء ذلك النقاش «ان القدس قد غُبنت . ان من في القدس _ اذا حكمنا بناءً على اقوالهم_ لايقدرون ان مسألة القدس ليست مسألة ترتيبات في اساسها ولا مسألة سياسية ، بل في المقام الاول مسألة قدرة عسكرية ، ورغم اننا لانستطيع حل كل مشاكل القدس بالقوة العسكرية وحدها ، لكنها المرحلة الاولى لاحتلال القدس ، فقد تعقبها بعد ذلك عدة مراحل تتعلق بالجانب الاقتصادي ، والاجتماعي ، وايضا الديموغرافي للقدس» [٨]

باشرت قوات الاحتلال فور احتلالها القدس الى اتخاذ جملة اجراءات ، تستهدف تهويد المدينة وتعزيز القبضة الاسرائيلية عليها . فبتأريخ الحادي عشر من كانون الاول عام ١٩٤٨ اعلنت اسرائيل القدس عاصمة لها ، ونقلت مقر حكومتها من تل ابيب اليها . كما نقلت الى القدس ايضا في عام ١٩٥٢ وبصفة مؤقتة ، وزارة الخارجية ،والكنيست (البرلمان الاسرائيلي) . وكان اكثر القوانين تعسفا من جانب سلطات الاحتلال هو ذلك الذي صدر في آذار عام ١٩٥٠ باسم «قانون اموال الغائبين لسنة ١٩٥٠ « الذي اتخذته سلاحا لتجريد اللاجئين من عرب القدس ، وكانوا يبلغون آنذاك حوالي ٦٠ ألفا . اذ وضعت بموجب هذا القانون يدها على جميع الاملاك المنقولة وغير المنقولة التي كان يملكها هؤلاء اللاجئون ، إذ قدرت العقارات والاراضي الخاصة بهم بحوالي ٨٠ في المئة من القسم المحتل آنذاك . وشرعت على الفور في اقامة المباني والمستوطنات اليهودية عليها بعدما فتحت الباب على مصراعيه امام تدفق الهجرة اليهودية الى المدينة المقدسة [٩] .

وصبت الممارسات الاسرائيلية في مجرى تحقيق الحلم الصهيوني الذي عبر عنه مؤسس الصهيونية ثيودور هرتزل بقوله «اذا حصلنا يوما على القدس ،وكنت مأزال حيا وقادرا على القيام بشيء ، فسوف ازيل كل شيء ليس مقدسا لدى اليهود فيها، وسوف احرق الاثار التي مرّت عليها قرون»[١٠] .

ولم تُبالِ اسرائيل منذ احتلال القدس بالاحتجاجات العربية والدولية الرافضة لاجراءاته بشأن المدينة المقدسة ، ولابقواعد القانون الدولي المتعلقة بالاحتلال الحربي الذي لايخول دولة الاحتلال الا سلطات محدودة من اجل تمكينها من ادارة الاقليم الخاضع لسلطة احتلالها ، اي بمعنى بطلان اي اجراءات تشريعية او ادارية تقوم بها سلطات الاحتلال لتغيير الامر الواقع في الاقليم المحتل وهو ماينطبق بطبيعة الحال على الوضع في مدينة القدس [١١] .

استكمال الاحتلال واستمرار التهويد :

في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ شنت اسرائيل هجوماً شاملاً على الاقطار العربية المجاورة تمكنت خلاله من احتلال المزيد من الاراضي العربية . وتهيأت لاسرائيل آنذاك فرصة ذهبية لاستكمال احتلالها للمدينة المقدسة بصورة كاملة. وخلال اليوم الاول للحرب شنت القوات الاسرائيلية هجوما شاملا على القدس استهدف تطويقها واجبار سكانها على الاستسلام او الرحيل . وقبل صدور قرار وقف اطلاق النار بين الجانبين المتحاربين اقتحمت القوات الاسرائيلية القدس الشرقية (المدينة القديمة) في صبيحة السابع من حزيران عام ١٩٦٧ ، ودخل موشي ديان وزير الحرب

الاسـرائيلي الى القدس ليعلن امام حائط المبكى :»لقد اعدنا توحيد المدينة المقدسـة ، وعدنا الى اكثر اماكننا قدسية ، عدنا ولن نبارحها ابدا»[١٢]

امـا اسـحاق رابيـن رئيـس اركان الجيش الاسـرائيلي خلال حرب عام ١٩٦٧ ، ورئيس وزرائهـا لاحقا ، فقد كتب : «في سـنة ١٩٤٨ أُجبرنا على ترك القدس الشرقية بين ايدي العدو ومنذ انفجار الحرب الراهنة ، لازمنا الشـعور بـان علينـا ألا نضيّع هـذه الفرصـة التاريخية ثانية» [١٣] .

وباشـرت اسـرائيل فـور احتلالهـا القدس بتطبيـق الاجـراءات الكفيلة باحكام سـيطرتها على المدينة . فعلى الفور بدأت في سلسـلة من اعمال الهدم والنسف لاملاك عربية داخل السور وخارجه ، نجم عنها تشـريد المزيد من السكان العرب في القدس. وفي السـابع والعشـرين من حزيران عدّل الكنيسـت الاسـرائيلي من قانون اسـرائيلي اسـمه «قانـون الادارة والنظام لعام ١٩٤٨» باضافة فقرة اليه تنص على «تخويل الحكومة الاسرائيلية تطبيق ذلك القانون» على اي مساحة من الارض» ترى حكومة اسرائيل ضمها الى ارض اسرائيل» [١٤] .

وفـي الثامن والعشـرين من حزيـران عام ١٩٦٧ اصدرت اسرائيل قانونا يسري بموجبه «قانون الدولة وقضائها وادارتها» على القدس وبذلـك اصبح حوالـي المائة الف من السـكان العرب خاضعين للقانون والسـيادة الاسرائيلية المباشـرة . اعقبه في اليوم التالي صدوز قانون آخـر حلّت بموجبـه بلدية القـدس المنتخبة من عـرب القدس ،وفُصل امين القدس (اي رئيس بلديتها) مـن عمله ، وتم الحاق موظفي وعمال بلدية القدس ببلدية القسم المحتل من المدينة [١٥]

ولعـل اكثر القرارات تعسـفا في هـذا المجال والـذي مكـن اسـرائيل مـن وضع يدهـا على مساحات واسـعة من اراضي وممتلكات عرب القـدس تطبيقهـا لقانـون امـوال الغائبين على جميع الغائبين العرب عن القسـم المحتل الجديد للمدينة . كما انها اسـتغلت «قانون الاراضي _ اسـتملاك للمصلحة العامة لسنة ١٩٤٣» الذي كانت قد وضعته سـلطات الانتـداب البريطاني عـام ١٩٤٣ لاغتصاب مسـاحات واسـعة من الاراضي ، واعداد كبيرة من العقارات العربية بحجـة لزومهـا للغايـات او للخدمـات العامة في المدينة [١٦] . وكرسـت اسـرائيل سيطرتها القانونية على المدينة المحتلة حينما اقر الكنيست قانونا اساسيا في الثلاثين من تموز عام ١٩٨٠ يعتبـر «القدس الكاملة الموحـدة عاصمة ابدية لاسرائيل» [١٧] .

ومنذ اقـرار هذا «القانون» ، بـل منذ احتلال القدس ، بدات الحكومات الاسـرائيلية تسير في خطوات متتابعة لبلوغ هدف محدد وهوتحويل» القانـون» مـن الصياغة النظرية الـى التطبيق الفعلـي على الارض من خـلال برامج خاصة بالاسـتيطان والتهويـد ، مسـتندة فـي ذلك الى قوتها العسـكرية الكاسحة ، وعبر سبل رئيسة خمسة هي :

اولا- توسيع رقعة بلدية القدس الشرقية، وذلك بسلخ المزيد من اراضي الضفة الغربية .

ثانيا - مصـادرة الاراضي داخـل هذه الرقعة الموسـعة وخارجها ، ونقل ملكيتها من العرب الـى اليهود في تكـرار لمخططاتها تجاه القدس الغربية خلال السنوات ١٩٤٨-١٩٦٧ .

ثالثا- انفاق المال الوفير على تنظيم الاراضي

المصـادرة وبناء مسـتعمرات واحيـاء لليهود حصـرا ، قائمـة بذاتها ، مكتملة المسـتلزمات الاساسية والترفيهية .

رابعا- اسـتقدام امواج مـن المهاجرين اليهود الـى هـذه المسـتعمرات والاحيـاء باغراءات وتسـهيلات واعفـاءات ضريبيـة ، وقـروض متنوعة .

خامسـا- التضييـق علـى السـكان العرب في القـدس باسـاليب واجراءات متعسـفة بدءا من الضغوطات في السـكن ، والتعليـم ، والتنقل ، والخدمات ، والضرائـب ، وانتهاءا بالعقوبات والاهانـات الفرديـة والجماعية بغيـة اجبارهم علـى الرحيل او الانتشـار في الضفـة الغربية بعيدا عن القدس ومحيطها .

واردفت اسرائيل سياستها في التطهير العرقي والتمييـز العنصـري ضد السـكان العرب في القدس باستعمال آلة اصبحت كما يؤكد المؤرخ الفلسـطيني وليـد الخالـدي ، الرمـز الرهيـب للغطرسـة الاسـرائيلية ، الجرافـة (البلدوزر) «ضابطـة الاتصال بيـن اسـرائيل والمواطن العربي المقدسي العادي» [١٨] .

وحبسـت اسـرائيل القـدس الشـرقية داخل ثلاثـة دوائـر متراكـزة ، تصـب جميعها في المخطط الاسـرائيلي لاقامة (القـدس الكبرى) من خلال توسـيع حدود المدينة ، وهو ماا علنته صراحة منذ كانون الاول عام ١٩٧٤ .

الدائرة الاولى - الداخلية ، وقوامها حدود بلدية القدس الشرقية الموسعة ، وذلك بتوسيعها حدود بلدية القدس الشـرقية ، بضم مساحة واسعة من اراضي الضفة الغربية اليها. اذ توسـعت حدود بلدية القدس الشـرقية مـن ٦٠٠ دونم ٧٣٠٠٠ دونم وجعلتها تحت السيادة الاسرائيلية [١٩] .

ونشـط الاحتلال الاسـرائيلي بالاستيلاء على الاراضـي فـي القـدس بذرائـع مختلفـة . وقد وظفت مايسـمى بالمخططات الهيكلية لشرعنة مصـادرة الاراضي والممتلـكات [٢٠] . ونتيجة لهذه السياسـات لم يبقُ للمقدسيين اكثر من ١٣ ٪ من مسـاحة الاراضي في القدس لاستعمالها لاغراض البناء [٢١] .

الدائـرة الثانيـة _الوسـطى ، واسـمتهاالقدس الكبـرى ، وشـملت هـذه الدائـرة طوقـا مـن المسـتعمرات المسـتحدثة منـذ عـام ١٩٦٧ . وربطـت اسـرائيل هـذه المسـتعمرات بالبنية التحتية للقدس بشطريها الشرقي والغربي، كما ربطتهـا بها عبـر طرق التفافيـة وانفاق جديدة ومسـاحتها ٢٦٠٠٠٠ دونم من اراضي الضفة الغربية [٢٢] .

ووصولا الى العام ٢٠١٥ تكثفت اعمال البناء في ٢٥٣٤ وحدة اسـتيطانية في الضفة الغربية بما فيهـا القدس التي تحظى بالعـدد الاكبر من الوحدات الاسـتيطانية غالبـا. وفي الربع الاول مـن عام ٢٠١٦ تصاعد البناء الاسـتيطاني في الضفـة الغربيـة بما فيها القدس بنسـبة ٢٥٠٪ بالمقارنة مع المدة ذاتها من عام ٢٠١٥ [٢٣] .

الدائـرة الثالثة_الخارجيـة ، اسـمتهاحاضرة القـدس ، وشـملت هـذه الدائرة طوقـا ثانيا من المسـتعمرات المسـتحدثة في الضفة الغربية ، وبلغت مساحة هذه الدائرة ٣٤٠٠٠٠ دونم [٢٤]

ودلالات هـذه الارقـام تتبـدى بوضوح اذا ماعلمنـا ان مسـاحة الارض التـي كانـت في حوزة اليهود عـام ١٩٤٨ في القدس ومحيطها لـم يكن يتجـاوز ١٢٥٠٠ دونـم . وبعدما كان الفلسطينيون يمتلكون ١٠٠٪ من الاراضي قبل

عـام ١٩٦٧ اصبحوا يملكـون ١٤٪ منها ، ثم هبطت النسـبة الى ١٠٪ . وخصص ٣٤٪ من اراضي الفلسـطينيين المصـادرة لبناء الاحياء اليهودية و٤٠٪ لاقامة مناطق خضراء و٧٠٪ اراضـي غيـر مسـتعملة و٣٪ اراضي مجمدة و٦٪ بنية تحتية وشـوارع [٢٥]. ومنذ حزيران عـام ١٩٦٧ صـادرت حكومـات اسـرائيل المتعاقبـة ٣٠٪ من مسـاحة القدس الشـرقية ، غالبيتها العظمى تعود لاصحابها الفلسـطينيين حيـث بُنيـت فـوق هـذه المسـاحات اكثر من ٤٠٠٠٠ وحدة سكنية خاصة باليهود . ومن بقية الاراضـي التي لم تصـادر ظل حتى اليوم نحو ٦٠٪ من دون تخطيط . ومن بقية المساحة التي خطـط لها وهو ماتم في وقت متأخر جدا تركت نسـبة ٤٤٪ منطقة مناظر طبيعية مفتوحة، في خطوة مكشـوفة لقطع الطريق على اي مطالب للفلسـطينيين لطلب تراخيص بناء فيها . وهكذا لايتبقى من كل مسـاحة القدس الشـرقية سوى ١٠٪ يمكـن البنـاء عليـه ، وحتى هذه النسـبة لايمكـن الجـزم بامكان البنـاء فوقها لان قطاع البنـاء لدى الجانـب العربي يواجـه صعوبات متراكمـة ، وبالغة التعقيد في البناء في المناطق المسـموح البناء فيها بترخيص ايضا [٢٦] . مما يعني ان قضم المزيد من الاراضي والاستمرار في سياسة الاسـتيطان والتهويد هي من ثوابت الاستراتيجية الاسـرائيلية تجاه القدس وغيرها مـن الاراضي المحتلة في فلسـطين . في وقت تتزايـد فيه سياسـة هدم البيوت التـي بدأت بها اسـرائيل منـذ العام ١٩٤٨ ومازالت مسـتمرة حتى الان . وتشـير المعطيات الى ان الاحتلال هدم نحـو ١٥٨٥ منزلا في القـدس بين عامي ٢٠٠٠ و ٢٠١٥ وتضمن ذلك اكثر من ٥٦٣٧ مقدسيا [٢٧] .

ويتـذرع الاحتـلال ان المبانـي التـي يهدمها غير مرخصة ، فيما تفرض سـلطاته شـروطا تعجيزية ومَكلفة على المقدسيين للحصول على رخصة البناء .التي تصل كلفتها لشـقة سـكنية بسـعة ١٠٠ متر مربع نحـو ٥٠ر٠٠٠ دولار امريكي [٢٨] .

وقد نشـرت صحيفـة هآرتس الاسـرائيلية في نهاية عام ٢٠١٥ تقريرا ذكرت فيه ان ٧ ٪ فقط من رخص البناء في القدس تُمنح للفلسطينيين[٢٨] .وتتحـدث الارقام الصـادرة عن (أوتشـا) انه حسـب الخارطة الهيكلية للقـدس ٢٠٠٠ والتي صادقـت عليهـا لجنة القـدس المحليـة للتنظيم والبنـاء ، فـان مايقرب مـن ٢٨ ٪ على الاقل من مجمل البيوت الفلسطينية الواقعة في القدس الشرقية قد بُنيت بشكل مخالف لاسس التخطيط الاسرائيلي . ونتيجة لذلك فان ٦٠٪ من السكان الفلسـطينيين على الاقل مهددون بهدم منازلهم وتعتبر هـذه التقديرات متواضعـة ، وقد تصل النسبة الى ٤٦ ٪ [٢٩] .

وبحكم الواقع القانونـي الذي فرضه الاحتلال علـى المقدسـيين فانهـم يحملون بطاقـة اقامة دائمة تسـمى (البطاقـة او الهوية الزرقاء) التي يصبح صاحبها خارج القانون في حالة سُـحبت منه وثمة ذرائع كثيرة يختلقها الاحتلال لسحب هـذه الهويات من المقدسـيين ، منها : عدم دفع الضرائب ، والاسباب الامنية ، وعدم اثبات ان القدس هي مركز عيش الانسان المقدسي[٣٠].

وتشـير الاحصائيات الى ان الاحتلال سـحب ١٤٤٨١ بطاقـة منـذ عـام ١٩٦٧ حتـى عام ٢٠١٤ مايمهـد لطرد اصحاب هـذه البطاقات الى خارج القدس [٣١] .

ترافقت سياسة ابتلاع الارض مع سياسة ديموغرافية متوازية بغية تحقيق المخطط الاسرائيلي بعيد المدى. فمنذ عام ١٩٦٧ توالت مشاريع الحكومات الاسرائيلية والمخططات الهيكلية لمنع زيادة نسبة السكان المقدسيين داخل مدينتهم ، حيث بلغ عدد سكان القدس بشطريها الشرقي والغربي عام ٢٠١٤ حسب معهد القدس لبحث السياسات ٨٠٠ – ٨٤٩ نسمة ، يتوزعون بنسبة ٦١٪ يهود و٣٧٪ عرب . اما في الشطر الشرقي من القدس فتشير الارقام الصادرة عن المعهد نفسه ان عدد سكانه عام ٢٠١٢ بلغ ٥٢١ر٠٠٩ نسمة بواقع ٣٠١ر٠٠٦نسمة اي بنسبة ٥٨٪ من العرب ، و٢٠١ر٢٠٠نسمة بنسبة ٣٩ ٪ من اليهود [٣٢] .

ويذكر الباحث المقدسي عبد الرؤوف ارناؤوط انه في مطلع عام ٢٠١٦ بلغ عدد سكان القدس بشطريها نحو ٨٢٩ ألف نسمة ، بينهم ٣٠٧ آلاف فلسطيني شكلوا ٣٩ ٪ من سكان القدس . فيما تشير مصادر اخرى الى ان عدد الفلسطينيين في الشطر الشرقي من القدس بلغ ٣٢٤ ألفا حتى نهاية عام ٢٠١٥ [٣٣] وهو رقم قريب من الرقم الصادر عن جمعية حقوق المواطن في اسرائيل الصادر في الثاني عشر من شهر مايس /آيار ٢٠١٥ ، ويشير الى ان «عدد الفلسطينيين في القدس بشطريها بلغ ٣٢٠ ألفا، ويشكلون نسبة ٨,٣٦٪ [٣٤] .

ويلخص الصحافي الاسرائيلي نداف شراغاني جوهر سياسة الاستيطان لدى الساسة اليهود منذ اللحظات التي أُحتلت فيها القدس الشرقية قائلا: (لقد فهم زعماء المدينة الاستيطان في القدس الشرقية على انه العودة الحقيقية الى صهيون ، وكان ذلك الفهم سياسيا بصورة علنية ، وقد تلخصت توراة السياسة الاسرائيلية في المناطق التي ضُمت الى القدس والذي اقُرّ كـ «هدف قومي» تحديد النسبة بين السكان اليهود والعرب بمعدل ٧٦٪ ، وكان ذلك على حساب السكان العرب في المدينة ، اذ ان معدل ازدياد عددهم ظل ، طوال العام اعلى منه لدى السكان اليهود، ومع ذلك فقد بُنيت لهم وحدات سكنية اقل كثيرا مما بُني لليهود) [٣٥] .

اما سياسة الازدواجية التي في التعامل مع العرب المقدسيين فتتوضح ولاسيما حين شرعت سلطات الاحتلال ببناء احياء يهودية او مستوطنات جديدة ، واستادا الى شراغائي نفسه « من حينٍ لاخر اطلق سياسيون اسرائيليون بيانات عن (مشاريع) بناء للقطاع العربي في القدس الكبرى ، ذلك كان على الدوام في توقيتٍ مريب ، تقريبا، كانت تلك البيانات موجهة لموازنة قرارات ببناء يهودي ، وتكشف في الغالب ، ان الامر لايعدو كونه اقوالا لاتغطية لها ، وانها اطلقت لضرورات دعاوية» [٣٦] وتدليلا على هذه السياسة المزدوجة يمكن الاشارة الى مثال معبر يتعلق بالميزانية التي خصصتها السلطات الاسرائيلية لبلدية القدس في عام ٢٠١٦ ، فقد بلغت اقل بقليل من ٧ مليار شيكل ، اي مايعادل دخل السلطة الفلسطينية من دون اموال الدعم الخارجي . وتبدو الصورة اكثر قتامة اذا ماعرف ان البلدية خصصت اقل من ١٠٪ لمناطق يسكنها الفلسطينيون الذين يشكلون اكثر من ٣٥٪ من مجموع سكان مدينة القدس . والامر اللافت في تللك الميزانية ان نسبة الـ ١٠٪ المخصصة للفلسطينيين تتضمن اقامة حدائق عامة كي تمنع بناء مساكن لهم فيها[٣٧] .

واستمرارا لسياسة المحتل الاسرائيلي في فرض واقع الاحتلال وتهويد القدس للسنوات القادمة فقد اقر مجلس التخطيط الاعلى التابع للحكومة الاسرائيلية مشروعا استيطانيا ضخما في القدس . اطلق عليه المخطط الاسرائيلي للقدس عام ٢٠٣٠ باقامة ٦٨ وحدة استيطانية ، وسيرتفع عدد المستوطنين في القدس من ٦٩٠ ألف مستوطن الى ٩٠٠ألف مستوطن عند الانتهاء من المخطط ،، وهو تكملة لمشروع عام ٢٠٢٠ ، ويشمل المشروع اقامة ٥٦ ألف وحدة استيطانية على طول المنطقة الممتدة من غرب مدينة رام الله الى غرب مدينة بيت لحم جنوبا ، ويتم تنفيذه حتى عام ٢٠٣٠ . وقد اعلن عن هذا المخطط في عام ٢٠١٢ تحت اسم «المخطط الهيكلي للقدس برقم ١٣٢٦١» ، يدعو الى اقامة منطقة سكنية استيطانية جديدة على مساحة٧٠٠ر٢دونم من اراضي فلسطينية تابعة لبيت جالا. كما يهدف المشروع الاستيطاني الى اقامة ٩٢٤ وحدة استيطانية على مساحة ٤٩٨ر٨٤ م٢ بناء اجمالي فضلاً عن مناطق تجارية ومؤسسات رياضية على ان تضاف اليها ٣٠٠ وحدة استيطانية في المستقبل[٣٨]. وقد تم البدء بتنفيذ المشروع في شهر تموز من العام ٢٠١٦ ويهدف الى تخفيض عدد الفلسطينيين من ٣٧٪ الى ١٢٪ عند الانتهاء منه . وقد رصدت اسرائيل ٢٥ مليار دولار لتنفيذه ، ويعد هذا المبلغ اكثر من موازنة السلطة الفلسطينية خلال عشر سنوات .كما يهدف المخطط الى اخراج بلدات فلسطينية كاملة من القدس مثل قلنديا وكفر عقب والعيزرية وابو ديس التي لاتبعد سوى كيلومتر واحد عن المسجد الاقصى ، وضم كتل استيطانية اقيمت على اراضٍ فلسطينية مصادرة الى القدس المحتلة ، وهي تبعد اكثر من ١٠ كيلومتر عن الاقصى مثل مستوطنة «معاليه أدوميم» [٣٩].

وتهدف اسرائيل من مخطط ٢٠٢٠ و٢٠٣٠ الى تدميرٍ واسع للوجود الفلسطيني في المدينة مع سياستها الرامية لهدم ٢١ ألف منزل فلسطيني بحجة البناء من دون ترخيص مع سحب ١٥٠ ألف بطاقة هوية من المقدسيين لتكتمل حلقات التهويد والتهجير والتدمير التي تقوم بها سلطات الاحتلال [٤٠]

اتخذت اسرائيل خطوات ابعد لتحقيق هدف تهويد القدس ، وتمثل ذلك في مجالين اولهما بناء الجدار العازل وتهديد المسجد الاقصى، وثانيهما مضاعفة محاولات تغيير الوضع القانوني والسياسي للقدس .

الجدار العازل:

بدأت اسرائيل منذ عام ١٩٩٣ ، بعد اتفاق اوسلو بعزل القدس عن الضفة الغربية عبر حواجز عسكرية نصبتها على طرقات القدس وفرضت على فلسطينيي الضفة الحصول على تراخيص للوصول الى شرق القدس . وشكلت انتفاضة الاقصى التي اندلعت عام ٢٠٠٠ محطة فارقة في تاريخ الصراع في الاراضي الفلسطينية المحتلة ، وضعت الاحتلال في حالة تأهب قصوى يحاول معها منع العمليات الفدائية قبل وقوعها ، وابتكر فكرة بناء الجدار لتُسوّق للاسرائيلين على انها خشبة الخلاص من عمليات المقاومة الفلسطينية [٤١] .

وفي الواقع فان فكرة بناء الجدار تعود الى

عام ١٩٩٢ اقترح اسحاق رابين بناء جدار في اعقاب قتل مستوطنة في القدس وفي العام ذاته بنت حكومة رابين الجدار مع القطاع . وفي عام ١٩٩٥ شكل اسحق رابين لجنة «شاحال» لمناقشة بناء جدار يفصل الاسرائيليين عن الفلسطينيين ، كما كان شعار الحملة الانتخابية لايهود باراك عام ١٩٩٩ « السلام عبر الانفصال ، نحن هنا ، وهم هناك»[٤٢] .

هيأ استمرار عمليات المقاومة بعد اطلاق الاحتلال عملية «السور الواقي» في آذار _ أيار ٢٠٠٢ للقضاء على انتفاضة الاقصى مجالا لتكريس فكرة الجدار في الضفة الغربية بشكل فعلي والاستناد الى هذه العمليات التي تستهدف امن اسرائيل لتشكيل رأي عام مؤيد لفكرة الجدار المادي بين الاسرائيليين والفلسطينيين لكن العامل الامني كان اقوى ، وان تم تقديمه كسبب لبناء الجدار [٤٣] .

بدأت اسرائيل بناء الجدار في حزيران عام ٢٠٠٢ في الضفة الغربية بما فيها القدس ويبلغ طول الجدار حول القدس ١٤٢ كيلومترا في حين يبلغ مجمل طول الجدار ٧١٢ كيلومترا ، وارتفاعه مابين ٤ _ ٨ أمتار ويعادل طول الجدار أكثر من ضعفي طول (الخط الاخضر) او مايعرف بخط الهدنة الممتد بين الضفة الغربية واسرائيل بموجب اتفاقية رودس لعام ١٩٤٩ [٤٤] ، ويقع المسار بمعظمه في الاراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ خارج مسار «الخط الاخضر» البالغ ٣٢٣ كيلوتر مربع [٤٥] .

وتختلف مكونات الجدار باختلاف المناطق والمواقع التي يشيد فيها ، وهو يشتمل على الاسلاك الشائكة ، والممرات الترابية ، والطرق المفروشة بالرمل ، بما يسمح بأقتفاء اي اثر في حال حدوث اختراق . كما يشتمل الجدار على خنادق وكاميرات مراقبة وأسيجة الكترونية ومقاطع اسمنتية يصل طولها الى ٨أمتار ، وتتركز بشكل خاص بين القرى والاحياء (في المناطق الحضرية) في القدس وطول كرم وقلقيلية [٤٦] .

ويبين تتبع مسار الجدار والتفافاته في الضفة ان ثمة اسبابا لانشائه تتعلق بالمستوطنات وتوسيعها ، وبأمن المستوطنين.وذكر تقرير صادر في أيلول عام ٢٠٠٥ عن جمعيتي «مخططون من اجل القدس» و(بتسليم) انه وبخلاف ماتدّعيه الحكومة فان مخططات التوسع الاستيطاني لعبت دورا مهما في تخطيط مسار الجدار ، وفي بعض الحالات فان التوسيعات تشكل مستوطنة جديدة بكل ماتعنيه الكلمة [٤٧] .

وقد اعترفت بلدية الاحتلال بان الاعتبار في تحديد مسار جدار الفصل تدخلها اعتبارات اخرى. فهو ليس بدواعٍ امنية ، بل سياسية وديموغرافية ، فهو كسكينٍ يقطع شرايين الحياة ليشكل طوقا يخنق المدينة . ولقد اعترف رئيس بلدية القدس منير بركات « باننا لسنا بحاجة الى ٦٠ ألف فلسطيني يسكنون خارج اسوار الجدار» [٤٨] . ويعيش في المدينة ٣٠٠ألف عربي يحملون بطاقات الهوية الزرقاء ، و٧٥ ألفا يعيشون داخل الجدار فضلاً عن ١٢٥ ألف يعيشون خارجه[٤٩] .

وهكذا حرصت اسرائيل على ان تكون الكتل الاستيطانية الكبرى الواقعة في الضفة الغربية على الجانب الاسرائيلي من الجدار وهو الامر الذي يندرج ضمن سياسة خلق

حقائق على الارض بحيث تكون المستوطنات جزءا من «دولةاسرائيل» في حال التوصل الى تسوية سياسية مع الجانب الفلسطيني [٥٠] وتهدف اسرائيل من وراء ذلك الى المحافظة على تفوق ديموغرافي يميل لمصلحة اليهود على حساب الفلسطينيين . فمن جهة اولى يعتبر ضم الكتل الاستيطانية الكبرى في الضفة الى المسار الداخلي للجدار ،ووضعها عمليا ضمن الحدود الحالية لبلدية القدس ، تعزيزا للوجود اليهودي في المدينة. ومن جهة اخرى ، فان اخراج عدد من المناطق او القرى الفلسطينية من اطار الحدود البلدية ووضعها على جانب الضفة من الجدار يعكس محاولة تقليص الوجود الفلسطيني في القدس في ظل التعامل مع هذه الاحياء على انها جزء من الضفة واسقاطها من حسابات الخدمات التي يفترض ان تحصل عليها من بلدية القدس بحكم انها تابعة لها [٥١] .

واستكمالا لسياستها في هذا المجال ، اتخذت اسرائيل اجراءات فصلت وميّزت بين اهالي القدس ، بين من يقيم داخل الجدار العازل وبين من أُجبر على الاقامة خلف الجدار وهو مُهدد بسحب الاقامة ، فضلا عن الصعوبات التي يجدها في التنقل والعمل [٥٢] .

كذلك فان اسرائيل استغلت بناء الجدار لتحقيق مآرب اخرى ، اذ اعترف المستشار القضائي السابق لاسرائيل مئير شمغار بان جدار الفصل العنصري الذي أُقيم حول مدينة القدس يتيح للقيم على اموال الغائبين ان يستولي على املاك الفلسطينيين الذين يسكنون خارج الجدار . وهذا الوضع الناشيء عن الجدار سلب من الفلسطينيين اراضيهم وممتلكاتهم التي انتقلت الى الحارس على املاك الغائبين [٥٣] .

فضلاً عن تاثير الجدار العازل على سلب اراضي الفلسطيين وممتلكاتهم ، فانه فرض قيودا على تحركات المقدسيين، اذ تسبب الجدار العازل بتقييد وصول عشرات الالاف من المسلمين والمسيحيين من الضفة الغربية وقطاع غزة الى الاماكن المقدسة في القدس ، لاسيما في المسجد الاقصى وكنيسة القيامة . وهو هدف يصب في نهاية المطاف في مصلحة سياسة التهويد التي تسعى اسرائيل لجعلها امرا واقعا مع مرور الوقت .

المسجد الاقصى

مع احتلال اسرائيل للقدس الشرقية في العام ١٩٦٧ أرسى موشي ديان وزير حرب اسرائيل موقفا اتبعته الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة ، وذلك بحظر دخول اليهود الى الاقصى لاعتبارات تتعلق بالشريعة اليهودية . الا ان تغيرات طرأت على هذا الموقف وصلت عام ١٩٩٦ الى اصدار مجلس حاخامات الضفة الغربية (التيار الديني الصهيوني) فتوى تسمح لليهود، وتشجعهم على زيارة الاقصى وتحث كل حاخام على الذهاب الى الاقصى وارشاد رعيته حول طريقة الزيارة وفق الشريعة اليهودية . وكانت هذه الفتوى مقدمة لفتاوى لاحقة سمحت بتزايد الاقتحامات، مع تزايد محاولات اداء صلوات تلمودية في المسجد [٥٤]

وفي الواقع فان تحقيق الوجود اليهودي في المسجد الاقصى هدف دائم للاحتلال ، وهو جزءٌ من مشاريع التهويد التي يتعرض لها المسجد الاقصى خاصة والقدس بشكل عام هذا الهدف الذي تتم ترجمته عبر مسارين ؛ الاول هو حضور الاقصى في الخطاب السياسي والديني لدى الاحتلال ، والمسار الثاني اكمال

الاحتـلال فرض سـيطرته علـى الاقصى بعد الحفريـات العديدة التي تتموضع حول الاقصى وفي محيطه [٥٥] .

مشـاريع التهويد التي يواجهها الاقصى تتجلى في عدد من الانساق التهويدية . فالى جانب حادث احراق المسـجد الاقصى في الحادي والعشرين من آب عام ١٩٦٩ ، واصلت اسـرائيل سياسة منظمة لتقويض الاثار الاسلامية وتدميرها بدءً بهـدم وازالة العديـد من المسـاجد والاضرحة والاماكـن الاثرية التي تعـود لعهود طويلة من التاريـخ العربي والاسـلامي، ومرورا باجراء الحفريات الاثرية حـول قبة الصخرة .وخالفت اسـرائيل كل ماهو متبع وشـائع في العالم عند البحث عن الاثار باستخدام طرق الحفر اليدوي وآليات ضخمة للحفر واجهزة متطورة لاحداث موجـات اهتزازية ضخمة ، وشـق نفق طولي تحت السـور الجنوبي للمسجد ، بهدف مقصود هـو تقويض المسـجد من الاعمدة والاسـوار والجـدران [٥٦] . ووصـولا الـى منتصف العام ٢٠١٦ كان عـدد الانفـاق التـي حفرتها تحت الاقصى وفي محيطه قد بلغ ٦٣ نفقا وحفرية[٥٧]

ويسـعى الاحتـلال لتكريس سـيطرته الكاملة على الاقصى ، وفرض نفسه كمرجعية لادارته مـن خلال فـرض التقسـيم الزمانـي والمكاني للمسـجد بين المسـلمين واليهود ، لاسيما وانها نجحت في تحقيق هـذا الهدف من خلال ابتلاع نصف الحرم الابراهيمي وتحويل جزء منه الى كنيس يهودي ، رغم مخالفة ذلك للقانون الدولي الذي يحظر على اسـرائيل تغيير هوية الاماكن التاريخية او طمس معالمها [٥٨] .

حاولت اسـرائيل ايجـاد موطيء قـدم لها في المسـجد الاقصى مـن خلال اسـاليب جديدة ، تمثلت في الاقتحامات المتكررة من المستوطنين اليهود وحتى المسؤولين الرسميين الاسرائيليين ففـي عام ٢٠٠٠ اقتحم أرئيل شـارون مع عدد من اعضاء «الكنيسـت (البرلمان الاسرائيلي) « برفقـة جنـود اسـرائيليين المسـجد الاقصى ممـا ادى الـى انفجار انتفاضـة الاقصى بوجه الاحتـلال[٥٩] وتهدف اسـرائيل من الاقتحامات المتكررة الى التمهيد للوصول للتقسيم المكاني للمسـجد ، نظرا الى تمكـن الاحتلال من خلال فـرض الامـر الواقـع ، الحفـاظ علـى وتيرة الاقتحامات خلال الاوقات الصباحية ، والمضي فـي جعـل وجـود المسـتوطنين فـي الاقصى امرا واقعا , وتؤشـر الارقـام المتصاعدة لعدد الاقتحامات للمسـجد الاقصـى حقيقة المخطط الاسـرائيلي تجاه الاقصى . فعلى سـبيل المثال سـجل عام ٢٠١٦ اعلى نسـبة لعدد المقتحمين اليهـود للاقصى منذ احتلال القدس عام ١٩٦٧ اذ بلـغ عددهم ١٤٫٨٠٦ مقتحمـا بزيادة مثلت نسـبة ٢٨٪ عن نسـبتهم في عام ٢٠١٥ ، فيما زادت نسبتهم ١٥٠٪ بالمقارنة مع عام ٢٠٠٩. اما عدد من تسـميهم اسـرائيل «السياح» الذين يقتحمون الاقصى فقد بلغ (٢١٧٦٢٠) يضاف الى ذلك ١١٦٥ جنديا اقتحم الاقصى خلال عام ٢٠١٦ [٦٠] .

وترجع اسـباب هذه الزيادة الكبيرة في عدد مقتحمي الاقصى الـى نجاح الاحتلال في تقييد المصليـن والمرابطين والمرابطـات وحراس الاقصى ، وحظر واغلاق عشرات المؤسسات في القدس والداخل الفلسطيني الداعمة للاقصى . فعلـى سـبيل المثـال اصـدر وزيـر الحرب الاسـرائيلي بتاريخ التاسـع مـن ايلول ٢٠١٥ قـرارا بحظـر ماسـماه «تنظيمـي المرابطين والمرابطات» . وفي تشـرين الثانـي من العام نفسـه حظرت اسـرائيل الحركة الاسلامية _

الجناح الشمالي مع ١٧ مؤسسة تابعة لها ، وهو مااثـر في حركة الربـاط والتصدي للاحتلال . وتسـتهدف اسـرائيل رواد الاقصـى بالضرب والاعتقـال والابعـاد وفرض الغرامـات ، الى جانب فـرض القيود العمرية علـى المصلين ، واغلاق بوابات المسـجد الاقصى للضغط على المقدسيين ومنعهم من المجيء للاقصى [٦١] .

حـاول المجتمع الدولي التصدي للاجراءت الاسرائيلية بشأن القدس عبر المنظمات الدولية واجهزتهـا االمختلفـة ، ومـن خـلال الاتحـاد الاوربـي والفاتيكان ، فقد صـدر عن الجمعية العموميـة ومجلس الامن ، ومجلـس الوصاية واليونسـكو، ومنظمـة العمل الدوليـة ، ولجنة حقـوق الانسـان مايـنوف عـن المئة قـرار [٦٢] تشـجب تدابير اسـرائيل على انواعهـا لتغيير الوضـع الخـاص بمدينـة القـدس ، ولكن دون جـدوى . اذ لم تسـتجب اسـرائيل لاي من تلك القـرارات ، وقابلتها بتجاهل تام واصرار على مواصلة سياستها المعلنة بشأن القدس .

مشاريع التسوية الاسرائيلية وحقيقة المخطط الاسرائيلي تجاه القدس :

منذ احتلالها القدس لم تألُ اسرائيل جهدا في سـبيل طرح مشروعات لتسـوية قضية المدينة المقدسـة ، وهذا يؤكـد ان موقـع مدينة القدس على خارطة هذه المشروعات ومركزيتها ليس في السياسات الاسـرائيلية فقط وانما في الفكر السياسي لاسرائيل عموما .

وعلـى الرغم مـن تباين اسـماء وتواريخ هذه المشـاريع واختلاف الاطروحات التي اوردتها الا ان العنصـر الرئيس والحاسـم فيها جميعها تأكيدهـا على العقيـدة الصهيونية في التمسـك بالقـدس، ومواصلة الاسـتيطان فيها، ورفض ازالة المستوطنات .

بلـغ عـدد هـذه المشـاريع اكثر من عشـرين مشـروعا [٦٣] ، ومن المهم التذكير بحقيقة مهمة وهي ان معظم هذه المشـاريع طُرحت من قبل الحزبين الحاكمين في اسـرائيل العمل والليكود وهـي ان اختلفـت ظاهريا في اسـاليب التكتيك والمـدار الزمنـي لتحقيقهـا ، فـان المنظومـة الاسـتراتيجية للاهـداف البعيـدة المدى بشـأن المسـائل الجوهرية للسياسـة الاسـرائيلية من الثوابت التي لاتحتمل التغيير .

فمبـادرة شـارون عـام ١٩٨٩، مثـلا، والتي جـاءت بهدف وقف وتصفيـة الانتفاضة اكدت على ان «القدس ستبقى موحدة» ، دون اي مكان للاخريـن فيها ، وفي اي تسـوية يتـم التوصل اليهـا ، فـان الامـر سـيبقى بأيدي اسـرائيل ، والجيش الاسرائيلي، والشين بيت (جهاز الامن الداخلي) سـيكون لها مطلق الحرية في الحركة والعمل « [٦٤] .اما مبادرة السـلام الاسـرائيلية لعام ١٩٨٩ وهي المبادرة التي اقرتها الحكومة الاسـرائيلية بخصوص انهـاء حالة الحرب مع الدول العربية وتصـورات الحل لعرب الضفة وقطـاع غزة ، والسـلام مـع الاردن ، فانها لم تتطـرق الـى القـدس نهائيـا . وفي مناقشـات الكنيسـت للمبـادرة اكد اسـحق شـامير رئيس الحكومة الموقف من القدس قائلا (طرح بعض الاعضاء نقاطا مختلفة تتعلق بمبادرة السـلام ، فقـد طرحوا مثلا موضـوع القدس .. ان القدس ليست جزءا من المبادرة القدس عاصمة شعبنا الابدية وعاصمة دولتنا الابدية) [٦٥] .

الاطروحـات الاسـرائيلية التقليديـة بشـأن القـدس لم تختلـف حتى في التسـويات اللاحقة

التــي بدأت منــذ مؤتمر مدريد مرورا بأوســلو وانتهــاءا بمفاوضــات الحــل النهائــي بكامــب ديفيد(الثانية) فاذا كانت مشاريع السلام جميعها حســب التصور الاســرائيلي معدُة لانهاء عقود من الصراع مع جيرانها العرب والوصول الى صيغ حلٍ للمشــاكل القائمة معهم فان القدس في اطــار هذا المشــروع ظلت في اطــار الاجماع الاسرائيلي على اهميتها ، وأُرجا البحث حولها الى مفاوضات الحــل النهائي . وهذا يؤكد قول بن جوريون انه لامعنى لاسرائيل بدون القدس ولامعنى للقدس بدون جبل الهيكل [٦٦] .

فعلــى الرغم مــن الســياق الظاهــري المعلن للحكومــات الاســرائيلية المتعاقبة منذ اوســلو وحتــى الان بخصــوص التوقــف عــن بنــاء مســتوطنات جديــدة فــي القــدس وباقــي مدن الضفــة الغربيــة ، الاانه جرى دائمــا الالتفاف حول هــذه النقطة بزيــادة الكثافة الســكانية في هــذه المســتوطنات لتحويلها الى قلاع بشــرية واقتصادية تحطم النســيج التاريخي والجغرافي والبشــري بين الاراضــي الفلســطينية المحتلة [٦٧] وتعكــس تصريحات احد مســؤولي الليكود الكبــار طبيعــة المخططــات الاســرائيلية تجاه القــدس بالتأكيد على ان هدف اســرائيل النهائي هو(القــدس الكبــرى الموســعة ، يهوديــة نقية وكتلــة اســتيطانية ضخمــة تمزق والــى الابد الوحدة الجغرافية للضفة الغربية) [٦٨] .

ويشمل هذا المخطط في المرحلة الاولى وصل الاجزاء الشرقية(اليهودية) في القدس باجزاءها الغربية ، وتحويل الاحياء العربية في القدس الى «جيتــوات» فقيرة ومعزولة يتم تفتيتها تدريجيا الــى وحدات ســكنية صغيرة جــدا وصولا الى تطويق القدس بالحزام الاســتيطاني واستكمال تهويدهــا في مرحلة لاحقة مع مايرافق ذلك من سياسات تمييزية وتعسفية لاجبار عرب القدس على الرحيــل او بيع اراضيهــم للوافدين الجدد من اليهود[٦٩] .

ورغم اعلان اســرائيل منذ مرحلة أوســلو عن نواياها الســلمية لانهــاء صراعها مــع العرب وعن اســتعدادها لتقديم تنازلات لانقاذ «عملية الســلام» ، الا ان الوقائــع علــى الارض تؤكد عكس ذلك . فضلاً عن رفض اسرائيل المستمر للتفســير العربــي للقرار ٢٤٢ الــذي يدعو الى انســحابها من كافة الاراضــي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ، فان اللاءات الاسرائيلية بشأن مناقشة قضية القدس مازالت من ثوابت السياسة الامنية لاسرائيل . ومرور اكثر من عقدين على اوسلو اثبتت ان المفاوضات السلمية ، كما يؤكد كاتب عربي تحولت الى « مفاوضات للمفاوضات « فقط [٧٠] .

الاصرار الاســرائيلي على مركزية القدس في الاستراتيجية الاسرائيلية، وتجيير المفاوضات مع العرب لصالح حسمها للمصلحة الاسرائيلية تجلت في قمــة كامب ديفيد الثانيــة التي عقدت فــي الولايــات المتحدة فــي الحادي عشــر من تموز عام ٢٠٠٠ بحضــور الرئيس الامريكي بيل كيلنتون لدفع المفاوضات بين الفلســطينيين والاســرائيليين الى امام بعد ان وصلت الامور بينهما لطريق مسدود .

فقبيــل ســفره الــى كامب ديفيــد وجــه ايهودا باراك رئيــس الوزراء الاســرائيلي خطابا الى الاسرائيليين اكد فيه مجددا تمسكه بـ «الخطوط الحمر» اي النقاط الخمســة التــي قال انها غير قابلة للتفاوض . واكد ان القدس ســتظل موحدة تحــت الســيادة الاســرائيلية ،وان اســرائيل لن

تنسحب ابدا من كل الاراضي الفلسطينية التي احتلت عام ١٩٦٧ ، وان المستوطنات الرئيسة التي يعيش فيها نحو ٨٠٪ من المستوطنين ستُظم الى اسرائيل ، وانه لن يُسمح ابدا للاجئين الفلسطينيين العودة الى اسرائيل ، ولن يُسمح لجيش اجنبي بالانتشار غرب نهر الاردن [٧١] .

طرح باراك في كامب ديفيد ، مراهناعلى الانقسامات العربية ، وضعف السلطة الفلسطينية نتيجة التشرذم الداخلي ولاسيما تجاه مسار التسوية ، تصوراته لاتفاق شامل يُرّسم انهاء الصراع الفلسطيني_الاسرائيلي ، في مقابل فقط، اعتراف اسرائيل بدولة فلسطينية دون حدود، ولاتكون القدس عاصمتها ،وتقوم على ٨٨٪ [٧٢] من اراضي الضفة وقطاع غزة[٧٣] .

لم يحظَ الاقتراح الاسرائيلي بموافقة الفلسطينيين ، فاضطر باراك الى التراجع والقبول بمقترح اميركي يقضي بتقسيم القدس الى ثلاث قطاعات : قطاع تحت السيادة الاسرائيلية ؛ وقطاع تحت السيادة الفلسطينية ؛ ويوضع قطاع تحت سلطة الفلسطينيين الادارية[٧٤] .

والى جانب ذلك اقترح احد اعضاء الوفد الاسرائيلي وهو شلومو بن_عامي ،انموذجا اطلق عليه «حكم خاص بالبلدة القديمة» . وحسب هذا الاقتراح يحصل الفلسطينيون داخل اسوار البلدة القديمة على حقوق ادارية كاملة ، وعلى حكم ذاتي شبه كامل، شرط بقاء القانون المطبق على هذه المناطق اسرائيليا . وفضلاً عن ذلك تفرض ادارة فلسطينية دينية كاملة على الحرم القدسي يطلق عليها (سيادة دينية) او (سيادة على املاك الغائب) وطالب بن_عامي رسميا ،لاول مرة ، ان يحصل الاسرائيليون على زاوية صلاة في الحرم القدسي بالتنسيق مع الحاخامية اليهودية الرئيسة [٧٥] .

الاقتراحات الاميركية_ الاسرائيلية واجهت تصلبا واضحا من الوفد الفلسطيني الذي كان يرأسه آنذاك الرئيس ياسرعرفات، اذ رفض الرئيس عرفات الاقتراح قائلا:» انها تنتقص من حقوق الفلسطينيين والعرب والمسلمين والمسيحيين في المدينة المقدسة ، التي اقرتها قرارات الشرعية الدولية « . وعدّ عرفات اطروحات الاسرائيليين بشأن القدس «خطوة صغيرة في الاتجاه الصحيح من جهة لكنها من جهة اخرى ، مشوهة وخطرة جدا، ولاسيما الحديث عن تقاسم السيادة على مافوق الحرم القدسي وتحته» . واتهم الاسرائيليين «بالتخطيط لهدم المسجد الاقصى ، وبتحويل الصراع الفلسطيني_الاسرائيلي الى حرب دينية» [٧٦] .

وفي خطابه الى الرئيس الامريكي كلينتون والذي طالب فيه بانهاء المحادثات ، اشار عرفات الى « عدم وجود مقترحات بناءة بشأن القضية الجوهرية المتعلقة بالقدس واللاجئين والحدود» ، وانه « لايمكن ان يتخيل حلا عادلا من دون القدس عاصمة للدولة الفلسطينية ، ومن دون سيادة فلسطينية كاملة على الاماكن االمقدسة عامة» [٧٧] .

اثبتت طروحات باراك في كامب ديفيد بما لايدعو للشك عدم الاستعداد الحقيقي ، حتى من جانب من يُحسبون على معسكر السلام في اسرائيل ، لدفع متطلبات هذا السلام واستحقاقاته . وان تلك الطروحات لم تتجاوز حسب البيان الذي صدر عن حركة المقاومة الاسلامية «حماس» اثناء انعقاد المؤتمر عن

«ذرّ الرماد في العيون» بالاعلان عن «دولة فلسطينية منقوصة السيادة،مقطعة الاوصال، يتم تحديد حدودها وسلطاتها من جانب العدو الصهيوني» [٧٨] .

مع ذلك ، فان باراك وقبيل عودته الى تل ابيب تراجع عن مقترحاته بسرعة قائلا « مادام لم يتم ابرام اتفاق سلام فان الافكار الاسرائيلية كلها التي طُرحت في المفاوضات مُلغاة» [٧٩] واعاد باراك تأكيد موقفه من القضايا الرئيسة التي نوقشت في القمة ، في التصريح الذي صدر عنه في اليوم التالي لانتهاء قمة كامب ديفيد مباشرة ، حينما اشار الى (اننا لم نكن مستعدين للتخلي عن ثلاثة اشياء هي) : امن اسرائيل ، الاشياء المقدسة بالنسبة لاسرائيل وحدة شعبنا [٨٠] . (وبشأن القدس ذكر) لقد قاتلت طوال حياتي من اجل الامن الاسرائيلي، وها انا أؤكد انني لن اوافق على التخلي عن المصالح الحيوية للامن الاسرائيلي وتدعيم القدس الكبرى باغلبية يهودية راسخة للاجيال القادمة [٨١] .

تنصلّ باراك من تعهداته ، وتراجعه السريع لم يمنع هبوب عاصفة سياسية في وجه حكومته، جعل مصيرها في مهب الريح . فالاحزاب الاسرائيلية المتشددة عدّت مقترحات باراك في القمة تجاوزا لكل الخطوط الحمراء بالنسبة للقدس ، واتهمته بتقديم تنازلات خطرة تمسّ المحرمات الاسرائيلية . وحكومته الانتقالية نفسها تعرضت لهزّة عنيفة بانسحاب احزاب اليمين منها[٨٢]. وهو مأأدى لاحقا الى سقوطها ، ووصول اليمين المتشدد الى الحكم بزعامة رئيس الليكود أرئيل شارون ، بكل مارافقها من تعقيدات مع تفاقم العنف ضد الفلسطينيين ،وعودة لغة التشنج والتشدد الى السياسة الاسرائيلية .

منذ سقوط حكومة شارون ووصولا الى تشكيل بنيامين نتنياهو لحكومة جديدةٍ في اسرائيل منتصف عام ٢٠١٥ لم تشهد المواقف الاسرائيلية تجاه القدس اختلافا جذريا من مختلف التيارات والاحزاب السياسية في اسرائيل ، اذ ان هناك وحدة في مواقف هذه الاحزاب بخصوص القدس،اذ ليس هناك تفاوتا جديا بينها في قضايا الاستيطان والتهويد التي تُعدُ سياسة ممنهجة منذ عام ١٩٤٨ مرورا بعام ١٩٦٧ ووصولا للوقت الحالي ، والخلاف الذي يظهر بينها بين الحين والاخر انما هو توزيعٌ للادوار ولا يشكل تأثيرا جوهريا على الاتجاه العام داخل اسرائيل من خلال التمسك بالقدس كعاصمةٍ موحدةٍ ابديةٍ لانقاش فيها ، فالموقف الاسرائيلي غير قابلٍ للتسوية بما يتعلق بالقدس ومن يخرج عن هذا الاجماع فهو غير مؤثرٍ .

وفي ظل حكومة نتنياهو أُغلق الباب تماما امام اي تسوية سياسية مع السلطة الفلسطينية تلبي الحد الادنى من تطلعات الشعب الفلسطيني . اذ دخلت المفاوضات بين الطرفين مرحلة جمود حقيقي فاقم من الوضع المحتقن في الاراضي الفلسطينية ،واسهم الى جانب استراتيجية الاحتلال والاستيطان، بالحفاظ على الوضع القائم ، والتمسك بسياسة ادارة الصراع بدل حلّه اعتقادا بانها الاقل ضررا او الاكثر منفعة للمصالح الاسرائيلية[٨٣] .

واذا كانت سياسات نتنياهو اليمينية قد وجهت ضربة قاسية الى المفاوضات وفرص اقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشرقية، فقد اطاحت الانتفاضة الفلسطينية باوهام

الحكومة الاسرائيلية بتوفير الامن والهدوء للاسرائيليين من خلال التمسك بسياسة الوضع القائم ، واعادت احياء النقاش حول الموقف من مصير القدس . ففي مقابل صدور دعوات الى ضرورة الانفصال عن الفلسطينيين ليس في الضفة الغربية فحسب، بل عن احياء عربية في القدس الشرقية المحتلة ايضا،اظهرت مكونات الحكومة الحالية تمسكا وتصلبا وتشبثا اكبر بالقدس الموحدة كعاصمة للدولة اليهودية»[٨٤] هذه التطورات اسقطت والى الابد حجج المراهنين على التغيير في السلوك الاسرائيلي ازاء القضايا الرئيسة في الصراع العربي_ الاسرائيلي ، واثبتت ان الارضية المشتركة بين الاسرائيليين اكبر بكثير مما يفرقهم .

على اية حال عبأت اسرائيل منذ تأسيسها المؤتمر الصهيوني العالمي للدعوة لشعارها ومخططاتها . وحاولت عبر جناحها في المؤتمر الصهيوني[٨٥]، انتزاع الاعتراف الدولي والامريكي ولاسيما ، بضمها للقدس الغربية ، اضافة للقدس الشرقية ، ودوائرها الثلاث عاصمة ابدية موحدة لها.

يبدو ان اسرائيل ، ومن وراءها المؤتمر الصهيوني قد نجحتا بمرور الوقت في تجيير الموقف الامريكي لصالح مخططاتها تجاه المدينة المقدسة ، بعد ان تراوح ذلك الموقف طويلا بين التردد والتأييد المشروط .

تقويم واستنتاج :

تُعد القدس من اعقد القضايا واكثرها صعوبة في الصراع العربي _ الاسرائيلي ، لما لها من دلالات روحية ورمزية يتلازم فيها البعدين السياسي والاستراتيجي .

وتُعد استراتيجية اللاءات الثلاث /لامناقشة لموضوع القدس / لا لأقامة دولة فلسطينية مستقلة /لا لإزالة المستوطنات / من ثوابت السياسة الاسرائيلية ببعديها الخارجي والامني .

وادرجت اسرائيل ،منذ احتلالها للقدس،.جميع مخططاتها تحت شعارٍ واحد هو»وحدة القدس واعادة توحيدها عاصمة ابدية لاسرائيل» ، وعبأت جميع قنواتها الدبلوماسية ،والسياسية، والاعلامية لاقناع الرأي العام الدولي والاطراف الدولية الاخرى بتدابيرها بشأن المدينة المقدسة .

ومن قراءة المشاريع الاسرائيلية بشأن القدس يمكن الاستدلال على حقيقة مهمة :وهي ان هناك قواسم مشتركة بين الاسرائيليين تُجمع على عدم العودة الى حدود عام ١٩٦٧ ، او على موضوع القدس بالذات ، فلم يرد على لسان اي زعيمٍ لحزب العمل او الليكود(الاحزاب الرئيسة فيً اسرائيل) ، او الفصائل المختلفة، رغم مابينها من اختلافات او تباينات في المواقف السياسية اي كلام او تصريح عن نية اسرائيل في اعادة النظرٍ في لاءاتها المتعارف عليها وبالاخص في موضوع القدس . ومواقف الحكومات الاسرائيلية بعد سنوات من بدء عملية التسوية تؤكد هذه الحقيقة . فالمواقف والرؤى التي باتت تعلنها هذه الحكومات منذ انخراطها في ما يسمى بالعملية السلمية ، رغم كل الضجيج الاعلامي الذي رافقها حول (التنازلات) التي قدمتها بخصوص بعض القضايا تتناقض جوهريا مع أسس ومبادئ مؤتمر مدريد واتفاقية أوسلو وما اعقبها، سواء فيما يتعلق بالقدس او المستوطنات ، او مبدأ الارض مقابل السلام ، مما اصاب عملية التسوية في مجملها بالركود وهددها في اسسها ومستقبلها .

ولكل هذه الاسباب فان اسرائيل ستراهن على عامل الزمن لفرض ارادتها بخصوص القدس ، وستسعى جاهدة بكل وسائل التسويف والمماطلة الى تأجيل البت في القضايا الشائكة بينها وبين العرب ، والفلسطينيين خصوصا لآجالٍ غير محددة ، املا في ان يساعدها الوقت وحالة الانقسام والضعف العربيين ، في فرض حلولها الخاصة ، وارادتها على الطرف المقابل

وحتى في ظل الوضع العائم والمختل في مفاوضات الجانبين ، فثمة خطر كامن ودائم يبدو قريبا من الافق : هو خطر ان تقرر «مفاوضات السلام» الراهن مستقبل القدس في ظل الانحراف الواضح في ميزان القوة التفاوضية لصالح اسرائيل ، وقدرة الاخيرة على توظيف الوضع الدولي لصالح مخططاتها بشأن القدس .

وهكذا تتحول قضية القدس من شأنٍ عربي واسلامي الى مسألة لاتتعدى مفاوضاتٍ ثنائية اسرائيلية _فلسطينية ، وفي ظل اختلال خطير لموازين القوى بين الطرفين .

ولكن ثمة عنصر فاعل طرأ على التوازنات بين الفلسطينيين والاسرائيليين متمثلا بالانتفاضة الفلسطينية المستمرة منذ اكثر من عقد ونصف (رغم انقطاعها بين الحين والاخر)التي تشكل ضاغطا حقيقيا على الفاعل الاسرائيلي ، وايضا تُهيأ خياراً مهماً للسلطة الفلسطينية بين ان تختار التسوية كمسار لها او تلجأ الى خيار الانتفاضة كخيارجدي للضغط على الجانب الاسرائيلي وانتزاع التنازلات منه لاسيما على صعيد القدس .مع ذلك ، فان التجربة التاريخية اكدت ان لاأمن ولا استقرار في الشرق الاوسط ما لم تستقر اوضاع هذه المدينة المقدسة ، كما اكدت ايضا ان التسويات المفروضة وغير المرضي عنها من اصحابها لاتدوم ، وتُبقي النار تحت الرماد .

الهوامش:

١- علي كاشف الغطاء،تقسيم فلسطين في الامم المتحدة،بغداد،١٩٨٦، ص ٩٧- ٩٨ .

٢- المصدر نفسه ، ص ٩٨ .

٣- وليد الخالدي ، القدس مفتاح السلام . محاضرة القيت في مؤتمر: القدس الان .المدينة والناس: تحديات مستمرة ،بيروت، ٨- ١١ تشرين الثاني ١٩٩٩ .

٤- المصدر نفسه.

٥- المصدر نفسه .

٦- المصدر نفسه .

٧- وليد الخالدي ،ملكية موقع السفارة الامريكية في القدس، «مجلة الدراسات الفلسطينية»، ع٤٣،بيروت،صيف ٢٠٠٠ ، ص ١٠ .

٨- حسين معلوم ، مركزية القدس بين مشروعات التسوية الاسرائيلية ، «مجلة السياسة الدولية» ، ع ١٢٧، س ٣٣، القاهرة ، يناير ١٩٩٧ ، ص ١٧٦ .

٩- روحي الخطيب ، الاجراءات الاسرائيلية لتهويد القدس بين ١٩٦٥و١٩٧٥ ، «مجلة شؤون فلسطينية» ، العددان ٤١-٤٢،بيروت،كانون الثاني/ يناير-شباط/فبراير ١٩٧٥ ،ص ٩٦-٩٧ .

١٠- المصدر نفسه .

١١- احمد الرشيدي وآخرون ،»الحقوق الفلسطينية واسانيدها في القانون الدولي... وموقف المجتمع الدولي منها» ، في: حسن السيد نافعة(محرر) ،المجتمع الدولي والقضية الفلسطينية،القاهرة،١٩٩٣،ص ٧٥ .

١٢- حسن معلوم ، المصدر السابق ، ص١٧٧ .

١٣- وليد الخالدي ، القدس مفتاح السلام .

١٤- روحي الخطيب،المصدر السابق ، ص ٩٨.

١٥- المصدر نفسه،ص٩٨ .

١٦- المصدر نفسه،ص٩٩-١٠٢ .

١٧- سليم الجنيدي ، سياسة الكيان الصهيوني الاستيطانية واثارها على الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة،»مجلة شؤون عربية» ، ع ٤٨،القاهرة، كانون الاول/ديسمبر ١٩٨٦، ص ٧٨ .

١٨- وليد الخالدي،القدس مفتاح السلام .

١٩- المصدر نفسه.

٢٠- هشام يعقوب،مخططات الاحتلال لتهويد القدس،مقتبس في: تهويد القدس وآليات المواجهة السياسية والاعلامية، مؤسسة القدس الدولية ،بيروت ، ٢٠١٧، ص ٧٠ .

٢١- مقتبس في : المصدر نفسه ، ص٧٠ .

٢٢- وليد الخالدي ، القدس مفتاح السلام .

٢٣- «المشهد المقدسي» ،تقرير صادر عن مؤسسة القدس الدولية ،بيروت،٢٠١٦/٦/٢،

Httpp;//www.alquds-online.org

٢٤-وليد الخالدي،القدس مفتاح السلام .

٢٥- عليان الهندي،الاستيطان والسكن في القدس الشرقية،المؤتمر الوطني الشعبي للقدس ،بيروت،٢٠١٠،ص٢٧-٣٠ .

٢٦- «صحيفةهآرتس»،نقلا عن: نداف شراغائي،القدس الشرقية:الاستيطان اليهودي والاحوال المعيشية ،ترجمة واعداد:ألياس شوفاني،»مجلة الدراسات الفلسطينية» ، ع٤٣ ،بيروت،صيف ٢٠٠٠،ص٤٤

٢٧- محسن صالح(محرر)، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني٢٠١٤-٢٠١٥ ،مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ،بيروت،٢٠١٦، ص٢٩٠ .

٢٨- عبد الرؤوف أرناؤوط، الاستثمار الفلسطيني في القدس، «مجلة الدراسات الفلسطينية «، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ع ١٠٨ ، خريف ٢٠١٦ بيروت ، ص١٧٨ .

29- http://www.Ochaopt.org/ar/content/special-facus-planning-crisis-east-Jerusalem-april-2009

«اوشا»: ازمة التخطيط في القدس الشرقية، نيسان-ابريل ٢٠٠٩، ١٢ص .

30- http;//www. btselem. org/Jerusalem / revocation _statistics

مركز المعلومات الاسرائيلي لحقوق الانسان في الاراضي المحتلة . بتسليم ،٢٠١٥/٥/٢٧ .

31- Ibid .

32- Jerusalem institute for Policy Research, Jerusalem; Facts and Trends 2016. The state of the city and changing , P.7; http//www. Jilis.org / uplood/ Jerusalem/fact_2016_eag_1,pdf نقلا عن: هشام يعقوب ، المصدر السابق ، ٦٧-٦٨ .

٣٣- عبد الرؤوف ارناؤوط،القدس ٢٠١٦. اجراءات تهويدية تُبقي عوامل الانفجارقائمة، «مجلة الدراسات الفلسطينية» ، ع ١٠٦، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ربيع ٢٠١٦ ، ص١٦٠ .

٣٤- «جمعية حقوق المواطن في اسرائيل»، آيار- مايو ٢٠١٥ ، نقلا عن: هشام يعقوب ،المصدر السابق، ص٦٨ .

٣٥- «صحيفة هآرتس»، ٢٠٠٠/٦/٥ ، نقلا عن : نداف شراغائي ، المصدر السابق، ص٤٤ .

٣٦- المصدر نفسه ، ص٤٤.

٣٧- http:// Jerusalem muni.il

« ملخص صحفي صادر عن بلدية الاحتلال في القدس

« ، ٢٠١٦/٢/١٥ ؛ عليان الهندي، المصدر السابق ، ص٢٧ -٣٠.

٣٨- احمد سعيد نوفل،مستقبل القدس في ظل الواقع والمواقف، مقتبس في :تهويد القدس وآليات المواجهة السياسية والاقتصادية ،مؤسسة القدس الدولية ،بيروت،٢٠١٧،ص٢١٦ .

٣٩- المصدر نفسه ، ص٢١٦ .

٤٠- المصدر نفسه،ص٢١٦.

٤١- برادة درزي(اعداد)الجدار العازل في القدس، مؤسسة القدس الدولية ، بيروت ،٢٠١٦،ص١٢ .

٤٢- المصدر نفسه، ص١٣ .

٤٣- المصدر نفسه، ص١٣.

٤٤- وُقعت اتفاقية رودس عام ١٩٤٩ بين اسرائيل والدول المتحاربة معها ،مصر والاردن وسوريا ولبنان باستثناء العراق، وفيه تم تحديد مايسمى بالخط الاخضر. والخط الاخضر في اسرائيل هو الخط الفاصل بين الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ وتلك المحتلة عام ١٩٦٧ . وعلى الرغم من ان خط الهدنة ليس خطا حدوديا في القانون الدولي ، الا انه اصبح فاعلا في المفاوضات بين الفلسطينيين والاسرائيليين .

٤٥- هشام يعقوب،المصدر السابق،ص٧١؛ براءة درزي،المصدر السابق،ص ١٨.

٤٦- براءة درزي ، المصدر السابق،ص١٨ .

٤٧- المصدر نفسه، ص٢٢ .

٤٨- احمد سعيد نوفل ،المصدر السابق،ص ٢١٢ .

٤٩- المصدر نفسه ، ص٢١٢ .

٥٠- «مكتب تنسيق الشؤون الانسانية(اوشا)» ، الجدار الفاصل في الضفة الغربية وآثاره الانسانية على التجمعات السكانية الفلسطينية_ القدس الشرقية،حزيران /يونيو ٢٠٠٧ ، ص٤ .

http://www.Ochaopt.org/documents/jerusalem_reprt_arabic web_sept٢٠١٧

٥١- المصدر نفسه،ص٤.

٥٢- هاني المصري ،اشكالية الموقف الفلسطيني تجاه القدس، مقتبس في : «تهويد القدس وآليات المواجهةالسياسية والاعلامية،مؤسسة القدس الدولية،بيروت ،ص٢٠١٧، ص٢١٢ .

٥٣- المصدر السابق ،ص٢١٢ .

٥٤- «عين على الاقصى» ، تقرير توثيقي يرصد الاعتداءات على المسجد الاقصى والتعامل معه مابين ٢٠١٥/٨/١ -٢٠١٦/٨/١ ،التقرير العاشر،مؤسسة القدس الدولية،بيروت ،٢٠١٦،ص٧٥ .

٥٥- المصدر نفسه، ص١٢٦.

٥٦- حسين معلوم ،المصدر السابق، ص١٧٨ .

٥٧- «عين على الاقصى»،المصدر السابق،ص ١٨٤ .

٥٨- المصدر نفسه ،ص١٧٨-١٧٩ .

٥٩- براءة درزي ، المصدر السابق ، ص١٢ .

٦٠- «المشهد المقدسي .الاحتلال يسجل ارقاما قياسية في تهويد القدس» ، مؤسسة القدس الدولية ،بيروت، ٢٠١٧، ص٤ .

٦١- «عين على الاقصى» ،المصدر السابق ، ص ٨٤،١٢٦،١٣٤ .

٦٢- معظم القرارات التي اصدرتها الامم المتحدة اما بالاجماع(قرارات مجلس الامن)،واما باغلبية كبيرة ، مما يؤكد ان المجتمع الدولي ظل يتعامل مع الشطر الشرقي للمدينة على انها ارض محتلة .

٦٣- هذه المشروعات هي : مشروع بن جوريون عام ١٩٦٧/مشروع آلون عام١٩٦٧/مشروع أبا ايبان

عام١٩٦٨/مشروع جولدا مائير عام ١٩٧١/شروع مبام للسلام عام ١٩٧٢/ مشروع بن جوريون عام ١٩٧٢/ مشروع دايان عام ١٩٧٢/ وثيقة جاليلي عام ١٩٧٣/ مشروع حزب مبام عام ١٩٧٦/ مشروع يعقوب فران عام ١٩٧٦/مشروع عنان فايتس عام ١٩٧٦/ مشروع بيغن «للحكم الذاتي» عام ١٩٧٧/ مشروع يعقوبي عام ١٩٨٨/ مشروع شيمون بيريز عام ١٩٨٩/ مشروع شارون عام ١٩٨٩/ مبادرة السلام الاسرائيلية عام ١٩٨٩ .

٦٤- حسين معلوم ،المصدر السابق، ص ١٧٩-١٨٠ .

٦٥- المصدر نفسه ، ص ١٨٠ .

٦٦- (القمة العربية وانتفاضة الاقصى) ،حلقة نقاشية ،مجلة المستقبل العربي،ع ٢١٢، السنة ٢٣ ، بيروت،كانون الاول ٢٠٠٠،ص ١٢٠ .

٦٧- حسين معلوم،المصدر السابق،ص١٧٧ .

٦٨- المصدر نفسه ،ص ١٧٧ .

٦٩- المصدر نفسه، ص١٧٨ .

٧٠- «القمة العربية انتفاضة الاقصى» ،المصدر السابق ، ص ١١٦ .

٧١- «جريدة النهار»، بيروت، ٢٠٠٠/٧/١٠ .

٧٢- تبقى منها ٧٢٪ منطقة امنية اسرائيلية لمدة ١٢ عاما .

٧٣- ممدوح نوفل ، عملية السلام بعد قمة كامب ديفيد الثانية ، «مجلة الدراسات الفلسطينية» ، ع ٤٣٤ ، بيروت ، صيف ٢٠٠٠، ص٨٨ .

٧٤- ممدوح نوفل ، المصدر السابق، ص ٩٣ .

٧٥- المصدر نفسه، ص ٩٣ .

٧٦- المصدر نفسه، ص٩٣ .

٧٧- المصدر نفسه، ص ٩٣ .

٧٨- مقتبس في :(صحيفة الحياة) ،لندن، ٢٠٠٠/٧/٢٤

٧٩- ممدوح نوفل ، المصدر السابق، ص ٩٧ .

٨٠- http :/www.israel-mfa.gov.ll/

٨١- Ibid.

٨٢- «القمة العربية وانتفاضة الاقصى» ، المصدر السابق ، ص ١٢٠ ؛ ممدوح نوفل ، المصدر السابق ، ص ٩٧ .

٨٣- عباس اسماعيل ، الرؤى السياسية الاسرائيلية تجاه القدس المحتلة في ظل الحكومة الحالية وانتفاضة القدس ، مقتبس في : تهويد القدس وآليات المواجهة السياسية والاعلامية ، مؤسسة القدس الدولية ، بيروت ، ٢٠١٧ ، ص ٣٠ .

٨٤- المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

٨٥- المؤتمر الصهيوني العالمي : هو اعلى هيئة سياسية في الحركة الصهيونية منذ المؤتمر الاول عام ١٨٧٩ . ويتألف اعضاء المؤتمر الصهيوني العالمي من ٣٨٪ من الاسرائيليين و ٢٩٪ من اليهود الاميركيين ، والباقي من سائر دول العالم. وليد الخالدي ، ملكية موقع السفارة الاميركية في القدس ، ص ١١ .

الهوية الفلسطينية في الخارج

أ.م.د. دينا هاتف مكي (*)

المقدمة

يحتاج اي انسان الى هوية تعطيه شعور بالانتماء ، قد تختلف هذه الهوية باختلاف الازمنة و الاماكن ، كأن تكون هوية دينية ، او اقتصادية او سياسية او اثنية ، لكنها لا تزال مطلب مهم ، ذلك انها تعطي معنى و دلالة لوجود الانسان ضمن جماعة . و لعل الانسان الفلسطيني من اكثر الناس ادراكا لاهميتها وفي نفس الوقت من اكثرهم تمسكا بها فهي دليل على انتمائه لوطنه ، ولكن هذه الهوية ـ الهوية الفلسطينية ـ واجهت و تواجه مشاكل عدة و بالتالي واجه حامليها ذات المشاكل ، فقد تعرضت للنفي والشتات ووجهت سهام النقد لها سواء من حيث عدم ارتباطها باقليم نظرا لسيطرة دولة اخرى عليه تحمل هوية مختلفة ، او لان حامليها مشتتون في اصقاع العالم و اخذوا بحمل هويات اخرى مختلفة عن هويتهم الاصلية و بالتالي امكانية تحولهم عنها او نسيانهم لها بمرور الزمن ، وهذا ما نحاول بحثه هنا من خلال الحديث ـ وفق منهج وصفي واحيانا مقارن مع المنهج التاريخي طبعا ـ عن بدايات ظهور الهوية الفلسطينية وكيف تشتت مع الهجرات الفلسطينية المتعددة ، و ما هي مواقف المهاجرين انفسهم من هويتهم في مجتمعات اللجوء ـ و هنا نتحدث عن مجتمعات اللجوء الغربية حصرا ـ و هل استطاعوا الحفاظ عليها بشكلها الاصلي ام تداخلت مع هويات المجتمعات المضيفة .

« انا فلسطيني ، لقد ولدت في القدس ، بدات بان اكون فلسطينياً ، ثم بداوا يطلقون عليَّ شخص لا يمتلك وطن ، لقد اسموني لاجئ بعد ان اصبحت بلا دولة . ثم اطلق علي سوري ، لبناني ، اردني ، كما تشاء . ثم اخذوا يسموني ارهابي . اليوم ، علمت من البروفسور خيوتمان بانني في الاصل يهوديا .»*

تمثل الهوية امرا طبيعيا لمعظم شعوب العالم ، فعندما تسال اي شخص من اين انت ؟ لايجد المخاطب صعوبة في التعبير عن هويته الا الفلسطيني الذي يبدا بمحاولة توضيح اصله

(*) مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية /جامعة بغداد

و مـن اين اتى، وكيف اصبح في هذا المكان او ذاك ، و مـا هي هويته .اذ يعيش الفلسـطينيون اليوم عبـر قارات العالم اجمـع ويحملون اكثر مـن ١٠٠ جواز [١]، فقد اضطـروا لترك بلدهم الاصلـي و الهجرة الى هـذا الجزء او ذاك من العالم .

وعند الحديث عن الهوية الفلسطينية ، لا بد مـن ان نذكر ولو بشـكل مقتضب متى ظهرت هذه الهوية ، يعتقد كثيرون ان الهوية الفلسطينية ظهرت بشـكل متاخرمن القرن العشـرين ،اي بعد الاحتلال الصهيونـي الذي كان له دور في ذلك [٢]،وكانت الهوية الاساسـية للناس قبل ذلك التاريخ في تلك البقعة من الارض اسـلامية او عربية .

اذ يـرى ادوارد سـعيد ان للفتح الاسـلامي دوره في صبغ البلاد بصبغة عربية ـ اسلامية ظلـت هـذه الصبغة الـى ان دخـل الاحتلالين البريطانـي والصهيونـي البـلاد ، عندئـذ اخذ التشـديد علـى الانتمـاء العربـي فـي محاولة للوقـوف بوجـه الخطر المحـدق بالوطن [٣]. و هنـاك من يـرى ان الهوية الفلسـطينية ظهرت ـــ و ان كانت ممتزجـة بالهوية العربية ـ اوائل القـرن العشـرين مـع انهيـار الامبراطورية العثمانية * ، و زيادة هجرة اليهود الذين اخذوا ببنـاء المسـتوطنات الامر الذي اثـار مخاوف الفلسـطينيين منهـم و زاد مـن تاكيدهـم علـى هويتهم ، وسـاعد في ذلـك التطور الذي حصل في وسـائل الاعـلام ، فالصحـف و المجلات كثيـرا مـا كانـت تركز انـذاك على المشـاعر القوميـة ، و الاخطار الصهيونية المحتملة ضد الامة العربية ، وعليه كانت الهوية الفلسـطينية مختلطة و ممزوجـة بالهوية العربية حتى وان حصل تاكيد عليها في الثورات الفلسطينية مثل ثورة عام ١٩٣٦ [٤] .

في حين يعتقد عيسـى الشـعيبي مثلا انه لم يتواجد (مفهوم كيان فلسطيني معين) و بالتالي هوية قومية فلسـطينية الى ان قامت حركة فتح في السـتينيات من القرن الماضـي ، فقبل ذلك التاريخ تشتت الهوية مع تشتت حامليها و لم تعد لهـا اهميتها الا بعـد قيام الحركة [٥]، ربما لانه يعتقد ان الحركة وحدت الفلسـطينيين و بالتالي اعيـد احياء الهوية المشـتركة ، لا بل ان هناك من يرى ان الهوية الفلسـطينية تشـكلت خارج فلسـطين ، نظرا لكون غالبية الفلسـطينيين في المنافي ، وان(النكبة مكون اساسي للشخصية و الهوية الفلسطينية) [٦].

يحـاول زكريـا محمـد ان يدحـض هـذه الافـكار فهو يرى فـي التاكيد علـى ان الهوية الفلسـطينية ليست سـوى رد فعل على الحركة الصهيونية نفي لوجود هوية فلسـطينية سـابقة لظهور الصهيونية ، و بالتالي نفي لوجود شعب فلسـطيني *، ويعمد زكريـا للرجوع الى كتب التاريخ ليستعين منها بالادلة على رايه ، ويؤكد ان هيرودوتـس قد تحدث عن وجود هذا الاقليم ـ فلسـطين ـ وبالتالـي وجـود هوية فلسـطينية لساكنيه في القرن الخامس قبل الميلاد*، اذ حدد ان سـاكني المنطقة (الممتدة من ارض الفينقيين حتى حدود مدينة غزة يسـكنها السوريون الذين يسـمون الفلسـطينيين) ، اي ان هنـاك اقليـم معروفة حدوده وسـكان معرفون بصفة الاقليم الذي يستقرون فيه، لا بل ويعرفون انفسهم بهوية اقليمهم ، فقد عرف الجغرافي المقدسي نفسه في نهاية القرن العاشر الميلادي في حوارمع اثنين من البنائين الشيرازيين بهويته الفلسطينية عندما

ساله احدهم (... فقال لي الاستاذ انت مصري ؟ قلت: لا بل فلسطيني..) اي ان الهوية الفلسطينية موجـودة انذاك واصحابها يعرفون انفسـهم بها رغم وجود الهوية الاسلامية ، فالاخيرة لم تمح الهويـة المحلية و انما احتوتها وتعايشـت معها و الا مـا كان المـرء ليعرف نفسـه بها. و نتفق معه ـ زكريا ـ في ان الهوية الفلسـطينية ليسـت هوية جديدة و انما هوية قديمة تم الاسـتعانة بها لتعريف شـعب معيـن ـ بعد التقسـيم الذي حل بالمنطقـة بعد الحرب العالميـة الاولى ـ حالها حال الهويتيـن العراقية و المصرية مثلا، اذ تم اسـتدعاء (هوية قديمة ذات جـذور تاريخية لا صناعة هوية حديثة من لا شـئ)[٧] ، فقد ظلت هذه الهوية موجودة عبر القرون الماضية قائمة الـى جوار الهويات الاخرى اسـلامية كانت او عربية .

اسـتعمل الفلسـطينيون هويتهـم القديمـة- الجديـدة لمواجهـة الاخطار التـي تهددهم ، و لكنها هـي ذاتهـا تعرضت لخطـر الضياع او التشـتت بعد عام ١٩٤٨ وقيام (دولة اسرائيل) وطرد الفلسـطينيين من اراضيهم الذين تشتتوا عبـر اصقاع العالم و بالتالي احتمالية نسـيانهم هويتهـم الاصلية وتبني هويـات الدول الجديدة التي استقروا فيها و اثر ذلك في الهوية الجمعية للشـعب الفلسـطيني ، وهنا نكون امام استفسار هل تحتاج الهوية من حامليها استمرارية العيش في الاقليم الذي نشـات فيه من اجل استمرارية الوجـود؟ اي هل يفقـد الفلسـطيني الذي غادر فلسطين و عاش في الخارج هويته الفلسطينية ؟

قـد يعتمد الجواب على التجربة الفردية لكل شـخص ، ولكننـا هنـا نحـاول ان نتناولها عن طريق البحث في اسـباب الهجرة من فلسـطين و المراحـل الزمنية لها ، وطبيعـة المجتمعات التي هاجر الفلسـطينيون اليهـا ، و نظرة الفرد الفلسـطيني ذاتـه الـى الهوية الفلسـطينية، فقد اختلفـت صـورة الهوية لديه باختـلاف الزمان والمـكان و الاحـداث وتغير نظرتـه للامور . و يمكن تقسيم الهجرة الفلسـطينية وفقاً لعوامل الدفـع او السـحب وطبيعة هذه الهجـرة فردية كانـت او جماعية ، و كذا المراحل الزمنية لهذه الهجرة **وذلك في مجموعات .

المجموعـة الاولـى: قبـل عـام ١٩٤٨ اشـتركت عوامـل السـحب و الدفع سـوية ً في تشـجيع هجرة الفلسـطينيين ، فمع بداية القرن كان الهـرب مـن الخدمـة العسـكرية العثمانية احـد عوامل الدفـع لمغادرة فلسـطين ، فضلا عـن الاسـباب الاقتصاديـة التي تشـكل عامل دافع وسـاحب في آن واحـد ، فالبحث عن حياة واوضـاع اقتصادية و فرص عمـل افضل في دول اخرى لم يزل حلم الكثير من الناس ، فكانت هجرة الفلسـطينيين الى الامريكيتين الشمالية و الجنوبية ، ولكن هـذه الهجرة كانت فردية و لم تكـن جماعية ، لجا اليها الافـراد طواعية وفقا ً لارادتهم انفسـهم بالمغادرة [٨]، و في ظل هذه الهجرة فقد هؤلاء حقوقهم بالعودة الى فلسـطين نظرا لافتقارهـم الاوراق القانونية التي تؤهلهم لذلك * سواء بعد انهيار الدولة العثمانية او قيام «دولة اسرائيل»

المجموعـة الثانية: كان للحـرب في عام ١٩٤٨ ، و مـا جرى فيها من طرد و ابعاد على يـد العصابـات الصهيونية ، ان شـكلت عامل دفع مهـم و مؤثر في مغادرة اعـداد كبيرة من الفلسـطينيين لوطنهم [٩]، فالهجـرة او المغادرة هنـا كانت جماعية ، اذ وصل عـدد المغادرين

حوالي ثلاثة ارباع المليون فلسطيني ، والذين لم يكونوا ليتركوا وطنهم لولا اجبارهم على ذلك ، ويصدق الامر نفسه على الفلسطينيين بعد حرب ١٩٦٧ ، اذ اضطر الكثير للمغادرة الجماعية ، وجميع هؤلاء لا يمتلكون الحق بالعودة وفقا للقوانين الاسرائيلية .

المجموعة الثالثة: للفترة ١٩٦٧ -١٩٨٢ كانت الهجرة تحدث في معظمها نتيجة لعوامل الدفع – السحب في آن واحد ، اذ دفعت الرغبة في التعليم او البحث عن عمل او فرص اقتصادية افضل - بالاضافة الى الضغوط و الصعوبات التي كان المحتل يضعها - الكثير من الفلسطينيين لمغادرة الاراضي المحتلة ، في المقابل كانت الدول الغربية تمثل عامل جذب للفلسطينيين ، خصوصا في تلك المرحلة اذ كانت القيود على الهجرة او الدخول الى اراضيها و حتى التعليم العالي بسيطة ، بالاضافة الى وجود اقارب سبق لهم الهجرة والاستقرار في االخارج ، شكل مثل هؤلاء نموذجا يحتذى به او يتم اللجوء اليه في الحصول على وسيلة للدخول فهم يمثلون عوامل جذب او سحب ، واتخذت الهجرة في هذه الفترة طابعا فرديا ولم تكن جماعية ، فكان الفلسطينيون يغادرون فرادى ، و يمتلك الكثير من هؤلاء الحق بالعودة نظرا لامتلاكهم الاوراق القانونية المؤهلة لذلك.

المجموعة الرابعة : شهدت هذه المرحلة هجرة جماعية للفلسطينيين الساكنين في لبنان اثر الغزو الاسرائيلي لجنوب لبنان ، وحرب المخيمات التي دفعتهم للمغادرة الى الخارج والبحث عن موطن جديد في الغرب[١٠] ، كما دفعتهم حرب الخليج الثانية ١٩٩١ و ما سبقها من احداث الى ترك منطقة الخليج – التي سبق ان لجاوا اليها بعد احتلال وطنهم سواء بعد عام ١٩٤٨ ، او ١٩٦٧ – و الهجرة الى الدول الغربية ، واضطر هؤلاء للهجرة لانهم لا يمتلكون الحق بالعودة الى وطنهم ، او لعدم قدرتهم على العيش في الاراضي المحتلة .

المجموعة الخامسة : بعد قيام السلطة الوطنية الفلسطينية - اثر اتفاقات اوسلو - عادت الهجرة لتكون فردية و لاسباب اقتصادية او تعليمية في معظمها ، الا انها بعد وصول المفاوضات ، بين الطرفين الفلسطيني - الصهيوني ، الى طريق مسدود [١١]، وفرض اسرائيل قيود مشددة على حركة الفلسطينيين في الاراضي المحتلة و من ثم فرضها الحصار على قطاع غزة ، وشنها المتكرر للغارات عليه، فضلاً عن الحرب الاخيرة شكلت هذه في مجملها عوامل دفع للفلسطينيين للمغادرة بحثا عن حياة طبيعية يفتقدونها ، و وطن جديد يعيشون فيه بعيدا عن الضغوط و الصعوبات يشاركهم في ذلك الفلسطينيون المتواجدون في بعض الاقطار العربية - سواء للعمل او كلاجئين - و الذين يواجهون صعوبات مختلفة قانونية كانت او اقتصادية او اجتماعية و كان لديهم امل في ان تحقق المفاوضات تغييراً في اوضاعهم و بعد فشلها لم يجدوا بداً من الهجرة الى الخارج ،يمتلك الكثير من هؤلاء الحق في العودة الى وطنهم عدا اللاجئين الذين كانوا في الاقطار العربية .

وتختلف طبيعة المجتمعات التي هاجروا اليها فيما بينها ، فالهجرة الى دول اوربا الغربية مثلاً تختلف عن تلك للولايات المتحدة سواء من حيث قبول مجتمعات كل منهما للاجئين او من حيث طبيعة الاندماج ... الخ ، فهناك

مجتمعات مفتوحة امام الاندماج و اخرى مغلقة او بالاحرى متشككة ، اذ تم ايراد عدة وجهات نظر حول هذا الموضوع خصوصا في ظل التطورات الحاصلة على صعيد الاتصالات والتقدم التكنولوجي، ففي السابق كان التقسيم للافراد انطلاقا من مشاركتهم في الفعاليات المختلفة للدولة انهم اما جزء من الدولة ـ داخل حياتها الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية ـ او خارجها ، لكن اخذ اللاجئون يشكلون فئة ثالثة بينهما فهم (فاعلون عابرون للحدود) ذلك انهم يرتبطون بكل من وطنهم الجديد ووطنهم الام بالاضافة الى شبكات تربطهم بمواطنيهم من وطنهم الام مشتتين عبر العالم [١٢]، وهذا الامر غالبا ما ينطبق على الفلسطينيين الذين يرتبطون بشبكات قرابة قوية مع الكثير من مواطنيهم سواء في وطنهم الام او في دول العالم المختلفة وهنا فان شبكات القرابة هذه و غيرها ممكن ان تلعب دورا ايجابيا في مساعدة الافراد و كذا الدول التي ينتمون اليها من خلال الفعاليات الاقتصادية و الاجتماعية و حتى السياسية ذات الاثر الفعال في المجتمع الدولي من خلال سد الثغرات عن طريق شبكات الضمان العابرة للقومية التي يقيمها الشتات فهم بمثابة لاعبون جدد اتاحت العولمة الفرصة امامهم للعب دور ـ وان كان صغيراً على صعيد العلاقات الدولية[١٣]. بالتالي فان النظرة هنا الى الشتات و اللاجئون نظرة ايجابية .

اما النظرة السلبية فترى في اللاجئين ، والشتات بشكل عام ، خطر يهدد امن المجتمعات التي يتواجدون فيها ـ فضلا عن السلم و الامن الدوليين ـ هذا ان جاءوا من مجتمعات غير مستقرة تسودها الصراعات و الحروب الاهلية فهم يرتبطون بهذه الصراعات و بالتالي يتم النظر اليهم باعتبارهم (قوميين عن بعد لايعتمد عليهم و لا يتحملون المسؤولية)، لا بل ان هناك من يسمهم بانهم (مرتدين عن العولمة)داعمين للقومية من خلال وسائل عابرة للقومية ، و من ياتي من مجتمعات يسودها الصراع و يحمل ذكريات الماساة من الصعب عليه ان ينسى ، كما انه من السهل عليه ان يكره عن بعد[١٤] ، و بالتالي هم لايشكلون مواطنين مثاليين .

و ينظر الى الشتات الناتج عن المغادرة بالقوة بانه يمثل خطر كبير ، ذلك ان الذي يتعرض له يقع ضحية الشعور بالغربة والعزلة ـ عن كل من الوطن الام و الوطن المضيف ـ و من امثال هؤلاء يظهر من يصفهم اصحاب وجهة النظر هذه (بالارهابيين الناشئين في الوطن) والذين من الممكن ان يقوموا بالعمليات الانتحارية في المجتمعات الغربية او على الاقل يقدموا الدعم المالي للاشخاص (الارهابيين)(كذا) في الوطن الام ، او على الاقل يشكلون مصدر ازعاج داخلي عن طريق القيام بحملات مضادة للسياسات الخارجية للدولة المضيفة والتي تفهم من قبل المجتمع المضيف انها ضد مصالحه [١٥] ، و بالتالي فان اللاجئ يشكل عبء على الدولة المضيفة .هذا فضلاً عن النظرة التقليدية السلبية لدى البعض تجاه المهاجرين سواء في الجانب الاقتصادي ـ من حيث كونهم عبء على الميزانية او في حصولهم على الوظائف التي من المفترض انها من حصة المواطن الاصلي ـ او في الجانب الاجتماعي ـ المشاكل الاجتماعية التي قد يسببها بعض المهاجرين نظرا للاختلاف الثقافي ـ وغيرها من المشاكل التي تجعل من المهاجر غير مرحب به بشكل كبير .

ويـرى البعـض فـي العلاقـة بيـن مجتمع المهاجرين و المجتمع المضيف مباراة صفرية فالربـح لاحـد الطرفين هـو خسـارة للطرف الاخر، ذلك ان المنافسـة قائمـة بين المجتمع / الجماعة القائمة و بين المجتمع/الجماعة الوافدة على الموارد، و الهيبة و النفوذ ،و هناك شعور دائـم بالتهديد من قبل احد الطرفين تجاه الاخر قـد يكـون مبالغ فيـه لكنه موجـود (و بذا تميل الجماعـات لرؤيـة التهديدات في كل شـيء او لا شـيء باعتباره تهديد لوجـود جماعتهم)[١٦]، وخصوصـا المجتمع المضيف الـذي يرى في مجـرد الوافديـن عليه تهديـد لهويته نفسـها و استمرارها .

فـي نفس الوقت وبعد هجرة الفلسـطينيين كان عليهم الاسـتقرار في هـذه المجتمعات الجديدة التـي تختلـف كليا عـن تلك التي نشـاوا فيها و بالتالي كان عليهم مواجهة مشاكل جديدة تختلف عـن تلـك التي واجهوها سـواء فـي وطنهم او اماكن لجوئهـم الاولى ، وكانت الهوية احد اهم هذه المشـاكل ، فالبعد عـن الوطن قد يكون له دور ايجابي اوسلبي في الحفاظ على الهوية .

اذا كانـت الارض من مكونـات الهوية ، الى جانـب مكونـات عديـدة اهمهـا *، التاريخ ، اللغـة ، التجارب المشـتركة ، الذاكرة ، التقاليد و اخـرى غيرها [١٧] ، فقد حملها الفلسـطينيون معهم انى حلوا ، صحيح ان هناك من يجادل ان الارض اصبحت بعيدة وليست ملكا لهم بل ملك « لشـعب آخر» و بالتالـي لا يمتلكون هويتها، لكن الفلسـطينيين ظلوا فـي معظمهم مرتبطين بوطنهـم حتى وهم فـي المنفى ، وفـي الحقيقة هناك وجهـات نظر عدة حول هـذا الموضوع منها :

الارتباط بين الهوية و الاقليم ، فالمرء يحمل هوية الاقليم الذي يعيش فيه سـواء الذي ولد ، او انتقـل للعيش فيه ، وهنا يتـم الحصول على الهوية بطريقتين الاولى لا ارادية يحصل عليها المرء لمجرد ولادته في الاقليم ، والثانية تكون للارادة الانسـانية دور فيها عندما يسعى المرء للحصول على جنسـية بلـد معين وبالتالي حمل هويته [١٨] ـ وحتى هذه يكون المرء مجبر عليها في بعض الاحيان عندما يضطر لمغادرة وطنه بالقوة واللجوء الى هـذه الدولة او تلك وبالتالي يضطر لحمل هويتها من اجل الاستمرار بالحياة ـ كما انه من الممكن ان يتنازل المرء عن هويته بارادتـه عندما يشـعر بعدم رغبتـه بحملها ، و يمكن تسـمية هذه النظرية ب نظرية الدولاتية التـي يعتقـد اصحابهـا ان الافراد في الشـتات تضعـف صلاتهم بوطنهم الام بمـرور الايام ، ذلك ان الدولة هي المسـؤولة عن وضع الحدود التي ينتمـي اليها المـرء [١٩]، و بالتالي بما انه غادر وطنه الـى دولة جديدة فارتباطه هو بهذه الدولة الجديدة .

نظريات ما بعد الحداثة والتي اخذت تنظر للمـكان بعده اكثر سـيولة، فالعالـم اصبح قرية صغيرة ، اذ ادى التقـدم التكنولوجي الهائل في وسـائل الاتصال الى جعل الاماكن اكثر قربا ، كما تم خلق عالم افتراضي يتم الاتصال فيه بين الناس بطرق اكثر سـهولة ، فلم يعد للمسـافات تلك الاهميـة التي كانت تعطى لها في السـابق ، ومـع سـيولة المـكان اصبـح الارتبـاط بين الهويـة و المـكان مختلفا عن السـابق ، فهناك مواطنـة عالميـة اخذ اصحـاب هـذه النظرية بالتاكيد عليها ، فلم يعد الانسـان يرتبط بالمكان والوطـن والاجداد واللغة [٢٠]، ولم تعد مشـكلة الهويـة ترتبط بفكـرة (اين انـا؟) وانما التاكيد

علـى فكرة « من اكـون؟»[٢١] : ذلك ان انتماء الانســان هــو الى النــوع الانســاني و ليس اي انتمــاء اخر وعليــه فالمواطنة تكــون مواطنة عالمية ولا ينبغي ان يكون ولاء الافراد لسواها ســواء للوطــن الام او للوطــن المضيــف[٢٢]، وســاعد التقدم الهائل في وســائل الاتصال على خلــق ثقافة واحدة تشــمل الكرة الارضية ، ذلك ان الثــورة الرقميــة وتكنولوجيــا المعلومــات ســاعدت في اضعاف جاذبيــة الثقافات الوطنية لتحــل محلها ثقافة عالميــة [٢٣]، وبالتالي لم يعد للوطن الام تلك المكانــة المهمة كما كان الحال فــي عصر الدولة القومية، اذ حل عصر ما بعد القوميــة ليلغي الحــدود والحواجــز التي كانت موجودة في السابق .

لكــن عنــد تطبيــق هــذه النظريــات على الفلسطينيين نجد ان بعدهم عن الارض لم يؤثر في هوية الكثيــر منهم ، فهم لا يزالون يحملون هويــة الوطــن و الابــاء و الاجــداد ، لا بل ان الوطــن وهويتــه اصبح اكثر اهميــة في المنفى فهنــاك من حمــل وطنه معه اينمــا ارتحل، فقد احيا الفلسطينيون الوطن ـ بتفاصيله الدقيقة ـ في المنفى "[٢٤] وقد عبر البعض من الفلســطينيين عن موقفهم من وطنهم ، فهناك من زاد ارتباطه بوطنــه في المنافي ـ بعد ان ادرك اهمية الوطن و ما يعنيه للمرء من اســتقرار و كرامة انسانية ـ فقــال فواز تركي اذا لم اكن فلســطينيا عندما غــادرت حيفا كطفل ، فانا الان فلســطينيا [٢٥]. كما قال آخر (الوطن يسكن في ، فانا احمل كل واحد وكل شــيء ، فانا معي اينمــا اذهب)[٢٦] وهنــا تاكيد على اهميــة الوطن و مكوناته لدى الفلســطينيين .والبعــض الاخــر يرتبط بالوطن الام و الوطــن المضيف ، ذلك ان المرء يشــعر بان وطنه الام هو مركز المشــاعر و العواطف وهــو الاصــل ، فــي حيــن ان البلــد المضيف يعطي الانسان شعور بالامان والاستقرار الذي يحتاجه للاستمرار بالحياة [٢٧]، ففي السويد مثلا ، حيث يستقر قسم من الشتات الفلسطيني يشعر البعــض بالامان نظرا لما يتــم تقديمه للمواطن من ضمــان صحي وتعليمــي وفرصة للعمل و لافــرق بيــن المــراة و الرجل وهــذا ما اعطى الكثير ممــن حصل علــى المواطنة الســويدية شعورا بالاستقرار افتقده في السابق[٢٨].

في حين ان قســم من الفلسطينيين ، و لبعده عن وطنه ، يجد صعوبة في الحفاظ على هويته نتيجــة للضغوطات التي يواجههــا في الخارج كفلســطيني ســواء مــن الــدول او المجتمعات المضيفة ، وهو ما عبرعنه ادوارد ســعيد بقوله : (الهويــة ـ مــن نحــن ، مــن اين اتينــا ، و ما نحــن ـ من الصعب الحفاظ عليهــا في المنفى . معظم الناس ياخذون هوياتهم كشــيء مســلم به ليس الفلســطينيون (الذين) وجودهم كســكان عــرب اصليين في فلســطين ... (بشــكل دائم) امــا ينكر او يتم تحديــه)[٢٩]، ونجد الدليل على ذلك بتعرض الفلســطينيين دون غيرهم للتفتيش الدقيــق و للمضايقة عند الحــدود برية كانت او بحريــة او جوية [٣٠] ، وذلــك لافتقارهم لوطن يمنحهم اوراق ثبوتية بانتمائهم اليه .

ان الوطن هو احد متطلبات الهوية ، ويعطي المرء شــعورا بالاستقرار و الامان ، ذلك « ... ان معنــى المــكان يكمن في قدرتــه على عزل «الداخل» عن «الخارج» . ان تكون في الداخل هــو الفرق بيــن الامان و الخطــر ، بين النظام و الفوضى ، الانكشــاف و الاختباء او ببســاطة هنــا وهنــاك ...»[٣١]، ومــن الطبيعي ان يعيش الافــراد الذين يحملون هويته فيه ويشــتركون

فـي تجاربه وتاريخه و الحياة فيه و ان يشـعر الجميـع بالانتمـاء اليـه وارض يغادروهـا و يعودون اليها انى شـاءوا [٣٢] ، طبعا فلسـطين هي الارض و هي الوطن الام و هي الجذر او الاصل الذي ينتمي اليه جميع الفلسـطينيين[٣٣] صحيح انه لم يعش جميع الفلسـطينيين فيها الا انهـم يعودون جميعا اليها و هي مصدر هويتهم لا بـل ان العامـل المشـترك فـي هويـة جميع الفلسطينيين هو الوطن الذي فقد ، فهم يشتركون فيمـا فقدوه اكثر مـن اي عامل آخـر ، كما ان من نتائج الفقدان ـ نتيجة الاحتلال ـ ما يشـترك فيـه جميـع الفلسـطينيين من غربة و شـتات ، وعزلـة والحرمان بجميع انواعـه [٣٤]، وعليه فان الوطن سـواء بفقدانـه او بوجوده يمثل احد العوامل المهمة في تشكيل الهوية الفلسطينية .

هـذا الوطـن ـ الدال على الهويـة ـ غالبا ما يتم الانتقاص من اهميته و دوره كاحد مكونات الهويـة الفلسـطينية لانـه اصبـح مقسـما بين الفلسطينيين والاسرائيليين ، ففلسطين التاريخية لم يعد لها وجـود على الخريطة ،ونفس الموقع الجغرافـي اخـذ آخـرون ـ الاسـرائيليون ـ بالانتسـاب اليه ، و يعد مصدر للهوية بالنسـبة لهـم [٣٥]، وبالتالي غدا عامل سـلبي بدلا من ان يكون عامل ايجابي للدلالة على الهوية .

يمكـن الرد على هذا الامـر بالقول صحيح ان الوطـن تم تقسـيمه و احتلاله مـن قبل دولة اخـرى لكنه لايـزال قائما فـالارض هي ذات الارض وان تغيرت التسـمية وهذا ما يشعر به جميع الفلسطينيين ، و لا يزالون يرتبطون بهذه الارض بكل ما تعنيه لهم ، فهي ارض الاباء و الاجـداد و لا يزال الكثير منهم يحتفظ بالاوراق الثبوتيـة لاملاكه في الاراضـي المحتلة ويحلم بالرجـوع اليهـا يوما هـو او احد ابنائـه ان لم يستطع هو ذلك ، فالوطن المادي موجود بالنسبة لهـم ، كما ان الوطن المعنوي ـ و ربما المتخيل ـ موجود هو ايضـا ، فالاحاديث و القصص لا تـزال تروى و تتناقلها الاجيال في محاولة منها لاحياء الوطن في الذاكرة الفلسطينية .

لا تزال الهوية امراً مهما لكل انسان ، و نتفق مع عزمي بشـارة في « ان هناك حاجة اساسية لدى الانسان المعاصر للبحث عن معنى (دلالة) و الهويـة تعتبـر احـدى ادوات البحث عن هذا المعنـى» [٣٦]، وعادة مـا يحمل المرء اكثر من هويـة سـواء العائلية ، الوظيفيـة ، المناطقية ، الحزبيـة ، الاثنيـة ، الدينيـة و غيرهـا اذ تبدا الهويـة من الدائـرة الضيقة ـ العائلـة ـ مرورا بالهويات الوسطية وصولا الى الهوية الوطنية و بعدها الهوية الانسانية الواسعة ، و ينتقل المرء بكل سـهوله من هويـة لاخرى ، لكن في بعض الاحيان يتم التشـديد على احدى هـذه الهويات دون غيرهـا لتحقيق اهداف معينة [٣٧] ، و مع هذا تبقى الهويـة الوطنية ذات دلالة معينة فهي تعطي للانسـان انتماءا الـى دولة ، وبذا تعطيه وجودا قانونيـا اضافة الى الوجـود المعنوي ، وجـودا يحتاجه المرء في العالـم المعاصر من اجل الحفاظ على حقوقه كانسان فيه *.

و بمـا ان الباحثيـن يتفقون علـى ان انتماء الفرد الى جماعة هو اسـاس وجـوده و انتماءه لهـا يعني انـه يحمل هويتها فـي مقابل هويات الجماعـات الاخـرى[٣٨]، كمـا انـه لا يـدرك وجوده الا من خلال هوية جماعته نفسـها وفي نفـس الوقت يحدد هويـات الجماعات الاخرى من خـلال هوية جماعتـه نفسـها [٣٩]، فهل ان الفلسـطيني الذي غادر الى الخارج يحدد هويته

عن طريق انتماءه للجماعة الفلسطينية ، ام عن طريـق الجماعة الجديدة التـي دخل مجتمعها ، وما هي الهوية التي اخذ يحملها ؟

من الطبيعي انه عند الانتقال من مجتمع الى اخر يمـر المرء بتغير في البيئة ـ المحيط ـ بالاضافة الى تغير في اوضاعه الشخصية ، عندئذ يشعر بالحاجة الى الهوية [٤٠]، سـواء الهوية التي قدم بها او هوية المجتمع الذي دخل فيه او اية هوية اخـرى ـ فقد تكون هوية عابـرة للقومية على سبيل المثال ـ فكما اسلفنا ان الهوية تمنح المرء شـعور بالانتماء ،وهذا يمنحه شـعور بالامن و الاسـتقرار ، لكنه فـي الحقيقة و في تعامله مع المحيـط او البيئة الجديدة التـي يدخل اليها يمر بمراحل مختلفة قد يستطيع البعض تجاوزها في حين يفشـل البعض الاخر وتبدا هـذه المراحل بالوصول ،ثم المواجهة [٤١] ، اذا نجح المرء في تجاوز هـذه المراحل عندئذ يكون امام خيارات عدة سـواء في الاندماج اوالتماثل والا فسيكون امامه الانعزال او التهميش [٤٢].

قد يفشل البعض في عبور المرحلة الاولى ـ الوصول ـ اذ يظلون محتفظين بهويتهم الاصلية غيـر قادرين على التحول عنهـا او على الاقل التكيف مع الاوضاع الجديدة [٤٣]، وفي الحقيقة هم غيـر قادرين على التراجع عن هذه الخطوة ولا قادريـن على الانتمـاء للمجتمع الجديد، لذا يعيش قسـم من هؤلاء حالة من الاحساس بانهم عالقين في هذه الوضعية "المراوحة بين هويتين "[٤٤]، فـي حين يظـل البعض الاخـر محتفظا بهويته القديمة و غير قادر على الاندماج نهائيا لـذا يعيش علـى هامش المجتمـع ، ويحيا حياة غير مسـتقرة يشـعر خلالها انه منبـوذ و ربما مضطهد من قبل الاخرين [٤٥] ، وهذا ما شـعر به بعض الفلسـطينيين الذيـن اضطروا للهجرة بالقـوة و الذين حملوا معهم حياتهم السـابقة الى المهجر فلم يكونوا قادرين على تركها وراءهم ـ فالهجرة لديهم مادية و ليست معنوية ـ وحاولوا نقلها ـ حياتهم السـابقة ـ بتفاصيلهـا الدقيقة الى وطنهـم الجديـد الذين ظلوا ينظـرون اليه بعده مرحلـة انتقاليـة وليـس مسـتقرهم الاخير[٤٦] و هناك قسـم من الفلسـطينيين الذيـن راوا في ثقافـة المجتمع الجديد تهديـدا لثقافتهم وهويتهم وقيمهـم لـذا آثـروا العزلـة و الاحتمـاء ببقية اعضاء مجتمعهـم من الفلسـطينيين[٤٧]،فضلاً عـن ان الشـعور بوجـود تهديد مـن المجتمع المضيف لهويـة الوافد الفلسـطيني يجعله يهتم اكثـر بصورته الاصلية ، اي هويته الاصلية و يحاول حمايتها بكل الوسائل من التغيير[٤٨] كما ان كثير من الفلسـطينيين و انطلاقا من ايمانهم بقضيتهم و بحقهم في العودة رفضوا الاندماج ـ عن وعي وادراك مسـبق ـ حفاظا على هويتهم الوطنيـة ورغبـة منهم بعـدم ايجـاد بديل عن فلسطين وطنهم الاصلي [٤٩].

اما المواجهة ، فغالبا ما تنتهي الى الاندماج في المجتمع الجديد ، ذلك ان الفرد يحاول تجاوز الشـعور بالدونية [٥٠] التي قد يسمه بها المجتمع المضيـف اذا ما عجـز عن الاندمـاج ويعتمد الامـر على طبيعـة علاقـات القوة بيـن ثقافة المجتمـع المضيف و ثقافـة المجتمع المهاجر ، من الطبيعي ان الغلبة تكون للاقوى ـ في الحقيقة ان مسالة القوة هي مسالة نسبية فالذي ينظر اليه طرف على انه عنصر للقوة قد ينظر اليه الطرف الاخر على انه عنصر ضعف ـ واذا تماشينا مع الفكـرة القائلة بان ثقافة المجتمعات الغربية هي الاقوى (كذا) فان الفلسطيني لن يكون امامه الا الخضوع للثقافة الاقوى ولبس لبوسها والتشكل

بهويتهـا ، وهذا ما حصل لبعض الفلسـطينيين خصوصـا من الاجيـال الثانيـة و الثالثة الذين وجدوا انفسـهم امام مفتـرق طرق غير قادرين على تجاوزه الا باختيار الاندماج التام* ،نظرا لكثرة اتصالهم بالمجتمـع المضيف عن طريق الدراسـة و الاختـلاط ، بالتالي اخـذت الثقافة الغربيـة و المجتمـع الغربي تحتويهـم بالكامل ولم يقدروا علـى الموازنة ما بين الهويتين[٥١]، في حين تمكن البعـض الذين حملوا هوية اثنية قوية من التكيف مـع المتغيرات التي واجهوها في المجتمعـات الجديدة فعملوا تـزاوج ما بين الهويتين* مزيلين عناصر التناقض والاختلاف بينهما [٥٢]،ونجد مثلا ان الفلسطينيين في السويد يحتفلون باعيادهم المعتادة كما يحتفلون بالاعياد السـويدية ويطبخون الطعام العربي كما الطعام السـويدي و يحاولون تخفيف الشـعور بالغربة لدى ابناءهم [٥٣] ، وينطبق الامر ذاته على الكثير من الفلسـطينيين الذين هاجروا بعد عام ١٩٦٧ الى الولايات المتحـدة ، اذ حاولوا الحفاظ على ثقافتهـم في المجتمع المضيف ـ رغم الاندماج ـ كجـزء من واجبهم تجاه قضيتهـم التي لا تزال حية ويحاولون تجذير هويتهم الفلسـطينية لدى ابناءهـم بكل الوسـائل ومنها ارسـالهم لقضاء بعض الوقت في فلسـطين ان امكن [٥٤]،احيانا يجبر المجتمع المضيف نفسـه الافراد الوافدين علـى الاندمـاج ، فليس هناك تسـامح معهم اذا لم يتماشـوا مـع النظام الكلي ،ففي فرنسـا مثلا يضطـر الفلسـطينيون لاتباع سياسـة الاندماج ذلك ان قوى الاندماج و سياساته اكبر من قدرة الفلسطينيين على مواجهتها [٥٥] ، بالاضافة الى ان هناك قسم من الفلسطينيين الذين عاشوا حياة اللجوء و اضطـروا لتغيير اماكن لجوئهم اكثر من مرة وتعرضوا لشـتى الضغوط الامر الذي دفعهم للهرب نهائيا من عالمهم السـابق بكل ما يحمل و الاندماج بشـكل كامل في العالم الجديد تاركيـن ورائهم هويتهم القديمة*، و يبقى قسـم من الفلسـطينيين اراد الاندماج بالمجتمع الجديد لكنه في نفـس الوقت حاول الحفاظ على الهوية الفلسـطينية من اجل ان تساعده على الاندماج و تجاوز تعقيدات المجتمع الحديث ، فهم بحاجة الى غيرهم من الفلسـطينيين لمسـاعدتهم على تجـاوز صعوبات الحيـاة و بالتالـي يحتاجون للاجتماع معهـم وادامة علاقاتهم بهم و يتم هذا عـن طريـق الحفاظ علـى هويتهم الفلسـطينية التـي تؤهلهـم للدخول في المجتمع الفلسـطيني المغترب[٥٦] ، ذلك ان البيئة الاجتماعية مسؤولة الى حد ما في تشـكيل تصور الانسـان لنفسه ، و عنـد الانتقـال من مجتمع الـى اخر يهتز هذا التصور لذا يحتاج للشعور بالامان لتجاوز هذه المرحلة وهذا ما يتحقق غالبا عن طريق وجود افراد من نفس المجتمع الذي جاء منه [٥٧] .

وهنا يمكن القول ان الاندماج وفقا للاحتفاظ بالهوية يمكن ان يكون سـلبي و يمكن ان يكون ايجابي ، سلبي عندما يؤدي الى الاندماج الكلي متخليا عـن الهويـة السـابقة ، وايجابي عندما يحافـظ على مكونـات الهويـة الاصلية مضافا اليها عناصر من الهوية المكتسبة .

وفي الحقيقة ان كثير من الفلسطينيين الذين هاجـروا الـى الغرب مـن مجموعتـي الهجرة الاولـى والثانيـة تمكنوا مـن الاندماج بشـكل افضـل مـن الذين تلوهم ، وحصـل تزاوج بين البعض منهم وبين سكان البلاد الاصليين الامر الذي ساعدهم على الاندماج والتماثل معهم ذلك انـه ليـس لديهم بديـل يعودون اليـه ، في حين ان الكثيـر ممن هاجر من المجموعـات التالية

افتقـدوا القدرة على الاندمـاج خصوصا الجيل الاول منهم ، رغم افتقارهـم للاوراق القانونية التي تؤهلهم للانتقال او العودة ، ويعود السـبب في ذلـك للاختلاف الثقافي بين مجتمع الوافدين و المجتمع المضيف ، وبالذات سكان المخيمات الفلسـطينية في لبنان الذين عانوا في السابق من سـوء الخدمات التعليمية و الثقافية ـ فضلا عن الصحية و الاجتماعية والقانونية ـ كانت الفجوة الثقافيـة كبيرة و لم يتمكـن الجميع من عبورها بسـهولة ، وبالتالي وجـدوا صعوبة في التكيف و المجتمـع الجديد [٥٨] ، خصوصا الجيل الاول منهم .

البعض ارتضى الهويـة الجديدة نظرا لعدم امكانيـة الحصـول علـى هوية اخـرى ، اذ ان بقاؤهـم في الخـارج انما هي مرحلـة انتقالية ، ذلك ان الوطن خاضع للاحتلال ، لكنهم لا يمكن ان يكونوا الا فلسـطينيين ولكن هذا غير متحقق حاليا فعليهم القبـول بهذه الهوية التي تؤمن لهم الحياة والاسـتقرار و الامـان الى ان ياتي اليوم الذي يعودون فيه [٥٩] .

حصـل الكثيـر مـن الفلسـطينيين علـى المواطنـة في الدول الغربية ، و المواطنة تعني حقـوق وواجبـات ـ اي ان يشـترك المـرء في الحيـاة السياسـية و الاقتصاديـة و الاجتماعية للدولة المعنية اشتراكا ايجابيا [٦٠]ـ وهي مصدر للهويـة ، فالانتمـاء الـى دولة يعنـي ان يحمل المـرء هويتهـا ، لكن هـل هذا الانتمـاء جعل الفلسـطيني يضع هويته الفلسطينية في الاول و من ثم الهوية المكتسـبة ام العكس هو الصحيح (مثلا فلسـطيني / الماني ام الماني / فلسطيني) وهـل التعريف بالذات يحصل عن وعي او عن دون قصـد ان بعض الفلسـطينيين في الشـتات رغـم حملهم لهوية البلد المضيف الا ان هويتهم الفلسـطينية ترقى فوق هذه الهويـات فـ"... ان تكون فلسـطينيا يرقى فـوق ان تكون امريكيا ، اردنيـا ، او اسـتراليا ..."[٦١]، و في الحقيقة ان هناك عدة هويات فلسطينية تحمل كل منها رابط مع هوية غربية ـ فلسطيني / الماني ، فلسطيني / نرويجي ....الخ ـ لكنها تشترك جميعا بالهوية الفلسطينية ، لكن قد يضع احدهم هويته الجديدة قبـل هويته الاصلية ـ الماني / فلسـطيني ـ وفقا لدرجة اندماجه في المجتمع المضيف .

يمكن القول ان الهوية السياسـية للفلسطيني في الخارج تختلف عن الهوية الاجتماعية و الثقافية وان المرء فـي العموم يحاول ان يكون مواطنا يشـارك في حياة الدولـة الجديدة، ذلك ان هناك مـن يجعل من المواطنة شـرطا للحصول على الهوية الشخصية ، اي لا بد للفلسطيني ان يكون جزء مـن الجماعة السياسـية للدولـة المضيفة وليس فقط شـخص مسـتقر في الدولة[٦٢] ، اما علـى الصعيد الاقتصادي فيحـاول ان يكون له دورا ، لكـن في غالب الاحوال يكون الاقتصاد الذي يمارسـه هـو اقتصاد البقـاء * مع ذلك و فـي نفس الوقت اقام شـبكات ائتمـان مع غيره من الفلسطينيين في الشتات تربط هذه الشبكات بيـن الفلسـطينيين فـي الشـتات و بينهـم وبين الفلسـطينيين فـي الوطن الام،ومـا يطلق عليه بـ " الاقتصـاد الاخلاقـي للشـتات " اذ يلتزم الفلسـطينيون بمسـاعدة بعضهم البعض سواء فـي الشـتات او مسـاعدة اقربائهم فـي الوطن الام، و العكـس صحيـح [٦٣] ،امـا على صعيد حياتـه الاجتماعية والثقافية يحاول قدر الامكان الحفاظ على هويته الفلسـطينية وثقافته العربية ـ الاسـلامية .مـع هـذا ،فـي الشـتات لا تبقى الثقافـة الوافدة علـى حالها اذ انهـا تتاثر بثقافة

المجتمع المضيف وتبدا بالتغير والتكيف ، ذلك انهـا تضطـر للتفاعل مع الثقافـة القائمة اصلا والثقافـات الوافـدة الاخرى ، وهنا تنشـا ثقافة جديدة تختلف عن الاصلية لكنها تحمل عناصر منهـا [٦٤]، نتفق مع ادوارد الخـراط ان الهوية الوطنيـة "... ليسـت جوهـراً ميتافيزيقياً ابدياً قبلياً ، ليست (معطى) محدد مسبقاً ، ليست تراثاً محتوماً لا حول عنـه مقذوفاً به من الماضي و منيعاً لا يؤثر فيه البعد الزمني ، و لا المتغيرات التاريخيـة بل هي واقع دينامي تاريخي، زمني لجسد تعاد صياغته و تشكيله و تنميته ..." [٦٥]، وهنـاك اوجه ثابتة و اخرى متغيرة في الهوية، ويعتمـد هذا على طبيعة الجماعة نفسـها ، فاذا ما كانت هذه الهوية لجماعة قائمة على اسـاس المصلحـة تختلـف عن تلـك لجماعـة اثنية او قومية ، فالجماعـة الاولى قابلة للانفراط بتغير المصالـح او اختفائهـا او تعارضهـا وبالتالـي امكانيـة التخلي عن هوية هذه الجماعة اوتغيير شـروطها ، في حين ان هويـة الجماعة الثانية تبنى على اسـاس من العلاقات و الروابط التي تعتمـد على اسـس عدة لا يمكن للمـرء التخلي عنها او تجاوزها بسـهولة اذ انها تصبح بمرور الايـام جزء لا يتجزا مـن كينونته ، و عليه فان انتماءه لا يتغيـر ، ما يمكن ان يتغير هو اهمية هذا الانتماء بالنسـبة اليه ، فقد ينتمي الفرد الى جماعات اخرى جديدة مع انتماءه الاصلي الذي لا يتغيـر لكـن يتم الاضافة اليـه [٦٦] . وبالتالي يحمـل هوية اخرى مـع هويته الاصلية ، و هنا لا يجب ان ننسـى طبيعة الجماعـة التي ينتمي اليها ومدى قوتها ودور المؤسسات القائمة فيها بالحفاظ على وحدة الجماعة و قوتها واستمرار هويتها و قد لعبت العائلة دورا مهما في الحفاظ ـ الى حد ما ـ على الهوية الفلسطينية في الخارج فمع الافتقاد الى مؤسسـات تتولـى هذه العملية فـي المنافي ، اضطرت العائلة للقيام بهذا الدور للحفاظ على نفسها اولا، وعلى مجتمعها المحلي ثانيا وبالتالي الحفاظ علـى الهوية كنتيجة لذلك فكانت الاسـر تتناقـل حكايات النكبـة وتحاول اعادة ايجاد الوطن في المنفى [٦٧] ، كما وضعت تقاليـد عامة لا يجـب الخروج عليها مثل هذه التقاليد تكون على شكل ممارسات يتم تكرارها من اجل ضمان اسـتمراريتها و بالتالي الحفاظ على التواصل مع الماضي [٦٨]، اذ يحاول الاباء قدر الامكان الحفاظ علـى ابناءهم من الخروج علـى القيم و التقاليـد و الاخلاق و الدين وحتى اللغة ـ التي هي من مكونات الهوية ـ والانغماس فـي القيم الغربية المحيطة بهم [٦٩] و هي مهمة ليسـت بالسهلة على الاطلاق في ظل المغريات المحيطـة بهـم ، خصوصا في ظـل الزواجات المختلطة التي تهدد الهوية الفلسـطينية بالنسـبة للاطفـال ، وقـد اسـتخدمت طـرق متمايـزة و فرديـة في التعامل مـع الاطفال امثال هؤلاء فالثقافتيـن المختلفتيـن للاهل تؤثر في سـحب الاطفـال نحـو هـذه الهويـة او تلـك و يختلف الامـر ما بين الاسـر نفسـها وان كانـت غالبا نحو هوية المجتمـع المضيف ، مع هذا يختلف الابناء انفسـهم من حيث اهتمامهم بهوية آباءهم الفلسـطينية فالبعض يهتم بهـا لكنه لا يحملها ، وآخـرون يتيهون ما بيـن الاثنتين لفترة ولكنهم ما يلبثـون ان يعودوا للهويـة الغربية والبعض يحاول ان يحمل القضية و يدافع عنها خصوصا في ضوء الاعتداءات الصهيونية المتكررة على الفلسـطينيين [٧٠] ، و من الطبيعي عندما ينتمي المرء الى اكثر من وطن من الممكن ان يعرف نفسه باكثر من هوية [٧١].

الخاتمة

حمل الفلسطينيون هويتهم معهم اينما ذهبوا سواء رحلوا افرادا او جماعات ، وبعد ان استقروا في الدول الغربية وجدوا انفسهم في مجتمعات غريبة ، قسم من افرادها ينظر اليهم بعين الريبة والشك و الخوف ، وآخر ينظر اليهم باعتبارهم فائض عن حاجة البلد ، و الثالث يرى فيهم امكانيات ايجابية ، تؤثر هذه الامور وغيرها في قابلية الفلسطيني على الاندماج من عدمه في هذا المجتمع او ذاك ، وفي نفس الوقت الاحتفاظ بهويته الاصلية ، فالبعض لم يتمكن من الاندماج نهائيا وظل على حاله كانه يوم وصل الى المجتمع المضيف في حين تمكن آخرون من المزاوجة بين الهويتين ، وبعض ـ و هم قلة ـ اندمج بشكل كلي في المجتمع الجديد ، يختلف الفلسطينيون عن غيرهم من المهاجرين في ان هجرتهم في معظمها لم تكن طوعية فلولا الاحتلال الصهيوني لوطنهم لم يكونوا ليغادروه يوما ، وبالتالي يرجو الكثير منهم ان يعود الى وطنه يوما و الحفاظ على هويتهم هو جزء لا يتجزا من حلمهم بالعودة .

المراجع

الكتب العربية

الطاهر لبيب (محررا) .صورة الآخر العربي ناظرا و منظورا اليه ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ،١٩٩٩ .

ساري حنفي (محررا) . عبور الحدود و تبدل الحواجز سوسيولوجيا العودة الفلسطينية بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٨ .

التقارير

روز ماري صايغ . تجسيدات الهوية لدى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين رؤية جديدة للـ (المحلي) و (الوطني) بديل / المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة و اللاجئين ٢٠٠٩ .

المجلات

زكريا محمد . الجغرافي المقدسي و نص الهوية الفلسطينية ، مجلة الدراسات الفلسطينية العدد ٦٢ ،ربيع ٢٠٠٥ .

ويليام تيرنر . جان – بابتست ماير . بول دي غاتشينير . اسماء عزيز . شبكات المعرفة في الشتات ، ترجمة شكري الريان ، مجلة اضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع ، العدد الحادي عشر ، صيف ٢٠١٠،

الكتب الاجنبية

Amartya Sen .Identity and Violence .The Illeusion of Destiny ,Norton and Company ,New York,2007 .

Anthony D .Smith . Nationalism, Polity Press , United Kingdom ,2006.

الانترنت

١ - ادوارد الخراط . الاصالة الثقافية و الهوية الوطنية ، مجلة العربي الكويتية ، اول اكتوبر ٢٠٠٤ ،على النت :

www.arabphilosophers.com/Arabic/adiscourse/arabic_articles/Identity/A_Identity.htm

٢-اللاجئـون وحق العودة ، اســلام اون لاين نت/ ملفات خاصة / فلسطين

www.islamonline.net/Arabic/In_Depth/٠٧ashtml_Palestine/Topic

٣- رندة باســم ســرحان . عرس فلسطيني في نيوجرسي ، مجلة الدراســات الفلســطينية ، العدد٦٩ ، شــتاء ٢٠٠٧

http://www.palestine-studies.org/files/pdf/mdf/7358.pdf

٤- عزمي بشارة . بين الانا و النحن ..... بناء الهويات و الهوية الاسرائيلية ، معهد فان لير ، القدس .

http://www.amalnet.k12.il/NR/rdonlyres/7D3A2C7F-98C9-45D2-B567-C090F7632E80/20807/%D7%A8%D7%AA%D7%AA%D7%A8%D7%91%D7%95%D7%AA%D7%99%D7%95%D7%AA%D7

5-Abbass Shiblak(ed). The Palestinian Diaspora in Europe Challenges of Dual Identity and Adaptation , Institute of Jerusalem Studies ,2005 .

http://repository.forcedmigration.org/show_metadata.jsp?pid=fmo:4367

6-Ahlam Muhtaseb . Living on the Margins of Society : Palestinian Refugees Use of Narratives in Search of Identity ,University of Memphis, Memphis ,USA,2003,.

http://www.hicsocial.org/Social2003Proceedings/Ahlam%20Muhtaseb.pdf

7- Anis Hamadeh . A German Palestinian Identity ,Speech Script ,University of Leipziq .

www.anis-online.de/pages/_text3/Uni-Leipzig-English.pdf

8- Anupam Chander. Diaspora Bonds ,NewYork University Law Review , October 2001 ,vol.76:1005 , p.1017.

http://www.nrbvoice.org/wp-content/uploads/2010/01/Diaspora%20Bonds%20Anupam%20Chander.pdf

9 -Edward Said : Debating the Legacy of the Public Intellectual , Abstracts and Biographies of Speakers , Humanities Research Centre Conference , The Australian National University ,March 2006 .

http://www.anu.edu.au/hrc/conferences/conference_archive/2006/SaidAbstracts.pdf

10-Glenn Bowman .Tales of the Lost Land Palestinian Identity and Formation of Nationalist Consciousness ,New Formations,Number5,Summer1988.

www.amielandmelburn.org.uk/collections/newformations/05_31.pdf

11-Ismail Lubbad. Demographic Profile of Palestinian Migration ,The American University in Cairo, Egypt .2007.

www.aucegypt.edu/GAPP/cmrs/Documents/IsmailLubbad.pdf.

12- Kay Zare . Permanent Transitions: Collective Identity Formation in Israel ,Jordan and Palestine.

http://www.american.edu/spa/publicpurpose/upload/Permanent-Transitions.pdf

الهوامش

١- اسحق خيوتمان " مواطن اسرائيلي " اكد خلال مؤتمر حول مدن الشرق الاوسط ان الفلسطينيين اذا ما ارادوا العودة الى وطنهم يجب اعلان انفسهم اسرائيليين .نقلا عن

2- Glenn Bowman .Tales of the Lost Land Palestinian Identity and Formation of Nationalist Consciousness ,New Formations,Number5,Summer1988,p31.

www.amielandmelburn.org.uk/collections/newformations/05_31.pdf

3- Mathew B. Parnell. Palestinian-Americans: Construction and Maintenance of Political and Cultural Identity in Diaspora. A Thesis submitted to the university of North Carolina at Wilmington in partial fulfillment of the requirement for Degree of Master of Arts,2006 p.16.

www.libres.uncg.edu/ir/uncw/f/parnellm2006-1.pdf

4- Zachary J.Foster. The Emergence of a Palestinian National Identity : A Theory – Driven Approach ,

www.umich.edu/~historyj/pages_folder/articles/W07_Foster.pdf

5- Ibid, p.22.

* يمكن ان نذكر ان الهوية العربية في فلسطين ظهرت كرد فعل على سياسة التتريك العثمانية و الطورانية التركية و لم يتم التاكيد على الهوية الفلسطينية في هذا المجال الا تاليا.

7- Mathew B .Parnell, op,cit,p.23.

8- Ibid,p.22.

9- Kay Zare . Permanent Transitions:

13- Mandy Turner. Three Discourses on Diaspors and Peacebuilding ,WISC,Ljubljana,2008 .

http://www.allacademic.com//meta/p_mla_apa_research_citation/2/5/1/7/4/pages251746/p251746-1.php

14- Mathew B. Parnell. Palestinian-Americans: Construction and Maintenance of Political and Cultural Identity in Diaspora. A Thesis submitted to the university of North Carolina at Wilmington in partial fulfillment of the requirement for Degree of Master of Arts,2006 .

www.libres.uncg.edu/ir/uncw/f/parnellm2006-1.pdf

15- Sari Hanafi ,Rethinking the Palestinians Abroad as a Diaspora: The Relationships between the Diaspora and the Palestinian Territories ,International Social Science Review , vol.4 (1-2).2005.

http://staff.aub.edu.lb/~sh41/dr_sarry_website/publications/108_Hajar_Final.pdf

16- Stuart J.Kaufman. Social Identity and the Roots of Future Conflict ,October,2003.

http://www.au.af.mil/au/awc/awcgate/cia/nic2020/kaufman_panel2_nov6.pdf

17- Zachary J. Foster. The Emergence of a Palestinian National Identity : A Theory – Driven Approach ,

www.umich.edu/~historyj/pages_folder/articles/W07_Foster.pdf

Collective Identity Formation in Israel ,Jordan and Palestine, p.4.

http://www.american.edu/spa/publicpurpose/upload/Permanent-Transitions.pdf

* فهو يقول في كتابه " قضايا الثقافة الفلسطينية "(رام الله :منشورات مؤسسة مواطن ،٢٠٠٢) :"ان تاريخ الهوية الفلسطينية هو اكثر جوانب الحياة الثقافية الفلسطينية تلوثا بالنص الصهيوني فنحن بالاجمال نردد ما يقول هذا النص عن هويتنا و تاريخها ..."نقلا عن : زكريا محمد . الجغرافي المقدسي و نص الهوية الفلسطينية ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، العدد ٦٢ ،ربيع ٢٠٠٥ ، ص ١٤٧ .
* يصف هيرودوتس غزو الفرس لليونان ذاكرا لفلسطين بقوله " وقد جهز الفينقيون و سوريو فلسطين ثلاثمئة سفينة... " و " .. هذه الامة تبعاً لما تقوله عن نفسها سكنت قديماً على البحر الاحمر ، حيث مازالوا يقيمون . و هذا القسم من سوريا و كل المناطق الممتدة من هنا الى حدود مصر المعروفة باسم فلسطين ." نقلا زكريا محمد ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٧ ، نقلا عن تاريخ هيرودوت (دبي : منشورات المجمع الثقافي في البحرين ، ٢٠٠١) ، ص ٥٢٢ .
* تجد نص الحوار في المصدر السابق ، ص ١٤٩ ، نقلا عن محمد بن احمد المقدسي ،" رحلة المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ٩٨٥ – ٩٩٠ "، حررها و قدم لها : شاكر لعيبي (ابو ظبي : دار السويدي للنشر و التوزيع : بيروت : المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ٢٠٠٣) ، ص ٣٦٢ .

١٣- المصدر نفسه ، ص ١٤٨ .

** للمزيد من المعلومات عن الهجرة الفلسطينية بالارقام انظر:

Ismail Lubbad. Demographic Profile of Palestinian Migration ,The American University in Cairo, Egypt .2007.

www.aucegypt.edu/GAPP/cmrs/Documents/IsmailLubbad.pdf.

15- Sari Hanafi ,Rethinking the Palestinians Abroad as a Diaspora: The Relationships between the Diaspora and the Palestinian Territories ,International Social Science Review , vol.4 (1-2).2005.p.169

http://staff.aub.edu.lb/~sh41/dr_sarry_website/publications/108_Hajar_Final.pdf

* بعد انهيار الامراطورية العثمانية و نشوء دول عدة في المنطقة لم تعد جوازات سفر هؤلاء المهاجرين نافذة المفعول وبذلك لم تعد لديهم امكانية للعودة خصوصا بعد القوانين التي وضعتها السلطات الاسرائيلية اثر قيام الدولة. Ibid, p.١٧٠

17- Ibid,p.170.

18- Abbass Shiblak.Reflections on the Palestinian Diaspora in Europe , from Abbass Shiblak ed .The Palestinian Diaspora in Europe :Challenges of Dual Identity and Adaptation , Palestinian Refugee and Diaspora Center ,2005, p.11

http://repository.forcedmigration.org/show_metadata.jsp?pid=fmo:4367.

19- محمد كامل درعي .مسارات اللاجئين الفلسطينيين : القرابة كاحد مصادر الهجرة .من كتاب عبور الحدود و تبدل الحواجز ،ساري حنفي (محررا)، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،2008 ،ص 159.

20- Mandy Turner. Three Discourses on Diaspors and Peacebuilding ,WISC,Ljubljana,2008 p.2,3.

http://www.allacademic.com//meta/p_mla_apa_research_citation/2/5/1/7/4/pages251746/p251746-1.php

21- Ibid,p.3.

22- Ibid , p.7,8 .

23- Ibid, p.9,10.

24- Stuart J.Kaufman. Social Identity and the Roots of Future Conflict ,October,2003,p.2.

http://www.au.af.mil/au/awc/awcgate/cia/nic2020/kaufman_panel2_nov6.pdf

هناك مـن يوضح بعض مكونات الهوية الفلسـطينية من خلال مشتركات اهمها :

البيئـة الحيويـة : فـي السـابق كانـت البيئة ارض فلسـطين ، اصبحـت الان المنافـي على اتسـاعها، تكمن اهمية البيئـة الحيوية في انها المجال الذي تتم فيه الفعاليات السياسـية ، الاقتصادية، الاجتماعية ، الثقافيـة ، وغيرها مـن الفعاليات التـي تحتاج الى مكان تتموضع فيه .

التاريـخ المشـترك : ونعني ان يعيش الفلسـطينيون و يمـرون بـذات الاحـداث ، ويمكـن القـول ان الفلسـطينيين مروا بتاريخ مشـترك بشكل او باخر، من خـلال مواجهة كل الصعوبـات التي نتجت عن الاحتلال سواء الهجرة ، اللجوء اوالشتات وغيرها .

التكوين النفسي المشترك : ويعني به الاشتراك في:

عقدة الامن الوجودي ، فالفلسـطينيون مهددون دائما فـي وجودهم من خلال الابعاد والترحيل سـواء من وطنهم الام او مناطق اللجوء والمنافي .

عقـدة التبعية والاعتماد على الغيـر : غالبا ما اعتمد الفلسطينيون على غيرهم سواء من العرب او العالم سـواء في تقديم الملجا او الاعانة الاقنصادية وقبلها الاغاثة الانسانية ، او الدعم و العون السياسي .

عقدة جواز السفر، اذ يشـترك جميع الفلسطينيين في الحاجة الى الوثائق الرسمية التي تمكنهم من الانتقال و السفر بحرية .

عقـدة المخيـم ، مـر معظـم الفلسـطينيين بمرحلـة الاسـتقرار بالمخيم ـ ولا زال الكثير منهم يعيش في المخيمـات ـ وما عانوه مـن حرمان طوال تواجدهم فيـه. انظر : اللاجئون وحق العودة ، اسـلام اون لاين نت / ملفات خاصة / فلسطين

www.islamonline.net/Arabic/In_Depth/Palestine/Topic_07ashtml

26- Sharif Kanaana .Towards the Preservation of Palestinian Identity ,in The Palestinian Diaspora in Europe : Challenges of Dual Identity and Adaptaion , op,cit,p108.

27- Anupam Chander. Diaspora Bonds ,NewYork University Law Review , October 2001 ,vol.76:1005 , p.1017.

http://www.nrbvoice.org/wp-content/uploads/2010/01/Diaspora%20Bonds%20Anupam%20Chander.pdf

28- Ibid ,p.1007.

29- Ibid,p.1024.

30- Sari Hanafi ,op,cit, p.166.

31- Anupam Chander,op,cit,p.1007.and

الطاهـر لبيب . تقديم ، من كتاب صـورة الاخر العربي ناظـرا و منظـورا اليـه ،الطاهر لبيـب (محررا)، مركز دراسـات الوحدة العربيـة ، بيروت ،١٩٩٩ ، ص٢٣ .

32- Anthony D .Smith . Nationalism, Polity Press , United Kingdom ,2006, p.134.

33- Sari Hanafi , op,cit ,p.166,and Helena Lindhom Schulz.The Palestinian Diaspora Between Nationalism and Transnationalism in Palestinian Diaspora In Europe…..,op,cit,p.25 .

34- Helena Lindhom Schulz op,cit,p.38 qouted from Fawaz Turki ,the Disinherited ,Journal of a Palestinian Exile 2nd edition (London : Modern Reader

[Monthly Review Press],1974)p.8.

35- Ibid.p.2 ,quoted from Hammad , Suheir (1996) Born Palestinian , Born Black , New York and London :Harlem River Press ,p .ix .

36- Glenn Bowman op,cit, p.26.

37- Helena Lindhom Schulz op,cit,p.26.

38- Jeni Allenby .Commemorating Palestine : Diasporic Cultural Heritage / Identity Construction Within Contemporary Palestinian Narrative , in Edward Said : Debating the Legacy of the Public Intellectual , Abstracts and Biographies of Speakers , Humanities Research Centre Conference , The Australian National University ,March 2006, p.2 .

http://www.anu.edu.au/hrc/conferences/conference_archive/2006/SaidAbstracts.pdf

39- Mathew B. Parnell,op,cit,p.1.

40- Helena Lindhom Schulz, op,cit,p.21.

41- Mathew B.Parnell, op,cit, p.16

42- Helena lindhom schulz op,cit p.20.

43- Glenn Bowman ,op,cit, p.36.and Mathew b. parnell op,cit p.16

44- Glenn Bowman ,ibid ,p.31.

٤٥- عزمي بشارة . بين الانا و النحن ..... بناء الهويات و الهوية الاسرائيلية ، معهد فان لير ، القدس ١٢ il/NR/.http://www.amalnet.k
-٤٥D٢-٩٨C٩-٧D٣A٢C٧F/rdonlyres
A٪D٧٪/٢٠٨٠٧/C٠٩٠F٧٦٣٢E٨٠-B٥٦٧
٪٩١٪D٧٪A٨٪AA٪D٧٪AA٪D٧٪D٧٪٨
٪D٧٪٩٥٪D٧٪٩٩٪AA٪D٧٪D٧٪٩٥٪D٧
.AA٪D٧

* يعتقد امارتيا سن ان الهوية مصدر للقوة والثقة ، ويذكر ان بعض مفكري الجماعات ينظرون الى الهوية الجماعية باعتبارها مسالة تحقيق ذات وليس اختيار ، لكنه يرى انه من الصعب الاعتقاد ان الانسان لا يمتلك خيار في الانضمام الى هذه الجماعة او تلك او على الاقل اهمية الانضمام اليها ، للمزيد انظر

Amartya Sen .Identity and Violence .The Illeusion of Destiny ,Norton and Company ,New York,2007,pp,1,5.

لكن عزمي بشارة يرى بان اختيار الهوية ليس مسالة اختيار حر مئة بالمئة "...انما هو عرضة لبناء ونسخ انتماءات الانسان ليس كفرد ، انما كعضو في جماعة او عدة جماعات . هذا البناء يتم من خلال بناء المجتمع نفسه ، من ناحية اقتصادية ، ثقافية ، سياسية او غير ذلك ....." للمزيد انظر

عزمي بشارة . بين الانا و النحن ، مصدر سبق ذكره .

٤٨- عزيز حيدر . الآخر العربي و الآخر الفلسطيني و الآخر الاسرائيلي في نظر الفلسطينيين في اسرائيل ، من كتاب صورة الآخر العربي ناظرا و منظورا اليه ،مصدر سبق ذكره، ص ٧٠٠، ٧٠١

49- Ahlam Muhtaseb . Living on the Margins of Society : Palestinian Refugees Use of Narratives in Search of Identity ,University of Memphis, Memphis ,USA,2003,P.9.

http://www.hicsocial.org/Social2003Proceedings/Ahlam%20Muhtaseb.pdf

50- Dalal AbdulGhani .Caught Between Two Worlds:The Case of the Palestinian Community in Sweden,in:The Palestinian Diaspora in Europe Challenges of Dual Identity and Adaptation

, Institute of Jerusalem Studies ,2005 p.48 .

51- Dalal AbdulGhani,op,cit,p.49,50.

52- Salma A.Shawa.Palestinians in Greece: Some Sense of Belonging ,Diverce Communities. In Palestinian Diaspora In Europe … ,op,cit , p.135.

53- Dalal AbdulGhani, op,cit p.49,50.

54- Salma Shawa, op,cit, p.135.

55- Dalal AbdulGhani , op,cit, p. 49.

56- Gada karmi . An Early Case of Migration to the UK: Problem of Adaptation and Integration , in Palestinian Diaspora In Europe…,op,cit,p. 56

57- Abbas Shiblak , op,cit, p.15…….

٥٨ - بيار باولو دوناتي .صورة الاخر في العلاقة مواطن /اجنبي ملاحظات اولية ، من كتاب صورة: الآخر العربي ناظرا و منظورا اليه ،ص ١٢٩ .

59- Salma Shawa, op,cit, p. 136.

60- Dalal AbdulGhani op,cit, p.49.

* كطفلة ، تعلمت سريعا تكلم الانكليزية و فهمت ..." الطريقة الانكليزية في الحياة ، و هذا الامر كان مسلما به ، نظرا لاني ذهبت الى المدرسة مع اطفال انكليز واقمت صداقات معهم و دخلت منازلهم ،...، بعد فترة ، اصبحت محتواة من قبل الثقافة الانكليزية التي بدات تشكل اهمية كبرى بالنسبة لي اكثر من ثقافتي ...". " ... لقد كبرت و انا اكثر قربا من المجتمع الذي يحيطني ، اتطابق مع تاريخه و رموزه ...". " لقد شعرت باستمرار انني ممزقه بين نفسين و قد ازداد هذا الصراع سوءا عندما نضجت ، و قد حللته بواسطة الذهاب الى جامعة بعيدة عن المنزل ، حيث اعطيت نفسي بالكامل الى جانبي الانكليزي ". هذا ما اوضحته احدى الفلسطينيات في الشتات من موقفها من الهوية ، للمزيد انظر:

Ghada Karmi ,op,cit, pp.55-56.

62- Ibid , pp.55-57.

* عرفت امراة فلسطينية في الولايات المتحدة نفسها: " انا اعتقد اني وصلت الى نتيجة انني انتمي الى الاثنين ، فانا عربية فلسطينية و امريكية . فانا كليهما و من الممكن ان امتلك هوية هجينة ، فانا لا احتاج للشعور باني غريبة لانني لا انتمي مئة بالمئة هناك و لا هنا . و من الممكن ان اكون كليهما ."نقلا عن :

Helena Lindhom Schulz , op,cit, p.27.

64- Salma Shawa, op,cit, p. 136.

65- Helena Lindhom Schulz, op,cit, p.27.

٦٦ - تمارا تميمي . تعاطي الشباب الفلسطيني - الامريكي / العائد مع اشكالية الهوية ، من كتاب عبور الحدود و تبدل الحواجز ، مصدر سبق ذكره ، ص١٨١،١٧٣ .

67- Sari Hanafi, op,cit,.pp.162,163.

* حدث هذا بعد ان اخذت الهوية الفلسطينية تبتعد عن لعب دور تعبوي نحو تحقيق اهداف مشتركة او التعبير عن نضال مشترك في ضوء التطورات الحاصلة على صعيد المفاوضات مع العدو الصهيوني والخلافات الفلسطينية ـ الفلسطينية، و بالتالي يمكن القول ان الكثير من الفلسطينيين بداوا البحث عن بدائل على الصعيد المحلي الموجودين فيه ، فكرة الدور التعبوي ماخوذة من : روز ماري صايغ . تجسيدات الهوية لدى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين رؤية جديدة للـ " المحلي " و "الوطني

" ، بديـل / المركـز الفلسـطيني لمصـادر حقـوق المواطنة و اللاجئين ، ٢٠٠٩ ، ص ١٠ .

69- Salma A.Shawa,op,cit,p.136.

70- Dalal Abdul Ghani ,op,cit ,p.48.

71- Abbass Shiblak, op,cit,p.15.

72- Mathew B. Parnell,op,cit, 19.

٧٣- بيـار باولـو دوناتي . صورة الآخر فـي العلاقة : مواطن / اجنبي ملاحظات اولية ، من كتاب صورة الآخر العربي ناظرا و منظورا اليه ، مصدر سـبق ذكره ، ص ١٣٠ .

74- Lina Mahmoud ..British Palestinians :The Transformation of an Exiled Community,in Palestinian Diaspora i n Europe Challenges of Dual Identity and Adaptation ,op,cit,p.99 .qouted from Khalidi ,R.(1997)Palestinian Identity ,The Construction of Modern National Consciousness ,New York :Columbia University Press,p.1.

٧٥ - ويليـام تيرنـر . جـان – بابتسـت مايـر بول دي غاتشـينير . اسـماء عزيـز . شـبكات المعرفـة في الشـتات ، ترجمة شـكري الريان ، مجلة اضافات ، المجلة العربية لعلم الاجتماع ، العدد الحادي عشر ، صيف ٢٠١٠، ص ١٢٩ ،١٣٠ .

* 77- Mandy Tuner ,op,cit, p.3.

78- Helena Lindhom Schulz , op,cit, p.26.

٧٩ - ادوارد الخراط . الاصالة الثقافية و الهوية الوطنية ، مجلـة العربي الكويتية ، اول اكتوبر ٢٠٠٤ ،على النت :

www.arabphilosophers.com/Arabic/adis-course/arabic_articles/Identity/A_Identity.htm

80 - عزيـز حيـدر ، مصـدر سـبق ذكـره ، ص ٧٠١،٧٠٢ ، ٧٠٣.

81-Helena Lindhom Schulz ,op,cit, p.26.

٨٢- رندة باسم سـرحان . عرس فلسطيني في نيوجرسي ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، . العدد٦٩ شتاء ٢٠٠٧ ، ص٢. www. palestine-studies.org/files/pdf/pdf.٧٣٥٨/mdf

83- Helena Lindhom Schulz ,op,cit,p.27

84- Anis Hamadeh . A German Palestinian Identity ,Speech Script ,University of Leipziq ,p.2.

www.anis-online.de/pages/_text3/Uni-Leipzig-English.pdf

85- Helena Lindhom Schulz op,cit,p.24.

مجالات التقارب والخلاف الامريكي الروسي في الشرق الاوسط

(الازمة السورية انموذجا)

أ.م.د شذى زكي حسن (*)

المقدمة

شـكل الشرق الأوسـط منطقة نفوذ أساسية ومجال صراع وتنافس بين الدول العظمى ابان الحـرب الباردة ولعل ما مـرت به المنطقة من ازمـات وما ترتب عليها من تطـورات ونتائج إقليمية ودولية.هو نتيجة لهذا الصراع والتنافس وبقيـت كذلك الى الفترة الراهنةعندما تصدرت ثورات الربيع العربـي، قائمة اهتمامات القوى الدوليـة المتنافسـة في المنطقـة، اذ تعد الأزمة السـورية إحـدى المحطـات البارزة فـي هذه المنطقة وفي هذه المرحلة، عن طريق تشـكيل الأرضيـة الملائمة لتفاعل عناصـر ومكونات هذا الصراع وتعزيزه وتقاسم النفوذ بين القوتين العظيمتين .

وقـد ارتبطـت الأزمة السـورية مباشـرة بمسـألة الصـراع الأمريكي-الروسـي، عندما دخلت مرحلة التدويـل الفعلي واصبحت ميدان صـراع حقيقي بين الولايـات المتحدة وحلفائها مـن جهـة، وروسـيا وحلفائها من جهـة ثانية، مـع ما يرافق ذلك من تقـارب وتباعد وتناقض وتشـابك مصالـح هاتيـن القوتين بسـبب كثرة المتغيـرات المؤثـرة في هـذا الصـراع. مما جعل مسـتقبل هذا الصراع غير واضح المعالم وهـو مايدفعنا لطرح السـؤال التالي: هل يعني ذلـك أن نظام الهيمنـة الأمريكية على العالم بدأ يصطدم بعراقيل أساسية مما فتح الباب لانبثاق نظام دولي ثنائي القطبية يتمثل بدخول روسـيا الاتحاديـة بقـوة من البـاب السـوري، وطرح نفسـها قطبا دوليـاً نداً» أمام الولايـات المتحدة فـي محاولة للمحافظة علـى مصالحها الحيوية والإستراتيجية، ولاسيما في منطقة المتوسط بما ينذر بولادة نظام متعدد الأقطاب؟

أهميـة البحـث :- يحـاول البحـث قـراءة وتحليل الأحداث الجارية على السـاحة الدولية واستشراف حقيقة العلاقات الأمريكية-الروسية في ظل الأزمة السـورية التي مازالت مستمرة ومتصاعـدة، وتتحمل المنطقة أوزارها وتتلقى نتائجها على الصعيد الوطني والإقليمي. فضلًا عـن أحتمالية مسـاهمة نتائج هـذا الصراع في تغيير الأنظمة السياسـية ورسم خريطة طريق

(*) مركز المستنصرية- للدراسات العربية والدولية

جديـدة للمنطقـة تتجاوب مع الأهـداف المعلنة وغير المعلنة لهذا الصراع.

هدف البحث:- هو تسليط الضوء على سياسات التعـاون والتنافس بين الـدول العظمى وتحليل مسـاعيها في تحقيق أهدافها الإسـتراتيجية في منطقة تمثل أهمية اقتصادية وسياسية وعسكرية في دراسة لعبة التوازن بين الدولتين العظيمتين من خلال البوابة السـورية، والعودة إلى شـكل من أشـكال الحرب البـاردة والنتائـج المترتبة عنها على المنطقة وشعوبها.

فـي ضوء مـا تقدم نقسـم البحـث وفق الهيكلية الآتية :-

المبحث الأول: العلاقات الأمريكية-الروسـية بعد ١٩٩١:

بعد سـقوط المعسـكر الشـيوعي في العام ١٩٩١، تزعمـت الولايـات المتحدة الأمريكية قيـادة العالـم وتحولـت روسـيا الاتحادية نحو الديمقراطية والسوق الحرة، وكان لهذا التحول أثـره البالـغ علـى البنيـة الروسـية اقتصاديا وسياسـيا واجتماعيا، بحيث عادت روسـيا إلى تثبيـت موقعها كدولة عظمـى، وتعزيز دورها في السياسة الدولية كقطب له دوره ومكانته في العالم فـي مواجهة الهيمنة الأمريكية ولاسـيما بعد وصول الرئيس فلاديمير بوتين إلى السلطة في روسـيا، ممـا انعكس علـى طبيعة العلاقة الإستراتيجية مع الولايات المتحدة سلبًا وإيجابًا.

شهدت العلاقات الأمريكية-الروسية توجها جديـدا نتيجـة التحـول الذي طرأ علـى نوعية القيـادة فـي كلا الطرفيـن. ومـن الواضح بأن توجهـات القيادتيـن قد اصطدمت فـي ما بينها ولـم تلتـق إلا فـي نقاط قليلـة ، فـكان التنافس والتوتر السـمة المميزة للعلاقـة بينهما، الأمر الـذي دفـع أطرافـا أخرى إلـى الاسـتفادة من هـذا الشـكل فـي العلاقة سـواءً كانـت عالمية مثـل الصيـن واقليمية ، وقد تكـون إيران ربما مـن أبرز المسـتفيدين من روسـيا وذلك عندما وسعت تعاونها مع إيران في برنامجها النووي. ومن سمات الإستراتيجية الروسية الجديدة على مختلف الصعد سياسـياً واقتصادياً، أنها أخذت تتجـه بمعظمها نحـو حماية مصالحهـا وأمنها القومي تماشـيا مـع الأحداث والتطـورات في مختلف أصقاع العالم.(١)

هذا وتميزت هـذه الحقبة ببروز أحداث في غايـة الأهميـة كان لها الأثر المباشـر في نمط العلاقـات بيـن الطرفين، فانطلاقًـا من أحداث أيلول عام ٢٠٠١، أصبـح العالم يعيش مرحلة جديـدة تختلـف كليا عـن المراحل السـابقة ما دفع الولايات المتحدة لإكمال سياسـتها العالمية الراميـة إلـى السـيطرة على العالـم من خلال المضي قدما في محاربـة الإرهاب عالميا، مع ما يسـتوجب ذلك مـن أفعال وقائيـة وحروب استباقية تندرج في هذا السياق.(٢)

وفي إطار هذا التوجه، أيدت روسـيا الغزو الأمريكي لأفغانستان في العام ٢٠٠١، وسهلت عملية إنشـاء قواعد عسـكرية في أوزباكستان. وفـي المقابل، اعترفت الولايات المتحدة للقيادة الروسـية بأن منطقة آسـيا والقوقاز هي منطقة نفوذ روسـي، كمـا تم إبرام اتفاقيـات ومواثيق وعقـد قمم على ارفع المسـتويات بشـكل غير مسـبوق، وذلـك في إطار بلـورة العلاقات بين الدولتين فـي مجال الاسـتقرار الاسـتراتيجي والتعاون وحل النزاعات القائمة.

كمـا ناقـش كلا الطرفيـن مسـتقبل العلاقات

بينهما فـي ضوء عـدد من الأزمـات الدولية، التي تشـكل بؤراً للتوتر بينهما بسـبب اختلاف وجهات النظر، والمصالح المتحكمة بمواقفهما إزاء تلـك القضايا من بينها معارضة روسـيا لغـزو العراق مـن دون موافقـة مجلس الأمن. وايضا حاولت روسـيا الوصول مجدداً إلى قمة الهرم الدولي عبر عدد من القضايا الدوليةوالتي ادت الى توتر في العلاقات الامريكية - الروسية لعل من أبرزها الحرب الروسية الجورجية عام ٢٠٠٨ التي اعطت الاشـارة الى ان روسيا في عهد بوتين ليست ذاتها في عهد يلستين،[٣] فضلا عن نشـر الولايات المتحدة الدرع الصاروخي في بولندا وتشـيكياالأمر الذي رأت فيه موسكو تهديدا مباشـرا لأمنها القومـي، فضلاً عن ذلك سـعي الإدارة الأمريكيـة إلى تحقيق اسـتقلال إقليم كوسوفو عن جمهورية صربيا المقربة من روسيا، فضلاً عن الملف النووي الإيراني الذي أثارته الإدارة الأمريكية مع روسـيا التي تعدها الحليف العسـكري لإيران، في محاولة منها فك ذلـك الحلف ومنع تصديـر التكنولوجيا النووية إليهـا. لما في ذلك من تهديد للمصالح الأمريكية في الخليج العربي، وفي مسار الصراع العربي-الإسرائيلي وموقف روسـيا من ثورات الربيع العربي في منطقة الشرق الأوسط وسلوكها في الأمم المتحدة.[٤]

ومـن القضايا التي شـكلت مؤخرا بؤرة جديدة للتوتـر بين الدولتيـن الأزمة السـورية لما لها من خصوصية إقليمية ودولية ومحط حسـابات فعـال، إذ تحولت هذه الأزمة إلى صراع دولي يشـبه إلـى حد ما الحـرب الباردة بين الشـرق والغـرب، ودخلت أحداث هذا البلد في تجاذبات ومسـاومات الدولتين العظميين وفق المصالح السياسية والاقتصادية والعسكرية.

المبحث الثاني: سـاحة التنافـس الأمريكي-الروسي في سوريا

تعد مسألة التنافس الأمريكي-الروسي حول سـوريا أكثر القضايا تأثيرا على السلم العالمي اذأ صبحـت فـي مقدمـة الأزمات والمشـاكل، وموضوعا لاستقطابات دولية.

ومما لا شـك فيه، أن المصالح الإسـتراتيجية لكل مـن الولايـات المتحـدة وروسـيا تتقاطع فـي بعـض المجـالات، وتختلف فـي مجالات أخرى لكن القاسـم المشـترك بينهما أن القوتين حريصتان جدا على أن يكون لهما نفوذ قوي في هذه الدولة، ذات الموقع المميز والإستراتيجي، بهدف تعزيـز مركزيهما الإقليميين، وتحويل موازين القوى لصالح كل منهما.

فسـوريا بالنسـبة إلـى القوتيـن، هـي واحدة مـن أهم دول منطقة الشـرق الأوسـط، وحجر الزاويـة للأمن فيها، وبالتالـي فإن أي زعزعة لاسـتقرارها سـيؤدي إلـى عواقـب وخيمـة وفوضـى عارمة ليـس فيها وحسـب، بل يمتد إلى المنطقة بأكملها ويشكل تهديدا حقيقيا للأمن الإقليمي ككل.

فالتنافس الروسـي - الأمريكي في المنطقة لم يأت من اجل إثبات الوجود فقط، بل ينطلق من أسـباب حيوية مهمة ذات نتائـج مصيرية على الدولتين، ومنها:

١- تعـد منطقة الخليـج العربي من أهم مناطق العالـم لاحتوائها على أضخـم المخزونات من النفط والغـاز، وهي ممول النفـط الرئيس في العالـم، اذ تصـدر المنطقة ما يقـدر ب(٦٠٪) مـن النفط العالمـي، فضلاً عـن احتوائها على

مخزونـات هائلة من الغاز الطبيعي، ولاسـيما في العراق وقطر وإيران. يتأتـى الخـوف الروسـي من أي سـيطرة أمريكيـة كاملة على المنطقة بما فيها سوريا،لان هذه السيطرة سوف تحرمها من موارد مالية ضخمة تأتيها من خلال تصديـر النفط والغاز عن طريـق الأنابيب إلى أوروبا، إذ إن السـيطرة الأمريكية على سوريا تعنـي إن نفط وغاز الخليج سـوف يصبح على أبواب الأوربيين وبأسعار تنافسية من خلال مد الأنابيب من الخليج عبر سـوريا وتركيا وشرق أوروبا إلى باقي أجزاؤها الغربية، وسوف تمتد سيطرة أمريكا على الأسواق النفطية الأسيوية، وهذا يعني إن الاقتصاد الروسي سوف يضرب في العمق في حال سيطرة أمريكا على سوريا.[٥]

٢- تعد الاطلالة السـورية على البحر الأبيض المتوسط وحدودها المشتركة مع إسرائيل ولبنان والعراق والأردن، ذات الأهمية الإسـتراتيجية بالنسـبة لروسيا التي لن تسـمح بخسارتها، مما يعني أن سـقوط الرئيس الأسـد يعني خسـارة حليف مهم في الشـرق الأوسـط،والمنطقة التي تعـد حلم العهد القيصري للوصول للمياه الدافئة فـي الخليـج العربي وهـي صلـة الوصل بين الغرب والشرق، لذلك ترى روسيا إن وجودها في سـوريا هو مصيري لأجـل إثبات وجودها عالميـا وإقليميا، وجعلها حلقة وصل بينها وبين باقي دول المنطقة.

٣- أن سـوريا هي آخر حلقات النفوذ الروسي في الشـرق الأوسـط، لذا تحاول روسيا الحفاظ وبـكل قوة علـى النظام السـوري وتقديم الدعم الكامـل له، رغـم الضغوط التـي تتعرض لها مـن الغرب والدول العربية السـاعية إلى إنهاء الأزمة السـورية سياسـياً، إذ ترى روسـيا إن أي هيمنـة أمريكية مطلقة علـى المنطقة يعني انحصار النفوذ الروسـي داخل روسيا، وجعلها محاطة بـدول اغلبها موالية للغـرب وأمريكا، وبالتالي سـوف يجعل أمنها القومي «مكشوفا» لدى المعسـكر الاخر وسـوف تحاصر روسيا بالقـوات الأمريكيـة دون إن يكـون لها فرصة منـاورة خارجية، لهـذا تحاول روسـيا الإبقاء على تواجدها في سـوريا لتكـون قاعدة متقدمة للدفـاع عن روسـيا في حالة الخطر، ولاسـيما وان الـدرع الصاروخـي الـذي أرادت أمريكا نصبـه فـي بولنـدا أو التشـيك يوجـد سـبب لفشـله وهو وجـود أراضي روسـية خلف هذه الـدول فـي بحر البلطيـق، مما يجعـل من هذه المنظومـة الصاروخيـة الأمريكية هدفاً سـهلاً للصواريخ الروسية..http://democraticac ftn٢٣_ - ٤٦٧٤٨=de/?p

٤- محاولة روسـيا العودة إلى نفوذها السـباق فـي المنطقـة عبـر بوابتـي العـراق واليمن ، مستفيدة من سيطرة تنظيم داعش الإرهابي على أجزاء من الأراضـي العراقية،وطلب الحكومة العراقيـة من روسـيا الاتحادية تسـليح العراق بمختلـف الأسـلحة والطائـرات المقاتلة، ومع وجود هذه القوات قرب الحدود السـورية يجعل عملية إسقاط النظام السوري تبدو مستحيلة.[٦]

وكما اسهمت الأحداث المتسارعة في اليمن وتدخـل التحالف الدولي ضـد الحوثيين، الذي جاء بدعم أمريكي مباشـر في وضع اليمن أمام سيناريوهين ؛ وهما أما يمن موحد تحت سيطرة الحوثييـن المدعومين من إيران حليفة روسـيا الاقـوى في المنطقة، أو يمن مقسـم إلى شـمال وجنـوب، وفـي كل الحالات فان نفوذ روسـيا سـوف يعود لليمن كاملا او جزئياً، لذا تحركت

أمريكا عبر التحالف الدولي عوضا عنها للوقوف بوجه الحوثيين ، لأن استلامه للحكم سيكون ضربا لمصالح أمريكا في المنطقة.

٥- جاء التدخل الروسي في سوريا كرد فعل عن الأنباء التي تحدثت عن نية دول عربية كالسعودية وقطر بالاشتراك مع تركيا وأمريكا للتدخل العسكري المباشر في سوريا بهدف معلن وهو قتال تنظيم الدولة الإسلامية، لذلك بادر الجانب الروسي للتدخل العسكري المباشر في سوريا منذ عام ٢٠١٥ للتصدي لهذه التحركات ، إذ تمت تصفية قادة كبار من تنظيمات متشددة كتنظيم داعش والنصرة وحركات إرهابية أخرى , وذلك توجيه ضربات جوية مستعينة بقواعد روسية موجودة على سواحل سوريا بالبحر الأبيض ودخلت على خط المواجهة في سوريا بشكل ملحوظ وانقلبت المعادلة من مفاوضات "ضد" النظام السوري، الى مفاوضات مع النظام السوري المتقدم على المعارضة .

انطلق التنافس الامريكي - الروسي من مصالحهما الاستراتيجية في سوريا،فلكل منهما اهدافه ممثلة ب:-

اولا:- المصالح الاستراتيجية الروسية

أ-استراتيجية الأمن القومي والدبلوماسية الروسية

إن قراءة معمقة لإستراتيجية الأمن القومي الروسي الصادرة بموجب وثيقة بتاريخ ٢٠٠٩/٥/١٣، ، توضح النهج المتبع من قبل روسيا في الأزمة السورية. فمنذ ذلك الوقت سعت الإدارة الروسية إلى استعادة مكانة روسيا كقوة عظمى موازية للغرب ولاسيما في الشرق الأوسط، إذ تمثل سوريا موطئ القدم الأكثر أهمية فيه جغرافيا وسياسيا وإستراتيجيا[٧] حيث يشكل ضمان الأمن القومي الروسي أولوية في إطار عمل الدولة، ويتبلور الهدف الرئيسي في هذا المجال في جهوزية الاستجابة الملائمة للتهديدات التي تواجه العالم في القرن ٢١، مع ترشيد الإنفاق العسكري.

تتمثل المهمة الأساسية لروسيا الإتحادية في ردع أي عدوان من أي نوع كان ضدها أو ضد أحد من حلفائها. كما تقوم هذه الإستراتيجية على وجوب امتلاك قدرات نووية باستطاعتها إلحاق ضرر معنوي في حال قيام أي دولة أو تحالف دولي، بالاعتداء عليها في أي ظرف.[٨]

إن ضمان مصالح الأمن القومي لروسيا الاتحادية يستلزم وجودا روسيا عسكريا في بعض المناطق في العالم ذات الأهمية الإستراتيجية. كما أن انتشار التشكيلات العسكرية المحدودة كالقواعد العسكرية والقوات البحرية في تلك المناطق بمقتضى الاتفاقيات والقانون الدولي، ووفق مبادئ الشراكة، يهدف إلى ضمان قدرة روسيا على الإيفاء بالتزاماتها، وتسهيل خلق توازن عسكري إستراتيجي في تلك المناطق، كما أن ذلك يمنحها إمكان التعامل مع مواقف الأزمات في مراحلها الأولى ويسهل تحقيق أهداف السياسة الخارجية للدولة. رغم وجود العديد من العقبات في وجه تنفيذ هذه الإستراتيجية الأمنية، ولاسيما في ما يتعلق بتحديات الطاقة ومصادرها الطبيعية، فضلاً عن توسع حلف الاطلسي ومنظومة الدرع الصاروخية الأمريكية، وتصاعد وتيرة المجموعات المتطرفة والمنظمات الإرهابية الأجنبية.[٩]

يعد المخرج الذي انتهى إليه الجدل الخاص في توجيه الضربة العسكرية للنظام السوري، انتصارا للدبلوماسية الروسية على نظيرتها الأمريكية، ولاسيما أن موسكو نجحت في الحصول على تنازلات من واشنطن حول كيفية تسوية الصراع في سوريا، إذ ترجمت في القرار ٢١١٨، الذي يعكس التصور الروسي أكثر من الأمريكي .اذ فصل القرار المذكور بين المسألة الكيميائية، وتسوية الصراع، وأفرد عددًا من البنود لكل من القضيتين، وبالتالي حال دون أن يتم استخدام القضية الكيميائية كمبرر لتوجيه ضربة للنظام من أجل تسوية الصراع مع المعارضة، كما حدث في العراق.

وقد نص هذا القرار على أنه في حال عدم التزام أي طرف به، فسيتم فرض إجراءات استنادًا إلى الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة ما يعني أن النظام لا يتحمل المسؤولية الكاملة عن تنفيذ القرار والتعاون مع المفتشين، حيث تتحمل المعارضة المسؤولية أيضا، إذ نص القرار على أنه يحظر على أي طرفأن يستخدم أو يطور أو ينتج أو يمتلك أو يخزن أو ينقل الأسلحة الكيميائية. وتعكس هذه الصيغة القراءة الروسية للوضع في سوريا، والتي تقوم على أن من يتحمل مسؤولية الوضع هناك ليس النظام فقط، وإنما أيضا جماعات المعارضة، والقوى الإقليمية التي تدعمها.

اتجهت روسيا إلى تقديم نفسها كبديل، أو منافس موازٍ للولايات المتحدة في المنطقة سواء من حيث رؤيتها لمستقبل المنطقة، أو للدور السياسي للجماعات الإسلامية التي سارعت واشنطن إلى دعمها، وهو ما يعني عمليا أن هناك اختلافات بين الرؤيتين الأمريكية والروسية للمنطقة انطلاقًا من مصالحهما الإستراتيجية.(١٠)

ب -الروابط المشتركة والعلاقات التاريخية والاقتصادية بين روسيا وسوريا

ومن الواضح أن ثبات الموقف الروسي من الأزمة السورية نابع من ارتباط الدولتين بعلاقات سياسية وثيقة منذ قيام الحركة التصحيحية. وواصلا العمل للرقي بالعلاقات الاقتصادية والثقافية والعلمية كي تواكب مسار العلاقات السياسية والعسكرية القائمة بينهما، وهذا عائد إلى التوافق والانسجام والتناغم في السياسة الخارجية للدولتين لناحية الإستراتيجية الأمنية القومية والاقتصادية.وامتدادا لعلاقاتهما فقد كان الاتحاد السوفياتي من أوائل الدول التي اعترفت باستقلال سوريا، وأقامت علاقات دبلوماسية معها في العام ١٩٤٤، وتعززت العلاقات السورية-الروسية لتصل إلى التحالف الإستراتيجي بعد وصول الرئيس حافظ الأسد للسلطة إثر الحركة التصحيحية في العام ١٩٧٠، فبعد طرد السوفيات من مصر اضطر الكرملين إلى البحث عن بديل في الشرق الأوسط آنذاك، فكانت سوريا أفضل البدائل.(١١)

قدمت القيادة السوفياتية فضلاً عن الدعم العسكري، المساندة اللازمة في بناء البنية التحتية للاقتصاد السوري في مجال الطاقة والصناعات المعدنية والمشاريع المائية والكهربائية والسدود ، وكذلك بناء مصانع الحديد والصلب، فضلاً عن إنشاء خطوط حديدية وتجهيز سكك القطارات التي ربطت مناطق الإنتاج الزراعي بالموانئ في طرطوس واللاذقية.

اما في مجال الاستثمارات النفطية والغازية فقد بلغت استثمارات روسيا في سوريا في العام ٢٠٠٩ حوالي عشرين مليار دولار في

مجـال التنقيب عن النفط والغـاز وإنتاجهما، إذ نجـد شـركتي «تاتنفت» و»سـويوزفت غاز» الروسـيتين تقومان حاليًا باسـتخراج النفط في سـوريا.كما انخرطت شـركة «جيوريسرس» المتفرعـة مـن شـركة «غازبروم» الروسـية العملاقـة للمنافسـة في مناقصـات للتنقيب عن النفط.

كما اسـهمت الشـركات الروسـية فـي تنفيذ مشـاريع طاقويـة اخـرى ومنها قيام شـركة «روسـاتوم» الروسـية في العـام ٢٠١٠ ببناء أول مفاعـل لإنتـاج الطاقـة النوويـة، فضـلاً عـن الخدمات المسـتمرة من شـركة «تخنوبر مكسبورت» الروسية لمرافق إنتاج الطاقة التي أقامتها في سوريا.

كما شـاركت شـركات روسـية أخـرى مثل «سـوفنترافود» و»رسـغيدرو» أيضًـا فـي مشـاريع للري كما تضطلع شـركات التصنيع الروسـية أيضا بـدور في الاقتصاد السـوري، فشـركة «أورالمـاش» أبرمت عقدًا فـي العام ٢٠١٠ لتزويد شـركة سـورية معدات للتنقيب عـن النفط. وفي أيلول مـن العام ٢٠١١ وقعت شـركة «توبوليف آند أفياستار أس بي» مذكرة تفاهـم لتزويد الخطوط الجوية السـورية بثلاث طائـرات ركاب طـراز تـي يـو ٢٠٤ إس إم، وبمركز لخدمات هذه الطائرات.

ويأتي الغاز في أولوية مصادر طاقة القرن الواحد والعشـرين باعتبـاره الطاقـة النظيفة، لاسـيما بعد تراجع نسـب الاحتياطـي النفطي، فضلاً عن أن اسـتخراج الغـاز وتكريره بكلفة اقل ، وبالتالي فإن السيطرة على الغاز وخطوط إمـداده، أصبحـت مـن الركائز الإسـتراتيجية في سياسـة الـدول الكبرى، وهذا مـا تجلى في الصراع الدائر حول سـوريا إذ أن جيوسياسية الغـاز تكمـن فـي جوهـر العلاقـات الدولية.

يوجد لدى سوريا احتياطي مؤكد من الغاز على اليابسـة يقدر بـ٠,٣ تريليون م٣ حسـب أرقام العـام ٢٠١١، أي ما يعـادل ١٠٪ من إجمالي احتياط العالم. بلغ إنتاج سـوريا من الغاز خلال العـام ٢٠١٠ حسـب المعطيـات والمعلومات الرسـمية السـورية معدل ٣٦ مليون م٣ يوميا. وقـد أنتجـت ٣,٨ مليار م٣ في العـام ٢٠١١، واستهلكت نحو ٩,٨ مليار م٣، لذلك استوردت الغاز من مصـر عبر أنبوب الغـاز العربي[١٢] رغم إرتفاع الإنتاج المحلي للغاز بنسـبة ١٠٪ فـي العـام ٢٠١١، بسـبب حالـة التوتـر التي تعيشها سوريا، لكنه عاد وانخفض في السنوات اللاحقة نتيجة استمرار الأوضاع الأمنية السيئة.

إن اكتشـاف حقـول الغاز في المتوسـط مقابل الشـواطئ السـورية واللبنانيـة، والمعلومـات المتوافـرة تؤكـد أن هذا الحوض هـو الأثرى في العالم، كما عمدت سـوريا إلى منح شـركة «غازبروم» الروسية امتياز استخراج الغاز في هذه الحقول الموجودة قبالة السـواحل السورية. هذا وأبرمت شـركة «تاتنفت» عقـدًا في العام ٢٠٠٣، وتم حفر بئرها الأول في العام ٢٠١٠ في حقل كشما الجنوبية. وشيدت «سويوزفت غاز» أنبوبًـا لنقل الغاز الطبيعـي ومصنعًا لمعالجته، وتقـوم حاليًا ببناء مصنع آخر بالقرب من الرقة التي تبعد مائتي كيلومتر شرق حمص، يستطيع معالجـة ١,٣ مليـار متر مكعب مـن الغاز.[١٣] إن معرفـة السـر الكامن وراء الغاز السـوري سـوف تظهر حجم الصـراع ونتائجه، لأن من يسـيطر عليه سوف يتحكم بمكامن القوة لاسيما أن القـرن الواحد والعشـرين هو عصر الطاقة النظيفة من دون منازع.

اما في المجال العسكري،فإن سوريا هي البلد العربي الوحيد الذي لم تتأثر علاقته العسكرية بروسيا ، وظل يعتمد في تسليح جيشه على السلاح الروسي. وتنامت العلاقة بين البلدين في مجال التسليح بصورة اعمق بعدشطب روسيال٨٠٪ من الديون السورية والبالغة ثلاثة عشر مليار دولار، وذلك بموجب اتفاق البلدين في العام ٢٠٠٥ .

وقد تعزز التعاون العسكري بين البلدين في مجال البحرية، فقاعدة طرطوس تأتي في قائمة المصالح الإستراتيجية والعسكرية الروسية في سوريا، حيث أنها تشكل القاعدة البحرية الوحيدة في المتوسط، لتقديم التسهيلات البحرية اللوجستية والفنية الضرورية للسفن الروسية والقطع الحربية بهدف خلق حالة من التوازن مع الأسطول السادس الأمريكي، بعد أن تم تأهيل الميناء بدعم روسي.(١٤)

يعتبر الروس طرطوس بوابة إستراتيجية، ليس للبحر المتوسط فحسب، بل للمحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق والبحر الأحمر عبر قناة السويس. ويوجد في القاعدة البحرية في ميناء طرطوس مركز لتأمين المستلزمات التقنية لسفن الأسطول الحربي الروسي وثلاث منصات عائمة وحوض إصلاح سفن ومستودعات.

إن وجود دائم للقطع البحرية في أسطول البحر الأسود دلالة على الحضور الروسي في هذه المنطقة التي يسودها التوتر وعدم الاستقرار، ممثلا بالسفينة «إمان» والسفينة «إيفان بونبنوف» التي تحمل على متنها وحدة مشاة بحرية روسية.كذلك يتضح الوجود العسكري الروسي في المتوسط في تزايد المناورات العسكرية التي أجرتها البحرية الروسية والتي اشتركت فيها حاملة الطائرات الروسية «الأميرال كوزنيتسوف» بالإضافة إلى الزيارات العسكرية المتبادلة للوفود ولقادة الأساطيل البحرية لتطوير القدرات البحرية السورية وميناء طرطوس وتعزيز دورها في المتوسط.(١٥)كذلك استمرت روسيا بتزويد سوريا بالسلاح الدفاعي المتطور ممثلا بمنظومة الصواريخ الباليستية والمضادة للطائرات وغيرها من أنواع الأسلحة.

إن الحذر الروسي من انعكاسات الربيع العربي يتعلق بنظرة روسيا للشرق الأوسط المترابط مع آسيا الوسطى، من هنا كان التشديد على هذه الواجهة البحرية في الوصول إلى المياه الدافئة، إذ يتيح المرور عبر الخط الإستراتيجي نحو البحر الأبيض المتوسط والوصول إلى المحيط الهندي وحماية الخاصرة الجنوبية لروسيا. وتحاول هذه الأخيرة التشبث بموطئ قدم في شرق المتوسط باعتبار أن أمن الممرات المائية هو من الركائز الإستراتيجية في سياستها الخارجية، وهي لا تتساهل مع أي إخلال يمكن أن يعرض هذه الممرات للخطر(١٦)

ج-نمو الجماعات المتطرفة والإرهابية

تعتبر موسكو أعضاء المنظمات المتطرفة قتلة وإرهابيين، وتتخوف من امتداد نشاطاتهم اليها، لذلك عملت على محاربتهم في أفغانستان والشيشان والقوقاز، وهي تعاملت بواقعية مع هذا الملف، وجاهدت للقضاء عليهم ليس في روسيا فحسب إنما في الدول الحليفة التي تدور في الفلك الروسي. هذا ودعمت روسيا نظام الحكم في دمشق منذ بداية الأزمة، ومع تطور الأحداث واتخاذها مجريات متناقضة، تزايد

الدعم الروسي بجرعات أكبر كانت أحيانا تتعارض مع المصالح الروسية.[١٧]

ان اعتبار دوافع القلق الروسي من تنامي الجماعات السلفية المتطرفة، ومن استيلائهم على السلطة. وهذا في الواقع أهم الأسباب لدعم النظام السوري في مواجهته انتشار الحركات الأصولية وبالتالي وصوله إلى الجمهوريات السوفياتية السابقة والقوقاز والجمهوريات المسلمة في روسيا. فقد كان لروسيا تجربة مريرة في هذا السياق إبان سقوط الاتحاد السوفياتي وانتشار الفوضى والاضطرابات في الجمهوريات المستقلة، وتحرك المجاهدين المتطرفين من أفغانستان والحركات الأصولية من باكستان وتركيا باتجاه المناطق المسلمة في الاتحاد السوفياتي السابق أو ما يعرف بمنطقة «الخارج القريب». وقد أدى نمو التيارات الإسلامية المتطرفة إلى تكبيد موسكو نفقات ضخمة وإلى قلق كبير، باعتبار أن تهديد الإسلام المتطرف للحدود الروسية من أهم التحديات الأمنية التي تواجه البلاد. بالتالي فإن هذا القلق مرده إلى نشوب اضطرابات وحدوث تغييرات في هذه الدول، قد توصل السلفيين إلى السلطة، مما يجعل روسيا محاصرة من قبل أنظمة متطرفة.

أدرك المسؤولون الروس الارتباط بين التيارات الإسلامية المتطرفة الموجودة في آسيا المركزية وسوريا وبين الدعم الأمريكي لهذه التيارات، وأدركوا أيضا الخطر الداهم لتنامي هذه المجموعات بالوتيرة فائقة السرعة، من خلال تحضير الأرضية الخصبة والتخوف من وصول هذه التيارات الى عقر دارهم، قادمة من القوقاز والشيشان وغيرهما.

إن تصاعد تأثير الإسلام المتطرف في المعارضة السورية، عزز الزخم الروسي في تقديم جميع أشكال الدعم لنظام الحكم، لأن انتصار السلفيين في سوريا سيعزز قوة التيارات المتطرفة في آسيا المركزية وبالتالي تطويق روسيا، لذلك فإن هذه الأخيرة عازمة بكل ما لديها من قوة على منع وصول هذه المجموعات المتطرفة إلى تحقيق أهدافها في سوريا.[١٨]

تريد روسيا أن تكون شريكا فاعلاً في صياغة الترتيبات العملية بشأن الأزمة السورية لناحية الجماعات الإرهابية المتطرفة، لما تعتبره من تأثير سلبي على أمنها القومي، من هنا يتضح دورها المستمر في دعم النظام حتى هذه اللحظة من أجل ضمان دورها وأمنها ومصالحها والاعتراف بوجودها والحفاظ على نفوذها في سوريا والشرق الأوسط.

ثانيا:-المصالح الاستراتيجية الامريكية في سوريا فهي:-

لفهم الموقف الأمريكي المرتبك من الأزمة السورية وتعدد بدائل التعامل معها الناتج عن التحديات التي يفرضها بقاء النظام السوري أو تغييره تجاه التقدم في أي الملفات التي يمتلك النظام السوري قدرة التأثير فيها وهي ملفات التطبيع مع اسرائيل ودعم الحركات الارهابية والتواجد الروسي الايراني في سوريا. لابد من عرض الجدل السياسي لبعض دوائر الاهتمام الامريكية بالأزمة السورية حول بدائل الحركة نحو سوريا في بلد محوري في الشرق الأوسط بما يحمله ذلك من فرص ومخاطر على المصالح الأمريكية في المنطقة.

فمنهم من يشير الى ضرورة التدخل الأمريكي لفرض القوة تحقيقا لاهداف:-

أ- ترى الولايات المتحدة بسوريا بلد محوري في تشكيل العلاقات في منطقة الشرق الأوسط في إطار مصالحها العليا في المنطقة بعد انتهاء الحرب الباردة،فهي تعتبرها قلب الشرق الأوسط ولابد من السيطرة عليها من أجل إقامة نظام عالمي يبقيها في الريادة ولا يسمح بصعود أي قوة منافسة لها ، كما أنها تدرك بأن من يسيطر على سوريا يمكنه التأثير على العراق وتركيا ومصر، والتي تشكل سوريا نقطة التقاء بينهم، ومن يسيطر على هذه النطاقات الجيو سياسية الثلاثة يمكنه التأثير بالشرق الأوسط ،ومن ثم فأن الثورة السورية قد قطعت الطريق على تطور العلاقات الأمريكية مع النظام السوري، هذا التطور الذي جاء في إطار تطوير النظام السوري لإستراتيجية إقليمية نشطة ساهمت في مراجعة الولايات المتحدة لسياستها تجاه سوريا بتحويلها من «التشدد وفرض العزلة» إلى «الحوار والانخراط» على نحو أعاد لها اعتبارها الإقليمي، بل إن النظام السوري راكم من مصادر القوة وأوراق الضغط ما جعله أكثر قدرة على مواجهة الضغوط الأمريكية بناءا» على ذلك فإن الموقف الأمريكي المرتبك من الأزمة السورية يفسر من تعدد واختلاف اراء دوائر صنع القرار الأمريكي فهناك من يتبنى مبدأ التدخل العسكري لحماية المدنيين وبين من يعارض ذلك ويميل الى بدائل مختلفة.وتحت وطأة هذا الجدل سن الكونجرس تشريعا لا يسمح للرئيس منفردا باستخدام القوة تجاه سوريا ولا إعلان الحرب عليها. ورغم ما تمثله الأزمة الإنسانية التي يعانيها الشعب السوري من أداة ضغط كبيرة على صانع القرار الأمريكي .

فأنصار عدم التدخل يرون أن الخطر الحقيقي يتمثل في تمدد نفوذ الجماعات «المتطرفة» بجانب توافد المقاتلين الأجانب وعناصر تنظيم القاعدة على الاستقرار في سوريا وفي المنطقة بأسرها، حيث تجد هذه الجماعات في مناطق الاضطرابات بيئة ملائمة لممارسة نشاطها، كما سيتيح الفراغ الأمني نتيجة تصاعد العنف أو سقوط النظام لهذه المجموعات مكانة مؤثرة بفضل تنظيمها الذاتي القوي وقدرتها على توفير الدعم المادي والعسكري والبشري وبمساعدة أطراف إقليمية أخرى ، وسيساعد نمو هذه الجماعات جغرافية سورية الإقليمية باعتبارها عاملا جاذبا لكثير من العناصر المعادية للولايات المتحدة وإسرائيل باعتبار سوريا ممرا مهما مباشرا نحو عدوها إسرائيل، وموقعا استراتيجيا لضرب مصالح الولايات المتحدة في المنطقة بأسرها، علاوة على أن انهيار السلطة المحلية قد يؤدي إلى حرب أهلية وقتال ذي خلفيات دينية أو إثنية أو عرقية قد تتمدد خارج حدود سوريا، وهذه العوامل تمثل تعقيدات مهمة تؤثر على المصالح الأمريكية بجانب خبرة سنوات التدخل العسكري الخارجي في أفغانستان والعراق، وانتهاءا بالأزمة المالية العالمية وإستراتيجية الرئيس اوباما نفسها التي لا تعتمد على التدخل العسكري المباشر بل المشاركة في إطار منظومة دولية وإقليمية أكثر تواءما وتفاهماومشاركة.[١٩] هذا بجانب الخوف من اتساع نطاق الأزمة في حالة التدخل العسكري الذي يبدو الحل الوحيد لكنه الأصعب خصوصا إذا أخذنا بالاعتبار الأطراف الدولية والإقليمية التي تصطف إلى جانب النظام السوري واستعدادها لإشعال المنطقة بأسرها واحتمال لجوء

النظام السوري إلى استخدام ترسانة أسلحته الكيمياوية والبيولوجية وتأثير ذلك على الاستقرار الإقليمي والعالمي وكذلك تبقى الولايات المتحدة غير مستعدة لتدخل خارج إطار الشرعية الدولية وغير مستعدة لتحمل تكلفته السياسية والاقتصادية، علاوة على حسابات الداخل الأمريكي وخشية التورط في صراع يمكن أن تنعكس تداعياته على الانتخابات الأمريكية. كما يرى هذا الفريق أن الولايات المتحدة تفتقر إلى الأدوات والرؤية الشاملة لإحداث التأثير الايجابي في سوريا، وأنها لا تستطيع إحداث هذا التأثير وحدها وتحبذ مشاركة الأطراف الإقليمية المتفقة مع الولايات المتحدة في الأهداف الإستراتيجية. لكن هناك اتجاه آخر داخل الولايات المتحدة يرى في التدخل في سوريا ضرورة ممكنة عبر تزويد المتمردين السوريين بالسلاح والتدريب والمعلومات الإستخبارية، وكذلك دعم إقامة مناطق حظر جوي داخل سوريا، محمية من قبل القوة الجوية الأمريكية لان سقوط الأسد سوف يكون بمثابة ضربة قاضية لإيران وحزب الله وهذا كان هدفا أمريكيا على الدوام، كما أن عدم انخراط أمريكا في الصراع يحمل تكاليف متزايدة في المستقبل وذلك بالنسبة للشعب السوري ولمصالح الولايات المتحدة، بالإضافة إلى أن الشعب السوري سوف يشعر بالقليل من الود تجاه الولايات المتحدة وربما يمثل التدخل فرصة لمنع استخدام أو نقل مخزون السلاح الكيماوي والبيولوجي الكبير لدى النظام لقوى معادية في المنطقة بالإضافة إلى تضييق الخناق على القاعدة وفروعها العنيفة في المنطقة، لان عدم مساعدة الولايات المتحدة للمقاتلين داخل سوريا سوف يفسح المجال أمام القوى المتطرفة. لهذا فإن أصحاب هذا الرأي يرون أن المساعدات الأمريكية يجب أن تصل إلى تلك الجماعات التي ترفض التطرف والطائفية . لكن في الوقت نفسه هناك شكوك في تأثير التدخل الجوي أو إمداد المعارضة بالسلاح على الصراع الطائفي الذي قد يعقب سقوط النظام، خصوصا إن عملية عسكرية في سوريا ربما تستمر لفترة طويلة، كما أن التدخل العسكري قد يدفع روسيا والصين للاستمرار في دعم النظام وبقاياه[٢٠] لهذا يبرز اتجاه ثالث يعطي أولوية لتقديم مساعدات للانتفاضة مثل تقديم المساعدات الإنسانية والاقتصادية والتدريب الفني والقانوني وتقيم إصلاحات لقطاع الأمن والإدارة المحلية لتفادي فوضى ما بعد سقوط النظام لتظهر الولايات المتحدة إلى جانب الشعب السوري ومن ثم تجد قطاعات يمكن التواصل معها في المستقبل وتخفف من غضب قطاعات عريضة من سياساتها تجاه الأزمة في المستقبل وهي جهود تتبناها أيضا فرنسا.[٢١]

ب- ويمكن التأكيد على أهمية الالتزام الأمريكي بأمن إسرائيل كمحدد مهم للموقف الأمريكي، لأنه يفرض على الولايات المتحدة دعم التغيير في سوريا شريطة ألا يكون ذلك على حساب أي تهديد القوى المتعارضة من الممارسات الإسرائيلية، بل مواقفها من حقيقة وجودها ذاته، بالإضافة إلى هيمنة تيارات الإسلام السياسي على مشاهد الثورة السورية بشقيها المدني والعسكري، نجد أن التحفظ الأمريكي تجاه الثورة السورية له مبرراته، وفي هذا الإطار يمكن أن نفهم طلب رئيس الوزراء إيهود باراك من الحكومة الأمريكية تخفيف الضغط على النظام السوري وتركه لشأنه، وما

يعـزز هذا السـياق إدراك قادة إسـرائيل حقيقة أن ميـل الثورات العربية هو في محصلته معاد لسياسـاتها، وبالتالي حين يكون موقف إسرائيل ومصلحتها ضـد تغيير نظام الحكم السـوري، حتـى لـو أعلن بعض مسـؤوليها عكـس ذلك، يكون حتما هناك التـزام أمريكي بأن يكون أي تحول في سـوريا ضامنا لأمن إسرائيل، وربما يبرر هذا الارتباك والخلاف في وجهات النظر داخل دوائر صنـع القرار في الولايات المتحدة والغرب عموما السـلوك المتـردد تجاه الأزمة السورية.[٢٢]

ج- تبدو تداعيات الازمة السورية وتأثيرها علـى توازنـات القوة فـي المنطقة مثيـرة لقلق الولايات المتحدة ومهددة لاسـتقرار مصالحها في المنطقة، أكثر عمقا وتأثيرا على تبني سياسة واضحـة تجاه الأزمة، مـن عوامل أخرى تبدو بارزة على الساحة كحالة الصراع الدولي على سوريا والذي يتجسـد في الموقف الصلب لكلا من الصين وروسيا اللتين استخدمتا حق النقض الفيتو ثلاث مرات لمنع تحرك دولي ايجابي تجاه الأزمة ووضع حد لتدهور الأوضاع في سوريا ومحيطها الإقليمي، لكن كانت هناك ملاحظات أن الموقـف الأمريكـي كان باهتـا ولا يتسـم بالقوة المعتـادة مما يمكن إيعـازه إلى تخوفات الولايات المتحدة من تطورات الوضع الداخلي فـي سـوريا وتأثيره علـى الإقليـم ككل وعلى مصالحهـا بالأسـاس ويعزز مـن موقف فريق عدم التدخل فـي دوائر صنع القرار الأمريكي. لكـن في الحقيقة تطورات الوضع على الأرض وحـول الأزمة السـورية حتما سـيخلق مزيدا مـن الضغـوط علـى الإدارة الأمريكية لاتخاذ موقـف أكثر وضوحـا وذلك في ضـوء تهديد الوضع في سـوريا لمصالـح الولايات المتحدة وأصدقائها في المنطقـة مع مزيد من الضغوط الأخلاقيـة نتيجة اسـتفحال الأزمة الإنسـانية، وكذلك في ضوء الصراع بين القوى الرئيسـية على السـاحة الدولية، وثان هـذه الضغوط هو أن الألويـة الجهاديـة أصبحت أفضل تسـليحا ومدعومة بشـكل أفضل عن ألويـة المعارضة الأخرى لأنهم حصلوا على معظم السلاح الذي قدمـه الداعمون في قطر والسـعودية. وهؤلاء ليسوا الأشخاص الذين تريد واشنطن أن يكونوا مسلحين بشـكل جيد، هذا في الوقت نفسه الذي تمكنت المعارضة الثورية والمسلحة من توحيد صفهـا في إطـار تحالف جديد هـو «الائتلاف الوطني لقـوى المعارضة والثورة السـورية» بما ينفي الحجج المسـتمرة حول اعتبار تشرذم المعارضة وخلافاتهـا عائقا للتعاون أو التدخل أو تقديـم الدعم، وثالث هـذه الضغوط تأتي من حلفاء الولايـات المتحدة الإقليميين والدوليين الذيـن يضغطـون عليها لموقف يحسـم الأزمة السـورية ويضمن الاسـتقرار في الإقليم بدون تدخل عسكري امريكي.[٢٣]

د- تريد الولايات المتحدة الأمريكية خروج الأسـد لإنهاء الأزمة السـورية وإيقـاف التمدد الروسـي إذ يمكن القول أن واقـع حال الأزمة السـورية والتطـورات التـي تشـهدها عمـوم منطقة الشرق الأوسـط والمنطقة العربية على الخصـوص اذ تعد سـوريا رمانـة الميزان في المنطقـة ذات الأهمية الاسـتراتيجية الأمريكية والروسية، فالسـلوك الأمريكي والرد الروسي انمـا يوضح حقيقة مفادها بوجـود التعاون بين الطرفيـن وهـو التعاون الـذي ترجـع حيثياته الى نهايات القرن التاسـع عشر وبدايات القرن

العشـرين، فـكلا الطرفيـن وضع فـي إعتباره أن المنطقة بحاجة إلى اسـتراتيجية وسياسـات ووسـائل لأجل احتوائها من قبـل الطرفين كما تـم احتوائها خلال مرحلة الحـرب الباردة، فتم تقسيم مناطق النفوذ والمصالح بين الطرفين إلا أن شكل التعاون تمثل بصورة التنافس وحروب الوكالة.

هـ - تعتبر الولايات المتحدة سـوريا متورطة فـي دعم الإرهاب، من خـلال دعمها لحركات المقاومة في فلسطين ولبنان والعراق والجماعات الكرديـة . والإدارة الأمريكية بجناحها المحافظ تعتقد أن للولايات المتحدة مصلحة إسـتراتيجية قوية في نشوء سوريا جديدة مع حكومة معتدلة تحترم حقوق الإنسـان وتتمسـك بحكم القانون بعد سـقوط النظام الحالي، فسوريا وفق هؤلاء لاتزال تشـكل تهديدًا للإسـتراتيجية الأمريكية وللمصالـح الأمنيـة في الشـرق الأوسـط، من خلال رعايتها للجماعات المسلحة التي تعتبرها الولايات المتحـدة جماعات إرهابية، كما تعتبر كذلك أن سـوريا قد طورت برامج يشـتبه بأنها أسـلحة دمـار شـامل، وأنها عـززت علاقاتها السياسـية والعسكرية مع الدول «المارقة» مثل كوريا الشمالية وإيران.

واخيـرا يمكن القول ان تصعيد حدة الأزمة السـورية لفرض الشـروط الامريكية , انعكس على توتر العلاقات الثنائية مع روسيا.

المبحـث الثالث: تجليات التعـاون الأمريكي-الروسي

ادت تشـعبات الأزمـة السـورية علـى المستويات السياسية والأمنية إلى ولادة(خريطة طريق) داخلية وإقليمية جعلتها حاضرة في كل المؤتمرات والمحافل الدولية والإقليمية، ومحور اللقـاءات بين قـادة وزعمـاء الـدول العظمى والكبرى، كما تصدرت جميع الملفات السـاخنة علـى الصعيـد الدولي، فباتـت الجيوسياسـية السـورية محور صراع دولي وانقسـامات في المواقف السياسية والإستراتيجية مما نتج عنها مايلي :-

أ-التقارب السياسـي الامريكي- الروسي

حول الأزمة السـورية مثل التحول في مواقف بعض الدول التي كانـت تربطها علاقات جيدة مع سـوريا، من أهم مظاهر هـذا الاصطفاف، ولاسـيما تركيا التي بدلت مواقفها تجاه سـوريا من التعاون الإسـتراتيجي والتقارب إلى انعدام الثقة والتهديـد، وتجييش المعارضة وذلك وفق مصالحها المرتبط بالإستراتيجية الأمريكية في المنطقة.

إن تقويـم الموقف الروسـي فـي ثباته تجاه الأزمة السـورية يعود إلى سـابقة في العلاقات الدولية، فما حظي به النظام من القيادة الروسية لـم يحصـل عليـه حليف آخـر حتى فـي أوج الحرب البـاردة ، إذ دلل ممارسـة حق النقض فـي مجلس الأمن ثلاث مـرات متتالية خلال ٩ أشـهر على المكانة الاستثنائية للأزمة السورية في الحسابات الروسية على مختلف المجالات.

سعت روسيا منذ بداية الأزمة السورية إلى منع التدخـل الغربي في سـوريا، ودعم النظام السـوري فـي المحافـل الدوليـة بالتعـاون مع الصيـن، وفـي المحافل الإقليميـة بالتعاون مع إيـران فرضت على النظام السـوري اسـتقبال المراقبيـن العرب، ومن ثم كانت روسـيا وراء موافقة الرئيس السوري على الذهاب إلى جنيف

١، وهي أيضا الداعمة لسوريا في الذهاب إلى جنيف٢.

هذا واستفادت الإستراتيجية الروسية من انتصار النظام على المعارضة في القصير، ما زاد أوراق القوة في يدها للتفاوض مع الولايات المتحدة، ومن ثم انتصاره في حمص، والتقدم في ريف دمشق والقلمون، ليثبت كل ذلك عدم قدرة التيارات السلفية على مواجهة الجيش النظامي.[٢٤]

إن فشل المعارضة والثورة في إسقاط النظام، أجبر الولايات المتحدة على الدخول مباشرة في الحرب، عبر التهديد بشن ضربة عسكرية ضد سوريا، بحجة استخدام السلاح الكيميائي من قبلها في معظمية الشام والغوطة في آب/ ٢٠١٣. التقط الروس الفرصة واقترحوا على الجانب الأمريكي تخلي دمشق عن سلاحها الكيميائي، مقابل إنقاذ الرئيس الأمريكي من الحرج الذي وقع فيه، بعدما ذهب بعيدا في التهديد بالحرب من دون أي غطاء أمريكي أو دولي.

تعنى موسكو بشكل مباشر بالأزمة السورية، فإلى جانب المناورات البحرية ودخول السفن المتتالي إلى القاعدة الروسية في ميناء طرطوس، فإن التحرك السياسي القوي تجلى في رفض موسكو لعملية تقسيم سوريا في إطار المشروع الأمريكي باعتبار أن الأمن القومي الروسي يصل إلى ما بعد جبال طوروس.[٢٥]

إن الخوف من تمدد التطرف والإرهاب الذي خرج عن نطاق السيطرة والتحكم، دفع السفن الروسية إلى المياه الدافئة، ولاسيما أن المعارضة السورية المتطرفة قامت بتهديد المصالح الروسية في سوريا، فضلاً عن تهديد الرعايا الروس ومحاولات قصف القنصلية والسفارة الروسيتين، فجاء التحرك الروسي في إطار استباقي لأي استهداف محتمل.

ويبدو واضحاً أختلاف وجهتي النظر الروسية والامريكية تجاه التدخل العسكري في الازمة السورية كون روسيا أعلنت مراراً إختلاف المسألة السورية عن المسألة الليبية، وتداعيات التدخل العسكري ونتائجه السلبية على غرار ما حصل في أماكن أخرى، من فوضى انتشار السلاح، وانتقال التطرف والإرهاب عبر الحدود، كل هذه المعطيات يعتبرها الروس مطروحة للتفاوض حول مستقبل سوريا وتسليح المعارضة والجهاد العابر للحدود وغيرها من الملفات الساخنة.

اما واشنطن فانطلقت من الكسب الذي حققته في موضوع السلاح الكيميائي السوري، الذي شكل بالنسبة إليها مرتكزا للتوصل إلى توافقات حول البرنامج النووي الإيراني، والتقارب مع إيران بهدف الوصول إلى عقد جنيف ٢ في موعده، من أجل تحقيق كسب سياسي آخر.[٢٦]

إن وصول الأزمة السورية إلى هذه المستويات المعقدة، أخرجها من مداها المحلي إلى الإقليمي والدولي، وإن هذه التكتلات والاصطفافات المحلية والدولية قد أخذت حيزا من الأزمة السورية، وفق مصالحها وأهدافها وتحالفاتها. فعملية شمال الأطلسي في ليبيا تحت غطاء دولي، شكلت سببًا لموسكو لتحد من تكرار

سيناريوهات مماثلة تعزز النفوذ الأمريكي من دون مراعاة المصالح الروسية[٢٧] فعندما اقدمت الولايات المتحدة الأمريكية على ضرب مطار الشعيرات وبدون موافقة الأمم المتحدة إذ قدمت تبريرات إزاء تدخلها العسكري المباشر والذي تجسد في تصريحات للمسؤولين الأمريكان ومنها ما صرحت به وزيرة الخارجية السابقة هيلاري كلينتون فقالت (لدى الأسد سلاح جو تسبب بوفاة العديد من المدنيين، إذ قالت (أعتقد حقا إننا في حاجة إلى تدميره لمنع قصف الأبرياء ورمي قنابل السارين عليهم مرة أخرى).[٢٨] كان الموقف الروسي المعلن أمام المجتمع الدولي جاء متناقضا ورافضا للسلوك الأمريكي تجاه سوريا شعبا وحكومة إذ نقل الكرملين وجهة نظر الرئيس فلاديمير بوتين الذي رأى (أن الضربات الأمريكية على قاعدة الشعيرات العسكرية في سوريا محاولة من واشنطن لصرف أنظار العالم عن الضحايا المدنيين للجيش الأمريكي في العراق، كما عد الكرملين أن الضربات تشكل إنتهاكا للقانون الدولي وعدوانا على دولة ذات سيادة)[٢٩]، كما أعلن الرئيس بوتين بأن الهجوم الأمريكي على أهداف في سوريا هو عدوان ضار للعلاقات الروسية- الأمريكية والأضرار بالتحالف ضد الإرهاب، وهذا يرجعنا إلى نقطة البداية بأن مسألة العلاقات وضمن هذه الأزمة .هل هي تعاون ام تنافس وصراع، ام تقسيم للمصالح والنفوذ؟ طالما كان الرد الروسي بهذه الصورة فهو يعني باستطاعة روسيا الوقوف بوجه الصواريخ الأمريكية من خلال قواعدها الموجودة على الأراضي السورية، صحيح أن روسيا أعلنت بأنها ستقوم بتعليق إتفاقية السلامة الجوية مع أمريكا فوق الأراضي السورية، إلا أن هذه المسألة نفتها الولايات المتحدة الأمريكية وأعلنت عن موافقة روسيا على الحفاظ على الخط الساخن للاتصال مع المسؤولين في وزارة الدفاع الأمريكية في اطار مذكرة التفاهم الروسية -الأمريكية حول ضمان سلامة تحليق طائرات الجانبين في سماء سوريا أثناء العمليات وتلك المذكرة تم توقيعها في تشرين الأول ٢٠١٥.[٣٠]

وهو ما يعني ان روسيا لاتستطيع التخلي عن الولايات المتحدة الأمريكية بسهولة، وأن تتجه للحوار لإدامة التعاون بدلا عن تدهور العلاقات الأمريكية-- الروسية.

إن واقع الحال يشير إلى أن روسيا لا تريد خسارة الولايات المتحدة حيث لم ترد على الضربة كما أبلغت الجانب السوري وكما يشير العديد من خبرائها بأنها فضلت تأجيل الرد إلى المستقبل ، مع العلم أنه توجد منظومة الدفاع الجوية الروسية من طراز (٤٠٠ أس - ٣٠٠ أس) التي نشرتها روسيا في البلاد لحماية قواتها والقادرة على اسقاط الطائرات الحربية الأمريكية.[٣١]

إن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكتفي بهذه الضربة بل أن أعضاء في مجلس الشيوخ الأمريكي قدموا مشروع قانون يقضي بتأسيس محكمة لمقاضاة مرتكبي جرائم تحت عنوان (قانون محاسبة الحرب في سوريا فجاء في الوثيقة التي تم نشرها يوم ٢٠١٧/٤/٨).[٣٢]

كما اقترح أصحاب المشروع وهم ممثلين عن الحزبين الجمهوري والديمقراطي على وزير

الخارجية الأمريكي ريكس تيلرسون (دراسة إمكانية تأسيس آلية قانونية انتقالية لسوريا بما في ذلك المحكمة) [٣٣] وازاء ذلك يمكننا القول ان هناك إستراتيجية جديدة لتقسيم منطقة نفوذ وترتيب المصالح بين الطرفين وعودة لحرب باردة جديدة أدواتها الحروب العسكرية وليس الإعلامية.

وفي النتيجة نجد أن الصورة قد تكون ضبابية ما بين وجود تعاون وصراع في الوقت نفسه بين الطرفين لأجل فرض الأحادية القطبية للولايات المتحدة أم العودة إلى القطبية الثنائية من خلال استخدام القوة في المنطقة العربية وعلى الأخص سوريا وإعتبارها نقطة البداية.

ب-المناورات السياسية الامريكية - الروسية

إن دعم روسيا للنظام السوري يعني بالضرورة مقاومة الغرب، على غرار ما قامت به سوريا عندما حولت ممانعتها ضد إسرائيل إلى أهمية سوريا على المسرح الدولي، فإن الممانعة الروسية حول سوريا تجعل من موسكو لاعبا مهما على المسرح الدولي لا يمكن إتخاذ القرارات الدولية من دونه، استنادا إلى إستراتيجية الأمن القومي الروسي.

عمدت روسيا إلى تزويد النظام بصواريخ «س س ٢٠٠» في خضم الأزمة معلنة أن ذلك تم بناءا على اتفاقية موقعة مسبقا بين الطرفين وهي ملزمة التنفيذ، فضلاً عن العروض العسكرية البحرية والمناورات في البحر المتوسط التي شاركت فيها حاملة الطائرات «الأميرال كوزناسوف» والقطع البحرية في البحرين المتوسط والأسود أكبر مناورات بحرية روسية منذ عقود بمشاركة أربعة أساطيل حربية والطيران الروسي تزامنا مع التصعيد في الحرب السورية. فهذه المناورات والتدريبات تحمل رسائل مهمة من ناحية المكان والتوقيت باعتبارها عامل استقرار في المياه الدافئة مما يؤكد تحول روسيا الإتحادية من الناحية الجيوسياسية إلى قوة بحرية فضلاً عن كونها قوة برية.وقد قابلها مناورات أمريكية-إسرائيلية وتجارب إطلاق صواريخ ضمن سياق إظهار القوة والتلويح باستخدامها.[٣٤]

وقد اعتمدت روسيا في هذا السياق إستراتيجية المراحل، في عملية سياسية شاملة كانت نواتها التوافق على مسألة السلاح الكيميائي السوري للذهاب في اتفاق شامل حول سوريا، فضلاً عن اتفاق حول الملف النووي الإيراني، وذلك بهدف تثبيت مواقع النفوذ الجديدة.

إن الإستراتيجية الأمريكية تهدف إلى تحويل الأراضي السورية إلى ساحة معارك استنزاف لجميع القوى المتحاربة لتصفية بعضها البعض، من أجل تنفيذ مخططات اعادة تشكيل المنطقة وفق مقتضيات المصالح الأمريكية-الإسرائيلية.

إن الصراع في سوريا بين الامريكان والروس من جهة أخرى بات واضحا، وتجلى عبر النشاط الدبلوماسي الكبير في مؤتمر جنيف ٢، من حيث الشكل والمضمون. وحتى في طريقة جلوس الوفود في هذا المؤتمر هي خير معبر ودليل لعمق الانقسام وحدة

الاصطفاف. فقد جلس وفد النظام إلى جانب وزير الخارجية الروسي، بالمقابل جلس وفد الائتلاف المعارض إلى جانب وزير الخارجية الأمريكي في إطار واضح للصراع الدولي في الأزمة السورية من جهة، وتدويلها من جهة أخرى.[٣٥]

ج- مجالات التعاون

إن الوعي المتبادل لمستوى العلاقات الأمريكية – الروسية، من ناحية تطور الأزمة السورية، أدى إلى إدراك كلا الطرفين أن حالة «العداء المطلق» لا يمكن ان تستمر بالوتيرة نفسها ولا تتفق مع مصالح البلدين. ولا شك في أن الظروف الاقتصادية والمالية، وتتابع المشاكل الأمنية غير التقليدية، أوجد حيزا كافيا لتحسين العلاقات بين الجانبين من خلال نقاط التوازن في الأزمة السورية.

إن الاتفاق الأمريكي-الروسي الرامي إلى التخلص من الترسانة الكيميائية للنظام السوري، فتح صفحة جديدة بسياسة التلاقي بين الطرفين وإن تدمير هذه الأسلحة يشكل هدفا أساسيا لكلا الطرفين وقد شكل هذا الملف مخرجا للرئيس الأمريكي إثر توجيهه تهديدا بضربة عسكرية لسوريا، من دون أن تكون قد تهيأت له الظروف والتغطية الكاملة.

يضاف إلى ذلك ظهور عدو مشترك من شأنه أن يوحد الجهود فإجماع الطرفين الأمريكي والروسي على ضرب الجماعات المتطرفة في الشمال السوري تدخل ضمن الإستراتيجية الأمنية لكلا البلدين. والترجمة العملية في البحث عن نقاط التوازن في العلاقات تتمثل بالدعوة التي وجهتها وزارة الخارجية الأمريكية لقادة منطقة الشرق الأوسط، لإتخاذ ما يلزم لوقف تمويل عناصر تنظيمي الدولة الإسلامية في العراق والشام وجبهة النصرة، وأيضا وقف تدفق المقاتلين الأجانب إلى سوريا، العدو المشترك للولايات المتحدة والدول المعتدلة، ويشكل تهديدا مباشرا لمنطقة الشرق الأوسط الكبير.

في المقابل كانت الدبلوماسية الروسية تحاور الولايات المتحدة حول السلاح الكيميائي السوري لفترة طويلة، في محاولة للوصول إلى نقطة التقاء أمريكية-روسية يمكِن البناء عليها، من أجل عملية توافق كاملة حول ملفات عديدة في المنطقة، ولاسيما الملف النووي الإيراني الذي أسس لمرحلة جديدة من العلاقات الأمريكية-الإيرانية.[٣٦]

إن مؤتمر جنيف ٢ أضحى مسألة جامعة ونقطة توازن في العلاقات بين جميع الأطراف الإقليمية والدولية الفاعلة والمؤثرة في الأزمة السورية، كان قد أقر بضرورة استبعاد الحسم العسكري وتبني الخيار السياسي في معالجة هذه الأزمة لأن المسألة سياسية لها علاقة بمن يحكم سوريا، نظرا إلى طبيعة النظام السياسي والسياسة الإقليمية في المرحلة المقبلة وموقع سوريا في التحالفات الإقليمية والدولية.

الخاتمة :

نستنتج مما تقدم إن أزمات المنطقة العربية لا يمكن حلها إلا عن طريق التوافق بين القوتين الروسية والأمريكية، لأن استمرارها سوف يقود إلى تدخل دول أخرى تبحث عن نفوذٍ في المنطقة، فضلاً عن أن أساس التنافس بين الولايات المتحدة وروسيا حول منطقة الشرق الأوسط لا يمكن حصره في مجال واحد فقط وهو الوصول إلى مصادر الطاقة التي تزخر بها المنطقة، بل هناك مجالات أخرى لا تقل أهمية عن الطاقة وتلعب دوراً مهماً في رفع وتيرة التنافس بينهما في بعض الأحيان، والتي من بينها المجال الجيوبوليتيكي للمنطقة و مجال تجارة السلاح . كما أن تعامل كل من الولايات المتحدة وروسيا مع قضايا الشرق الأوسط يعكس وجود اختلاف واضح في التوجهات الإستراتيجية لكل منهما نتيجة تعارض مصالحهما في منطقة الشرق الأوسط

وتنطلق الإستراتيجية الروسية من أن الشرق الأوسط فضاء قريب من حدودها الجنوبية و أن أي عدم استقرار فيه سيؤثر سلبا على العديد من دول الجوار وهو ما قد يهدد أمنها القومي، فضلاً عن كون هذه المنطقة تشكل منفذا مهما للوصول إلى المياه الدافئة. اما الإستراتيجية الأمريكية تركز على ضرورة التواجد الدائم في منطقة الشرق الأوسط عبر أساليب مختلفة سواءً عبر التواجد العسكري المباشر أو من خلال بناء تحالفات سياسية واقتصادية مع دول المنطقة، وذلك لتطويق روسيا ومنعها من التغلغل إلى ما تعتبره أمريكا مجالها الحيوي، أي أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت في الفترة الأخيرة متوجسة من العودة الروسية الجديدة والتي اعتبرتها مهددة لوجودها في الشرق الأوسط ولاسيما في ظل التقارب الإستراتيجي بين روسيا والصين، وبذلك اعتمدت الولايات المتحدة على توسيع التنافس ونقله إلى مناطق النفوذ الروسي ولاسيما في سوريا و أوكرانيا، وذلك بهدف إلهاء روسيا بالمشاكل و الأزمات حتى لا تتيح لها الفرصة لإعادة ترتيب أوراقها الداخلية والخارجية والعودة كطرف قوي ومنافس يهدد مصالحها في منطقة الشرق الأوسط .

في ظل ما تشهده سوريا من حرب اهلية بين الحكومة السورية ومعارضيها من مختلف الإيديولوجيات فقد برزت تناقضات وخلافات في المواقف الأمريكية الروسية تجاه الأزمة السورية، وذلك نتيجة لتصادم المصالح بين الطرفين, وقد برز التنافس بينهما بشكل واضح من خلال موقف كل منهما الداعم لأحد أطراف الأزمة السورية.

وعموما إن ما يحصل في سوريا من تنافس بين الولايات المتحدة وروسيا ما هو إلا امتداد لتنافسهما الدولي الأشمل حول العالم.

الهوامش

1 - Abdulwahab Al-Qassab,The American-Russian StrategicCompetition in theArab Middle East,Arab Center. Washinton D.C,March 23, 2017

٢-ايمن طلال يوسف ، روسيا البوتينية بين الاوتوقراطية الداخلية والاولويات الجيوبوليتيكية الخارجية ٢٠٠٠-٢٠٠٨،مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣٥٨، ٢٠٠٨،ص ص ٨٢-٨٣.

3 3-Abdulwahab Al-Qassab.op.cit.

٤-منصور زغيب،تجدّد الصراع الأميركي-الروسي في ضوء الأزمات المستجدة ،مجلة الدفاع الوطني اللبناني ، العدد٩٠، ٢٠١٤ ،ص٢٠.

٥- حيدر صلال ، التنافس الروسي- الامريكي في سوريا ، مجلة العلوم السياسية والقانون ، العدد ٣، حزيران ٢٠١٧ المركز العربي الديمقراطي ، على الرابط:-democraticac.de/?p=٤٦٧٤٨

٦- محمود شكري، خطر الانهيار : الازمة السورية و مصير المشرق العربي ، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٩٠، تشرين الاول، ٢٠١٢، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة- مصر، ص٦٤

٧- العلاقات الأمريكية الروسية: البحث عن نقطة التوازن...على الرابط:-

arabic.people.com.cn

٨-جورج فريدمان ، مبدأ مدفيديف والاستراتيجية الامريكية ، بيروت ، مجلة المستقبل العربي ،العدد٣٥٦، ٢٠٠٨، ص١٢٣-١٢٤.

٩- منصور زغيب ، مصدر بق ذكره ،ص ٢٦.

١٠- ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، على الرابط:-ar.wikipedia.org/wiki

١١- مشتاق البياتي، تأثيرالاستراتيجية الدولية في تمدد التنظيمات الارهابية في العراق وسوريا ،رسالة ماجستير ، كلية العلوم السياسية،الجامعة المستنصرية، ٢٠١٧، ص٨٩.

١٢- مشتاق البياتي ، مصدر سبق ذكره ،ص٩٠

١٣- بلا مؤلف ، الموقف الروسي من الازمة السورية ، مجلة ابحاث استراتيجية ، مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية ،بغداد، عدد تشرين اول، ٢٠١٢، ص١٦١

١٤- عبد القادر رزيق المخادمي, القواعد العسكرية الامريكية الروسية وخاطرها على الامن الدولي, دار الفجر للنشر والتوزيع, القاهرة ٢٠١٣, ط١, ص١٢٦.

١٥- نورهان الشيخ ، السياسة الروسية تجاه المنطقة العربية بعد الثورات العربية ،مجلة السياسة الدولية العدد ١٨٦، ٢٠١١. ص ١٢٢.

17 16-Abdulwahab Al-Qassab,op.cit

١٧- مشتاق البياتي ، مصدر سبق ذكره ، ص١٨٠.

١٨- مصطفي العاني، «إالعناصر المؤثرة في القرار الأمريكي من سورية سرائيل والثورة السورية: عدوّ عدوي. عدوي»، جريدة الحياة اللندنية، ١٣ أبريل ٢٠١٢

١٩- احمد الانباري ، مصدر سبق ذكره ، ٢٦٣.

٢٠- ياسر بدوي ، هل حسمت الولايات المتحدة موقفها من الازمة السورية ؟ ، صوت الراية على الرابط :- http://soutraya.com/live /

٢١- محمـود حمـدي ابـو القاسـم ، قـراءة فـي الموقـف الامريكـي تجـاه الازمـة السـورية الاهـرام اليومـي ، علـى الرابـط :http:// digital.ahram.org.eg/articles. aspx?Serial=١٠٩٧٩٩٦&eid=١٨٧٥

٢٢- باسيل يوسف بجك ، مدى مشروعية العقوبات الامريكية والاوربية على سـورية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣٩٣، ٢٠١٣ ، ص ص ٣٩-٥٤.

٢٣- الازمـة السـورية : محادثـات عسـكرية في اقـرب وقـت لمنع التصـادم الامريكي - الروسـي علـى الرابـط:-www.bbc.com/arabic/ syria__١٥٠٩٣٠/٠٩/٢٠١٥/middleeast russia_strikes_usa

٢٤- منصور زغيب ، مصدر سبق ذكره.

٢٥- ماهـي انعكاسـات التقـارب الامريكـي - الروسـي علـى الازمـة السـورية علـى الرابـط :www.bbc.com/arabic/- syria__١٥٠٩٣٠/٠٩/٢٠١٥/middleeast russia_strikes_usa

26-Abdulwahab Al-Qassab ,op.cit. -27

٢٧- التنافـس الامريكـي- الروسـي فـي الازمـة السـورية علـى الرابـط :-thesis.univ-biskra. ١٤١٧/dz

٢٨- الموقـف الامريكـي مـن الازمـة السـورية ، الصالون السياسي ، مركز دراسات الشرق الاوسط ،عمان على الرابط /mesc.com.jo/Activities htm hgl,rt.١٧_Act_Saloon/Act_Saloon

٢٩- نفس المصدر

٣٠- التنافـس الامريكي- الروسـي ، مصدر سـبق ذكره.

٣١- د.خلـود الوائلي ،ابعاد الغـارة الامريكية على مطار الشعيرات السوري ،

٣٢- نفس المصدر.

٣٣- حيدر صلال ، مصدر سبق ذكره.

٣٤- روسـيا تغوص في سوريا , لعبة الأمم , متوفر علـى الرابـط : http://orient-news.net/ar/ news

٣٥- عماد عنان،تعليق التنسـيق الأمريكي الروسي في سوريا: ما أبرز السيناريوهات المتوقعة؟تشرين اول ٢٠١٦ على الرابط:-www.noonpost.org/ ١٤٣١١/content

تبني النظام الرئاسي في العراق : بين النظرية والتطبيق

د.همسه قحطان (*)

م.م عمر حمدان(*)

المقدمة

يُعدّ النظام الرئاسي أحد انواع أنظمة الحكم الذي تكون فيه الارجحية للرئيس على السلطة التشريعية، ويتميز هذا النظام بانتخاب الشعب لرئيس الدولة بصفة مباشرة ام غير مباشرة، فضلاً عن فردية السلطة التنفيذية المتمثلة بالرئيس والتي تؤمن سرعة التنفيذ ووحدة الرأي والاستقرار السياسي، زيادةً على الفصل شبه التام بين السلطات الثلاثة.

فقد شهد العراق انعطافة كبيرة بعد التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣، إذ انتقل نظام الحكم فيه من النظام السلطوي الدكتاتوري الى النظام الديمقراطي -وان شابته كثير من الاخفاقات-، فاتخذ النظام البرلماني كنظام للحكم وهذا ما بينته المادة الاولى من الدستور العراقي الدائم والتي نصت بان (جمهورية العراق دولةٌ اتحاديةٌ واحدةٌ مستقلةٌ ذات سيادة كاملة، نظام الحكم فيها جمهوري نيابي(برلماني)، وهذا الدستور ضامنٌ لوحدة العراق)[1].

وعلى الرغم من هذا التأطير الدستوري لنظام الحكم البرلماني في العراق الا ان المطالبات قد تزايدت والأصوات قد تعالت - الى حد ما - في الآونة الاخيرة للمطالبة بتطبيق النظام الرئاسي في العراق، على الرغم من ان هذه المطالبات تتنافى مع جملة من الفقرات الدستورية التي نص عليها الدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥ مما يستلزم تعديل هذه الفقرات، وجعلها تتلائم مع فكرة تبني النظام الرئاسي في العراق، من خلال تفعيل دور واختصاصات رئيس الجمهورية من ناحية وتقليل اختصاصات مجلس الوزراء من ناحية اخرى، فضلاً عن فصل شبه تام للسلطات الثلاث، إلاّ ان هذا الفصل لا يعني غياب التعاون بين السلطات الثلاث.

أهمية الدراسة:

يمكن القول ان اهمية الدراسة تأتي في اطار البحث والمتابعة والفائدة الاكاديمية من خلال معالجة امكانية تبني النظام الرئاسي في العراق

(*) كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد
(*) ماجستير فكر سياسي – جامعة بغداد

بعـده البديل عـن النظام البرلمانـي القائم الذي شـابه الكثيـر مـن الاخفاقات المتعـددة، فضلاً عن التحقق من شرعية المطالبة بتطبيق النظام الرئاسـي في العراق ومدى ملائمته للدسـتور العراقـي الدائم، ومـدى قدرة النظام الرئاسـي علـى مواكبـة التحديـات الراهنة في السـاحة السياسية العراقية.

إشكالية الدراسة:

الاشـكالية تتعلـق بالرغبة فـي تبني النظام الرئاسـي كنظـام للحكـم في العـراق قائم على وحـدة السـلطة التنفيذيـة والفصـل التـام بين السلطات وبين دسـتور دائم نص على ان نظام الحكم هو نظام جمهوري برلماني ديمقراطي.

فرضية الدراسة:

تنطلق الدراسة من فرضية مفادها ان هناك معوقـات كثيـرة تقف حائـلاً امام تبنـي النظام الرئاسي في العراق، مما يجعل تعديل الدستور الدائم هو السبيل الاوحد دستورياً لامكانية تبني النظام الرئاسي في العراق.

ماهية النظام الرئاسي

يُعـدّ النظـام الرئاسـي نوعـاً مـن أنظمـة الحكـم التـي تضع الهيئـة التنفيذيـة بيد رئيس الدولة، والـذي يُعدّ بانه رئيس الصفوة الحاكمة يعاونه في ذلك مجموعـة وزراء يُعدّون بمثابة مستشـارين، واحياناً يطلق عليهم اسم سكرتير ايضاً، ويتميز هذا النظام بانتخاب رئيس الدولة من الشـعب فضلاً عن احادية السـلطة التنفيذية والفصـل التام بين هيئـات السـلطة العامة في الدولة. ومـن اجل الوقوف علـى ماهية النظام الرئاسـي لابـد من دراسـة أمـور منهـا، اولاً (دراسـة في المفاهيم ذات الصلة) ثانياً (اركان النظام الرئاسـي) ثالثاً (مزايـا وعيوب النظام الرئاسي) رابعاً (نماذج النظام الرئاسي: نموذج النظام الرئاسي الامريكي).

اولاً : دراسة في المفاهيم ذات الصلة:

عنـد البدء في دراسـة أي ظاهرة سياسـية واجتماعية ومنها دراسة النظام الرئاسي، يجب علينـا اولاً تحديد المفاهيـم، كما يؤكد على ذلك المفكـر الفرنسـي فولتير بقولـه: (إذا اردت ان تتحدث معي حـدد مصطلحاتك)، إذ ان عنصر المفهـوم يمثل عنصراً مهمـاً ومحورياً في كل دراسـة، ولذلك وجب علينـا لزاما التطرق الى مجموعة من المفاهيم وهي:

أ - مفهوم النظام :

قبـل الخوض فـي دلالـة مفهومـي النظام السياسـي والنظام الرئاسـي، يجب اولاً معرفة دلالة مفهوم النظام لانه الاساس الذي يستند عليه كلاهمـا، وقد اختلف الباحثـون والمفكرون في تعريف النظام كل حسب وجهة نظره والمنطلق الـذي ينطلـق منه، ممـا صعب الوصـول الى تعريف مانع جامع له، إذ ذهب شارلز ماكلالند لتعريف النظـام بوصفـه اداة تحليلية مترابطة بالقول (بنية لهـا عناصر مرتبطة ومتفاعلة مع بعضها البعض ولهـا حدود محددة تفصلها عن بيئتهـا أو محيطها، فالنظام هو أداة تحليلية تقدم منظوراً معيناً لدراسـة السـلوكية البشرية على كافة المستويات)[٢]. في حين يذهب عبد الوهاب الكيالي لتعريفه بوصفه مفهوم اجتماعي بالقول (مصطلـح يطلـق علـى الظواهـر والعلاقات والبنى الاجتماعية بما يفيـد تبلورها وانتظامها في قواعد ومصالح وقيم واتجاهات متمايزة)[٣].

وينحى عامر مصباح نفس المنحى بالقول (هو وصف لما هو مرتب مترابط بحيث يعمل في شكل منظم، ويوفر ايسر السبل لانجاز الاهداف، ويوفر الجهد والزمن والمال في سبيل تسهيل الحياة الاجتماعية، فهو هيكل نظمي ينظم حياة الناس، ويحدد الادوار والمكانات والحقوق والواجبات في المجتمع، ويحظى بهيبة وطاعة واحترام من قبل الافراد، وبدون هذه الخاصية لايمكن ان يطلق عليه اسم نظام)[٤].

ب - مفهوم النظام السياسي

لا يوجد مفهوم جامع للنظام السياسي شأنه في ذلك شأن كثير من الدراسات الاجتماعية التي لا يوجد اتفاق على مدلولها، إذ اختلف الفقهاء والباحثين على تعريفه، كلٌ حسب وجهة النظر التي انطلق منها، إذ يذهب حسن صعب لتعريف النظام السياسي بوصفه مؤسسات تقرر السياسة العامة بالقول انه (مجموعة المؤسسات التي تتوزع بينها آلية التقرير السياسي)[٥].

وينحى حسان محمد شفيق نفس المنحى بالقول (هو محصلة الظروف والمبادئ السياسية التي تفرض اتخاذ سلوك تعقيبي في اتخاذ القرارات الملزمة بالمجتمع كلياً) [٦].

في حين ينحو روبرت دال منحى آخر بتعريفه النظام السياسي على انه (تركيب دائم للعلاقات الانسانية ويشتمل على قدر هام من السلطة والسيطرة أو السلطان) [٧].

وينحى محمد سعد نفس المنحى بعده النظام السياسي نظاماً للتفاعلات في المجتمع وصولاً للتكامل والتعاون بالقول (هو نظام التفاعلات الموجودة بين المجتمعات المستقلة كافة، التي تضطلع بوظيفة التكامل والتكيف داخلياً أي في اطار المجتمع نفسه، وخارجياً بين المجتمع والمجتمعات الأخرى عن طريق التهديد باستخدام الإرغام المادي المشروع، فالحق في استخدام الإرغام المادي المشروع هو الذي يميز النظام السياسي من غيره من النظم الاجتماعية الاخرى) [٨]. في حين يسلك فوزي ابو دياب مسلكاً آخر في تعريفه بوصفه منظومة من الاجهزة المتناسقة التي تبين نظام الحكم وشكله ووسيلة ممارسة السلطة في المجتمع بالقول (مجموعة من القواعد والاجهزة المتناسقة المترابطة فيما بينها، التي تبين نظام الحكم ووسائل ممارسة السلطة واهدافها وطبيعتها ومركز الفرد منها وضماناته قبلها، كما تحدد عناصر القوى المختلفة التي تسيطر على الجماعة وكيفية تفاعل بعضها مع بعضٍ) [٩].

ج - مفهوم النظام الرئاسي.

إن النظام الرئاسي يرتكز على أسس ثلاثة: المساواة التامة بين السلطتين من حيث المصدر: فرئيس السلطة التنفيذية والبرلمان ينبعان من مصدر واحد هو الانتخاب الشعبي فضلاً عن التخصص الوظيفي الذي يعني ان البرلمان يمارس الوظيفة التشريعية، وللقضاء الفصل بين المنازعات، وأخيراً الاستقلال العضوي للسلطات، فالرئيس لا يستطيع انهاء الوجود القانوني للبرلمان، كم إن هذا الأخير لا يمكن له السيطرة على الرئيس. وبالعودة إلى مفهوم النظام الرئاسي نجد حسين عثمان يعرف النظام الرئاسي بوصفه النظام الذي تكون فيه الاولوية للرئيس على البرلمان بالقول (هو ذلك النظام الذي يتقرر فيه للرئيس الرجحان في كفة ميزان السلطان)[١٠]. في حين ذهب قحطان أحمد سليمان لتعريفه من خلال أركانه بالقول (هو

النظام الذي يتأسس على فردية السلطة التنفيذية والفصل التام بين السلطات الثلاثة) [١١].

وينحى حسن مصطفى نفس المنحى في تعريفه للنظام الرئاسي بالقول (بانه نظام ديمقراطي نيابي يقوم على وحدة رئاسة السلطة التنفيذية وحصر كافة اجزائها اصولاً وفروعاً في شخص رئيس الجمهورية، مما يؤدي الى تمتع هذا الاخير بسلطات ضخمة تعطيه قوة ونفوذاً وسلطاناً، وتمكنه من ادارة شؤون الحكم بنفسه) [١٢] ، ولا يبتعد عبد الوهاب الكيالي كثيراً في تعريفه للنظام الرئاسي، إذ يرى النظام الرئاسي على انه (نظام انتخابي مباشر في اختيار رئيس الدولة أي رئيس الهيئة التنفيذية للحكومة في ظل مبدأ الفصل بين السلطات) [١٣].

ويتضح مما تقدم ان النظام الرئاسي هو نظام حكم يقوم على وحدة السلطة التنفيذية والفصل التام للسلطات، ويتم فيه اختيار رئيس الدولة من الشعب سواء كان ذلك مباشراً ام غير مباشر، وفي هذا النظام يكون الرجحان للرئيس على البرلمان.

ثانياً : أركان النظام الرئاسي :

يقوم النظام الرئاسي على دعامتين أساسيتين:

الدعامة الاولى/ وحدة السلطة التنفيذية :

إذا كان النظام البرلماني يقوم على عنصر ثنائية السلطة التنفيذية، فيكون هناك من ناحية اولى رئيس الدولة غير شخص رئيس الوزارة، ولا يملك رئيس الدولة من السلطة الا جانبها الاسمي، ويكون هناك من ناحية ثانية وزارة مسؤولة تملك سلطات فعلية في شؤون الحكم، فان النظام الرئاسي يقوم على أساس فردية السلطة التنفيذية، فرئيس الدولة هو رئيس الحكومة في الوقت نفسه، ومن ثَمَّ فلا يوجد في النظام الرئاسي مجلس الوزراء المتضامن كما هو الحال في النظام البرلماني[١٤].

ولا يوجد قرارات تخرج عن ارادة غير ارادته، وكمثال على ذلك ما حدث عندما دعا الرئيس الامريكي لنكولن* مساعديه (الوزراء) الى الاجتماع وكان عددهم سبعة، إذ اجتمعوا على رأي مخالف لرأيه، فما كان الا ان ردَّ عليهم بقوله المشهور «سبعة لا واحد نعم، ونعم هي التي تغلب»[١٦].

فرئيس الجمهورية في النظام الرئاسي هو الذي يقوم باختيار وزرائه، وهو الذي يعفيهم من مناصبهم، وهو الذي يملك السلطة الفعلية والحقيقية في مباشرة شؤون الحكم، ولا يكون وزرائه الا مجرد معاونين أو سكرتيريين للتشاور فقط، وتبعاً لذلك إذا اجتمع الرئيس بوزرائه فهو لا يجتمع بهم الا على سبيل التشاور، إذ هو يستقل دون سواه بأمور السلطة التنفيذية[١٧].

وينتخب رئيس الجمهورية من قبل الشعب مما يجعله على قدم المساواة مع البرلمان، مما يترتب على ذلك بان الرئيس غير مسؤول سياسياً أمام البرلمان، إذ لا يحق للبرلمان تقديم اسئلة أو استجوابات الى الرئيس، وفي الوقت نفسه لا يحق للبرلمان طرح الثقة بالحكومة أو حجبها عنه، يعد الرئيس مسؤول امام الشعب مباشرة وليس امام البرلمان[١٨].

الدعامة الثانية/ الفصل التام بين السلطات.

يقوم النظام الرئاسي على اساس الفصل

التام بين سـلطات الدولة، ومن ثَـمَّ الفصل بين السلطة التشريعية والسـلطة التنفيذية، فالسلطة التشـريعية تقـوم بمهمة اعداد التشـريع بما في ذلك التشـريع المالي ولا يكون للسلطة التنفيذية أي دور في هذا الخصوص، فلا يكون للسـلطة التنفيذيـة حق اقتراح القوانين او الاشـتراك في مناقشـتها، ولا يحق لها ان تقوم بدعوة البرلمان للانعقـاد او فض دورتـه أو تأجيله او حله- الا فـي الادوار غيـر العاديـة-[١٩]. كمـا لا يجوز للـوزراء ايضاً ان يجمعوا بين عملهم الحكومي وبيـن عضويـة البرلمان، وليـس لهم صفة في دخولـه او حضـور احـدى جلسـاته الا بعدّهم زائريـن، مثلهـم في ذلـك مثل بقيـة الجمهور بجلوسـهم في شـرفة الزائرين بالمجلس. وكما تسـتقل السلطة التشريعية عن السلطة التنفيذية، فان السـلطة التنفيذية هي الاخرى تسـتقل عن السـلطة التشـريعية، فالرئيس يتـم انتخابه من الشـعب بعيداً عن السلطة التشريعية مما يجعله بعيد عن سـلطة البرلمان عليه من خلال توجيه الاسئلة والاستجوابات – كما ذكر آنفاً -، فضلاً عن ان الوزراء غير مسـؤولين امام البرلمان، وانما تتحقق مسـؤوليتهم فقط امام رئيس الدولة وحده[٢٠]. وبالرغم من الفصل التام بين السلطات الا ان ذلك لا يعني بأي حال من الاحوال انعدام التعاون بين السـلطات وذلـك لان «انعدام هذا التعاون سـيؤدي بالضرورة الى انعدام تماسك النظام السياسي الداخلي»[٢١].

ثالثاً : مزايا وعيوب النظام الرئاسي.

للنظام الرئاسي كغيره من الانظمة السياسية الاخـرى مجموعة من المزايـا والعيوب يمكن إيجازها بالآتي:

المزايا:

توفير الاسـتقرار السياسـي لمرحلـة انتخابية كاملة.

تاميـن اسـتقرار الحكومـة بغـض النظر عن الاتجاهات الحزبية المعارضة.

يوفـر فرصـة عمـل افضـل لعمـل الحكومة وحريـة الحكومة، وفي المقابـل يوفر البرلمان حرية الحركة والمناقشة، فللبرلمان سلطة مهمة لعل ابرزها سلطته في المسائل المالية.

ان الرئيس في النظام الرئاسـي يتمتع بشـعبية كبيرة وهيبة مهمة لأنه مرشح الشعب ومنتخب من الشـعب بشكل مباشر وهذا ما يعفي الرئيس من الولاءات الضيقة.

انـه نظـام ناجـح فـي البلـدان ذات التجربـة الديمقراطية المتكاملة والتي يكون فيها مستوى النضوج والوعي السياسي عالياً[٢٢].

النظام الرئاسـي يؤمن وحدة الرأي واسـتقرار السلطة وسرعة الحركة[٢٣].

ان السـلطة القضائيـة مسـتقلة عن السـلطات الاخـرى، وتتولى اجراءات حسـم المنازعات بين الافراد والجماعات[٢٤].

أكثر انتقائية للطبقة السياسية لقلة المتنافسين على منصب الرئيس مما يجعلهم اكثر خضوعاً للتدقيـق والتمحيـص مـن قبل الشـعب، ومن ثَـمَّ امكانية وصـول الافضل، كمـا ان الرئيس حـر في اختيار طاقمـه دون الخضوع للاهواء والرغبات أو الارضاءات والمحاصصة.

أقـل فسـاداً لكون هـرم السـلطة يتألف من شق واحد، والسلطة التنفيذية لا تخضع للسلطة التشـريعية بما يجعلها محصنـة ضد الابتزاز،

وان كان النظام الرئاسي يعطي أفضلية للسلطة التنفيذية على التشـريعية، لكن التدرج الاداري في النظام الرئاسـي اكثر ركوزاً وصرامة من النظام البرلماني.

أكثـر مرونـة وحركـة فـي مجـال تعديل القوانين وتطبيقها كون مسـاحةالحركة المعطاة للسـلطة التنفيذيـة كبيرة جداً، فضـلاً عن كون صناعة القرار فيه اسهل واسرع واقوى مما في النظام البرلماني[٢٥].

يُعـدّ النظـام الرئاسـي اسـرع مـن النظامين البرلماني والمجلسي في الانجاز والحسم.

يُشعر النظام الرئاسي المواطنين بقدر عالٍ من المشاركة السياسية.

يُعدّ النظام الرئاسي من أنجح الانظمة السياسية في العالـم، بدليل انه أوصـل الولايات المتحدة الامريكية الى مرتبة الدولة العظمى الاولى في العالم[٢٦].

النظـام الرئاسـي يتفـادى مـا يسـمى بطغيان البرلمان وما يسـببه من ارباك العمل الحكومي ومن اضرار بمصالح الاخر واستقرارها.

يُعدّ النظام الرئاسـي أكفـأ من النظام البرلماني فيمـا يخـص آلية اتخـاذ القرارات واسـتجابته للمتغيـرات، فضـلاً عـن سـرعة تنفيـذ هـذه القرارات ودقتها بعيداً عن التجاذبات والنقاشات الحزبية التي تدور في البرلمان[٢٧].

ب-العيوب/ مثلما يوجد مزايا للنظام الرئاسي، فان له عيوب كثيرة من ابرزها:

ان تطبيـق هذا النظام الذي يقـوم على الفصل بيـن السـلطات غير ممكن، لانـه يعني الفصل بين أجزاء الجسـم البشـري، لان الاتصال بين السلطات الثلاث اتصالاً عضوياً.

يـرى روسـو ان فيـه تجزئة للسـيادة، وذهب آخرون من الفقهاء كالعميد ديكي والمان كجيلنك الـى القول ان الفصل بين السـلطات يؤدي الى هدم وحدة الدولة.

انه يؤدي الى الاسـتبداد في دول عالم الجنوب أي اسـتبداد السـلطة التنفيذيـة وهيمنة الرئيس سياسـياً ودسـتورياً في الحيـاة الوطنية واعادة انتخابه لاكثر من مرة.

النظـام الرئاسـي يزيد من الغطاء الدسـتوري والقانوني للاستبداد بالسلطة والدكتاتورية[٢٨].

ان هذا النظام يحمل في طياته بذور الخصومة بين السلطات العامة في الدولة، نظراً لتعارض الاختصاصات الدستورية التي يتمتع بها رئيس الدولـة مـع الاختصاصـات المخولة للسـلطة التشـريعية، ومن ثَـمَّ فأما ان ينصـاع الرئيس للسلطة التشريعية ويخضع لها، واما ان يقف في وجه هذه السـلطة ويتصـدى لها حتى يخضعها لارادتـه، هـذا الامر يثيـر الفوضى ويتسـبب في وقـوع الخلاف بين السـلطتين التشـريعية والتنفيذية.

لا يسمح هذا النظام بحجب الثقة عن رئيس الجمهورية طيلة مدة رئاسـته، فيصبح محصناً مـن اسـتعمال هـذا السـلاح، فـلا يخـاف من اسقاطه، ولا يخشى على مركزه، فيحس بانه لا يوجد من يقف في وجهه ويحاسبه على اعماله، ويسأله عن تصرفاته، لذلك لا يطيل التفكير في الشـؤون السياسية، ولا يتدبر عاقبة الامور قبل أن يُقدم عليها.

يـؤدي هـذا النظـام الـى الدكتاتورية، لأن رئيـس الدولـة يتمتع باسـتقلال تام وسـلطات واسـعة، لذلك يـرى بعض الفقهـاء بانه ينبغي الحد من استقلاله ومن سلطته الواسعة[٢٩].

إذا كان النظـام الرئاسـي يـؤدي الى حكومة ثابتـة، فهـو لا يـؤدي بالضرورة الـى حكومة قوية.

بقـدر مـا يوفر النظام الرئاسـي القـدرة على حمايـة الحقوق والحريات عـن طريق التوازن والرقابة فانه قد يؤدي في حال سـيطرة الحزب نفسـه على عمليـات التشـريع والتنفيـذ، وفي حـال وجود التزام حزبي قـوي، الى خلق نظام شمولي.

لا يتناسـب النظـام الرئاسـي مع الـدول التي ترغـب فـي تحقيق النمـو الاقتصـادي أو بناء الديمقراطيـة، لأن مبـدأ الفصل بين السـلطات يؤدي الى شـل قـدرة الحكومة علـى الحركة، ولاسـيما عندمـا يكون الحزب المسـيطر على السلطة التشريعية مختلفاً عن الحزب المسيطر على السـلطة التنفيذية، فضلاً عن افتقار النظام الرئاسـي الى المرونة اللازمـة التي تمكنه من الدعوة الى انتخابات مبكرة.

يتناقض تركيز السـلطة التنفيذية بيد شـخص واحد مع مبدأ المشـاركة وبناء الديمقراطية ولا يسـاعد على بناء التحالفات الوطنية التي تساعد علـى الدمـج السياسـي والاجتماعـي وتعـزز مـن التماسـك الوطني، ويمكن ان يـؤدي تبني النظـام الرئاسـي في مجتمع يتصـف بالتعددية الاجتماعية، أي (عدم التجانس السكاني) ويفتقر الـى التماسـك الـى تعزيـز النزعـات العرقية والمناطقية والانفعالية[٣٠].

رابعاً : نماذج النظام الرئاسي: نموذج النظام الرئاسي الامريكي :

نشـأ النظام الرئاسـي في الولايات المتحدة الامريكيـة أثر صدور دسـتورها عام ١٧٨٧، فـي مؤتمـر فيلادلفيـا والذي اشـترك فيه عدد مـن اقطـاب الدعـوة الـى الاتحـاد الامريكي (كجـورج واشـنطن)* الـذي تـرأس المؤتمر و(ماديسـون)* الذي كان له القـدح المعلى في صياغة الدستور[٣٢]. ومن الجدير بالملاحظةهنا بأن افكار جون لوك ومونتسيكيو قد لعبت دوراً مهماً في صياغة المبادئ العامة للنظام الرئاسي الـذي أخذت بـه الولايات المتحـدة الامريكية، ولهذا فقد عمد سياسـيو واقطاب ورموز الثورة الامريكيـة في بنـاء مرتكزات دسـتورهم لعام ١٧٨٧، واضعين بنظـر الاعتبار الفصل التام بين السـلطتين التشريعية والتنفيذية مع استقلال السـلطة القضائيـة، فضـلاً عن المسـاواة بين السلطة التشـريعية والسـلطة التنفيذية[٣٣]. غير أن النصـوص الدسـتورية اسـفرت عن فصل نسبي سمح ببعض التداخل في الاختصاصات، كمـا ان العمل قد ادى الى رجحان كفة السـلطة التنفيذية ممثلة برئيس الدولة[٣٤]. إذ أكد دسـتور الولايـات المتحدة الامريكية على انشـاء ثلاث سـلطات رئيسة هي السـلطة التنفيذية ويتولاها الرئيس والسلطة التشريعية ويتولاها الكونغرس والسلطة القضائية وتتولاها المحكمة العليا.

أولاً: السلطة التنفيذية :

تحتل السلطة التنفيذية دوراً رئيساً في النظام السياسي الامريكي بعده منتخب من الشعب، إذ شددت المادة الثانية من دستور الولايات المتحدة الامريكية على ان « السلطة التنفيذية تكون متمركزة بيد رئيس الدولة ولا وجود لحكومة». كما هو معمول به في الانظمة البرلمانية[٣٥]. ومن أهم السلطات المناطة برئيس الدولة ما يأتي[٣٦]:

رئاسة الدولة ورئاسة السلطة التنفيذية.

رئاسة الادارة الفيدرالية، إذ يناط برئيس الدولة مهام تأمين سير المرافق العامة، وتعيين الموظفين الفيدراليين وعزلهم، مع ملاحظة ان تعيين كبار الموظفين بحاجة الى موافقة مجلس الشيوخ، هذا التعيين والعزل يصبغ الوظيفة العامة أحياناً بطابع سياسي، لاسيما عندما يتولى رئيس الدولة تعيين وعزل كبار موظفي البيت الابيض، وكان هذا النظام يعرف بنظام الغنائم، الا انه بدأ بالتراجع لصالح نظام الجدارة.

قيادة الجيش وتوجيه العمليات الحربية، ولقد زادت اهمية هذه المهام، ولاسيما بعد تنامي قوة الولايات المتحدة الامريكية وصيرورتها أقوى دولة في العالم.

الصلاحية التشريعية، إذ يملك الرئيس حق اصدار الاوامر واللوائح.

رئيس الولايات المتحدة الامريكية وبمقتضى الدستور هو المسؤول عن علاقة دولته بالدول الاخرى، الا انه يستعين في كثير من الاحوال بوزير خارجيته الذي يسمى في الولايات المتحدة سكرتير الدولة.

حق العفو وتخفيض العقوبة.

هذه أهم الصلاحيات المناطة برئيس الدولة في النظام الرئاسي الامريكي في الظروف العادية، في حين انه يملك سلطات واسعة في الظروف الاستثنائية منها الاستيلاء على الاموال العامة وتعبئة الاشخاص من أجل الدفاع عن الوطن.

ويشغل رئيس الجمهورية هذا المنصب لمدة اربع سنوات قابلة للتجديد بانتخاب جديد، ولا يجوز بعدها تجديد هذه الولاية بأي صورة من الصور[٣٧].

ثانياً: السلطة التشريعية :

تمارس السلطة التشريعية في الولايات المتحدة الامريكية من قبل الكونغرس، والكونغرس هو « الهيئة التي تمارس السلطة التشريعية في الولايات المتحدة الامريكية «، وترجع تسميته الى مؤتمر فيلادلفيا عام ١٧٨٧ الذي اطلق عليه الكونغرس الاول[٣٨]. ويتألف الكونغرس من مجلسين[٣٩]:

مجلس النواب / يمثل مجلس النواب الشعب الامريكي على اساس التوزيع العددي لسكان الولايات، بواقع نائب واحد لكل (٤٠٠) الف مواطن تقريباً، على ان يكون لكل ولاية نائب واحد على الاقل مهما قل عدد سكانها، ويبلغ عدد اعضاء مجلس النواب الحالي (٤٣٥) عضواً، ومدة مجلس النواب سنتان فقط، بعدها يتم تجديد المجلس بالكامل على ان تتوافر بالمرشح ثلاثة شروط هي: أن لا يقل سن المرشح عن الخامسة والعشرين، وان يحمل الجنسية الامريكية، والا تقل مدة اكتسابها عن سبع سنوات، كما يشترط ان يكون مقيماً في زمن الانتخابات في الولاية

التي يرشح نفسه عنها. مجلس الشيوخ هو المجلس الذي يمثل الولايات الداخلة في الاتحاد الامريكي، بواقع عضوين عن كل ولاية، مهما كان حجمها أو عدد سكانها، لضمان تحقيق المساواة بينها ويبلغ عدد اعضاء المجلس مائة شيخ منتخبين لمدة ست سنوات، يتجدد ثلثهم كل سنتين مع موعد الانتخابات النيابية، وقد كانت المجالس النيابية في الولايات هي التي تقوم بتعيين ممثليها في مجلس الشيوخ، ولكن بعد التعديل السابع عشر للدستور عام ١٩١٣ اصبح انتخاب الشيوخ يجري مباشرة من قبل الشعب. ويشترط في عضو مجلس الشيوخ ان يكون بالغاً من العمر ثلاثين عاماً على الاقل، فضلاً عن تمتعه بالجنسية الامريكية منذ تسع سنين، وان يكون مقيماً في الولاية التي يرشح نفسه عنها، وقد حرص الدستور الامريكي على ان يجعل من نائب رئيس الولايات المتحدة الذي تم انتخابه بجانب انتخاب الرئيس رئيساً لمجلس الشيوخ على الا يكون له حق التصويت الا في حالة تعادل الاصوات، ويمارس المجلسان معاًالسلطة التشريعية، فهما على قدم المساواة على هذا الصعيد، ماخلا مادة الضرائب، إذ المبادرة هي لمجلس النواب، وان كان مجلس الشيوخ يمارس قليلاً هذه المبادرة إذ اقترعت غالبية القوانين بمبادرة النواب، ولايمكن تمرير مشروع قانون من قبل مجلس دون موافقة المجلس الآخر، وبذلك تؤلف لجنة (توفيق) من اعضاء المجلس هي «لجنة المؤتمر» وإذا لم يتوصلوا الى اتفاق لا يقر المشروع بتاتاً[٤٠].

والى جانب الوظيفة التشريعية للكونغرس، فله وظائف اخرى ذات اهمية منها[٤١]:

مناقشة الميزانية والتصويت عليها.

اعلان الحرب وابرام الصلح واقرار المعاهدات.

تعديل الدستور بموافقة اغلبية الثلثين في كل مجلس، ويصبح التعديل نافذاً إذا وافقت عليه السلطات التشريعية في ثلاثة ارباع الولايات.

انتخاب مجلس النواب رئيس الجمهورية، وانتخاب مجلس الشيوخ نائبه ، في حالة عدم استطاعة احد المرشحين الحصول على الاغلبية المطلقة لمجموع الناخبين .

عقد القروض العامة وسك العملة وحمايتها والغاؤها.

ومن صلاحية مجلس النواب وحده فرض الضرائب والرسوم والغائها وتعديلها والاعفاء منها.

محاكمة الموظفين الاتحاديين عن جريمة الخيانة العظمى والرشوة والجنايات الكبيرة التي ترتكب ضد الدولة، وتوجه التهمة من مجلس النواب في حين يجري مجلس الشيوخ المحاكمة.

التعيين في الوظائف المهمة في السلك الخارجي كالسفراء والقناصل، وتعيين بعض الموظفين الاتحاديين واعضاء المحكمة العليا والتي تعد من صلاحيات مجلس الشيوخ فقط.

ثالثاً: السلطة القضائية :

نصت المادة الثالثة من الدستور الامريكي على ان «السلطات القضائية تمارسها محكمة عليا وعدد من المحاكم الادنى «، ومن ثَمَّ فتعد المحكمة العليا رأس السلطة القضائية في الدولة الاتحادية، وتتكون المحكمة العليا من

تسعة اعضاء بمن فيهم رئيس المحكمة[٤٣]. ومن أهم اختصاصات رئيس المحكمة العليا وظيفتين خصهما الدستور بها ، وهما : رئاسة مجلس الشيوخ عندما يتولى المجلس صلاحيته الدستورية الخاصة بمحاكمة رئيس الولايات المتحدة نتيجة تحريك اجراءات (الامبيشمنت)*. فضلاً عن تحليف رئيس الولايات المتحدة اليمين الدستورية في حفلة تنصيبه اثر انتخابه[٤٤].

وقد عزز الدستور استقلالية السلطة القضائية بطريقتين رئيسيتين[٤٥]:

يعين القضاة الفيدراليين لمدى الحياة بحيث لا يمكن اقالتهم من مناصبهم الا عبر توجيه التهم اليهم وادانتهم على يد الكونغرس بسبب الخيانة أو الرشوة او اية جرائم كبرى او ارتكاب جنحة قانونية.

ينص الدستور على ان تعويضات القضاة الفيدراليين «لايجوز خفضها طالما هم في مناصبهم» مما يعني ان لا الرئيس ولا الكونغرس بامكانهم خفض رواتب القضاة الفيدراليين.

ومن ثَمَّ فان هاتين الحمايتين تساعدان القضاء المستقل في اتخاذ القرارات القضائية متحرراً من العواطف الشعبية والنفوذ السياسي.

يتضح مما تقدم ان النظام الرئاسي يقوم على ركيزتين اساسيتين وهما وحدة السلطة التنفيذية والفصل التام بين السلطات، الا ان هذا الفصل لا يعني بأي حال من الاحوال بانه لا يوجد تعاون وتفاعل بين السلطات، ولاسيما السلطتين التنفيذية والتشريعية، فضلاً ان لهذا النظام مزايا عدة من اهمها سرعة التنفيذ ووحدة الرأي واستقرار الحكم، من جهة اخرى فان لهذا النظام عيوب عدة ايضاً من ابرزها استئثار الحكم بيد شخص والذي قد يؤدي الى الاستبداد. بعد ان تم عرض ماهية النظام الرئاسي ، اصبح من الضروري بمكان التعرف على امكانية تطبيق هذا النظام في العراق، وهذا ما سنعرج على مناقشته في المحور القادم.

٢ –امكانية تطبيق النظام الرئاسي في العراق.

بعد ان شاب الاخفاق المتكرر تطبيق النظام البرلماني في العراق منذ اقراره بعد التغيير الى يومنا هذا، تكررت الدعوات لتطبيق النظام الرئاسي في العراق، بعده الحل للأزمات الراهنة – كما يذهب بعضهم -، من خلال التأكيد على قدرة النظام الرئاسي على حل المشكلات وسرعة التنفيذ، ومن ثَمَّ يعدّونه النظام الأصلح لادارة البلاد، بيد ان هذه المطالبات تتعارض مع أحكام الدستور الدائم ولاسيما في مادته الاولى ما يتطلب ذلك تعديل فيه، ومن اجل الوقوف على امكانية تطبيق النظام الرئاسي في العراق لابد من دراسة اولاً (آليات التحول الدستورية نحو النظام الرئاسي في العراق) ثانياً (آثار تطبيق النظام الرئاسي في العراق) ثالثاً (معوقات النظام الرئاسي في العراق).

اولاً : آليات التحول الدستورية نحو النظام الرئاسي في العراق.

للتحول نحو النظام الرئاسي يجب تفعيل آليات من أهمها:

أ - تفعيل دور وصلاحيات رئيس الجمهورية.

إذا كان النظام البرلماني يقوم على مبدأ الفصل بين السلطات مع وجود نوع من

التعاون المتبادل بين كل من السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية، فان النظام الرئاسي يقوم على اساس الفصل التام – من الناحية النظرية - بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، فتمارس كل منهما الوظيفة المسندة اليها استقلالاً عن الاخرى[٤٦]. ورئيس الجمهورية في النظام الرئاسي هو الموجه الفعلي للسلطة التنفيذية والمسيطر عليها، بمقتضى الفصل شبه المطلق للسلطات، إذ يتولى الرئيس في النظام الرئاسي رئاسة الدولة والحكومة على حد سواء، وذلك لانعدام الفصل بين المنصبين على عكس ماهو موجود في النظام البرلماني، فهو يرأس الوزراء بحكم منصبهم، وان كان لا وجود لمجلس الوزراء في النظام الرئاسي بالمعنى القانوني – كما ذكر آنفاً- ، لأن الوزراء مجرد سكرتاريون لديه يختارهم لمعاونته في ادارة شؤون السلطة التنفيذية وهم في هذه الصفة يفقدون استقلالهم أمامه[٤٧].

ولهذا فأن رئيس الدولة في النظام الرئاسي يتمتع بصلاحيات واسعة تفوق الصلاحيات التي يتمتع بها الرئيس في النظام البرلماني، ومن أهم هذه الصلاحيات[٤٨]:

السهر على تنفيذ القوانين واصدار الاوامر.

قيادة القوات المسلحة البرية والبحرية والجوية بصفته القائد العام للقوات المسلحة، وبموجب هذه الصلاحية يستطيع ادخال القوات العسكرية في عمليات حربية بدون أن يكون قد سبقها اعلان الحرب بصورة رسمية من قبل الكونغرس، وهذا ما حدث في عهد ترومان[٤٩] في الحرب على كوريا عام ١٩٥٠.

رسم السياسة الخارجية والاشراف على تنفيذ هذه السياسة، فهو المسؤول الاول عن تنظيم العلاقات الخارجية كاجراء المفاوضات وعقد الاتفاقيات والاعتراف بالدول وتعيين الدبلوماسيين.

الاشراف على سير الجهاز الحكومي وادارته وتعيين الموظفين واقالتهم من وظائفهم عند ثبوت عدم ولائهم.

اصدار العفو الخاص.

ان كل هذه الصلاحيات تميز موقع ومنصب رئيس الجمهورية في النظام الرئاسي عن موقعه في النظام البرلماني، ولذلك فان تطبيق النظام الرئاسي في العراق يتطلب وضع صلاحيات واختصاصات لرئيس الجمهورية مقاربة لهذه الصلاحيات المذكورة أعلاه، مع اضعاف لصلاحيات واختصاصات رئيس مجلس الوزراء، والمغزى من ذلك لكي تكون السلطة بيد رئيس الجمهورية، ويكون مجلس الوزراء مجلس استشاري يعاون رئيس الوزراء في عملية ادارة الشؤون التنفيذية[٥٠]. ولذلك لابد من اجراء بعض التعديلات الدستورية والاجراءات اللازمة عليه لكي يتلائم مع طبيعة النظام الرئاسي، إذ لابد من تعديل المادة (٦٦) من الدستور التي تشير الى ان « تتكون السلطة التنفيذية الاتحادية من رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء وتمارس صلاحياتها وفقاً للدستور والقانون «[٥١]. إذ يجب أن تعدل هذه المادة لكي تناط السلطة التنفيذية بيد رئيس الجمهورية حصراً، لأن النظام الرئاسي قائم على وحدة السلطة التنفيذية، وفيما يتعلق بطريقة انتخابه، فلابد من أن يكون منتخب من الشعب سواء كان بصورة مباشرة أم غير مباشرة، وذلك لكي يكون جديراً بالاضطلاع بمهماته وليكون

مسـؤولاً أمام شـعبه، لذلك يجب تنظيم طريقة ترشيح وانتخاب رئيس الجمهورية بقانون[٥٢].

وفيما يتعلق بصلاحيات رئيس الجمهورية، فلابد من تعديل المادة (٧٣) من الدسـتور الدائم لعـام ٢٠٠٥ مـن خـلال تعديل جملـة فقرات منها[٥٣]:تعديـل الفقـرة (أولاً) التـي تختـص بصلاحيـات رئيـس الجمهوريـة والتي نصت على (اصدار العفو الخاص بتوصيةٍ من رئيس مجلـس الـوزراء، باسـتثناء ما يتعلـق بالحق الخاص، والمحكومين بارتكاب الجرائم الدولية والارهاب والفسـاد المالي والاداري)[٥٤]. وبما أن رئيـس الجمهورية في النظام الرئاسـي هو من يقوم بعملية تعيين الوزراء (المستشـارين) ويصبحون مسـؤولين امامه، لـذا ينبغي تعديل هـذه الفقرة علـى النحو الآتـي: (يتولى رئيس الجمهورية اصدار العفو الخاص ، باسـتثناء ما يتعلـق بالحق الخـاص، والمحكومين بارتكاب الجرائـم الدوليـة والارهـاب والفسـاد المالي والاداري)، فضـلًا عن تعديل الفقـرة ثانياً من المـادة نفسـها والتـي نصـت (المصادقة على المعاهـدات والاتفاقيـات الدولية، بعـد موافقة مجلس النـواب، وتُعد مصادقاً عليها بعد مضي خمسـة عشـر يوماً من تاريخ تسلمها) [٥٥]. ففي هذه الفقـرة لابد من حذف وتُعد (مصادقاً عليها بعد مضي خمسة عشر يوماً من تاريخ تسلمها)، لأن هـذه الفقـرة تجعـل مـن منصـب رئيـس الجمهورية وموافقته شكلية وبرتوكولية شرفية، ولا تمنحه أي اختصاصات فعلية، وتعدل الفقرة الثالثـة من المادة (٧٣) التي نصت بان (يصادق ويصـدر القوانين التي يسـنها مجلـس النواب، وتعـد مصادقاً عليها بعد مضي خمسـة عشـر يوماً من تاريخ تسـلمها)[٥٦]. في حين ان النظام الرئاسـي يعطي للرئيس حق النقض، ولضمان عملية التحول الدسـتوري نحو النظام الرئاسي لابد مـن تخفيض صلاحيات مجلـس الوزراء ولاسيما المادة (٧٨) التي تنص على ان (رئيس مجلس الوزراء هو المسـؤول التنفيذي المباشر عن السياسة العامة للدولة، والقائد العام للقوات المسلحة، يقوم بادارة مجلس الوزراء، ويترأس اجتماعاتـه، وله الحق باقالـة الوزراء، بموافقة مجلس النواب)[٥٧]. إذ لابد من تعديل هذه المادة، فالنظام الرئاسي يعطي الحق لرئيس الجمهورية بتنفيـذ السياسـة العامـة بمسـاعدة مستشـاريه وتعد آرائهم استشـارية غير ملزمة،وعليه فأن مجلـس الوزراء ورئيسـه يكونان مستشـارين لـدى الرئيس لا يملكون صلاحيات كما يمتلكها نظيره في النظام البرلماني، ولنصل الى النظام الرئاسي لابد من العمل على توسيع صلاحيات ومنصب رئيس الدولة، وهذا لا يتم الا بتعديلات دستورية واسعة - ذكرنا بعضها آنفاً - [٥٨].

ب - تحقيق فصل أعمق بين السلطات.

ان السـلطات في النظام الرئاسـي منفصلة الى حـد كبير, ولكـن لا يعنـي هذا الفصـل فصلاً عازلاً بين السـلطات من دون أي تعاون بينها, فقد يكون الفصل من خلال:

اسـتقلال السـلطة التشـريعية عـن السـلطة التنفيذية.

كما تسـتقل السـلطة التشـريعية عن السـلطة التنفيذيـة، فـان السـلطة التنفيذيـة تسـتقل هي الاخرى عن السـلطة التشـريعية، فالرئيس يتم انتخابه من الشعب مباشرة أي بعيداً عن السلطة التشـريعية، وليس من حق السـلطة التشريعية ان توجه اسئلة أو استجوابات الى احد الوزراء او الـى الوزارة، أو تطـرح الثقة بأحد الوزراء

او بالـوزارة، فالـوزراء غيـر مسـؤولين أمام البرلمـان وانمـا تتحقـق مسـؤوليتهم فقط أمام رئيس الدولة وحده[٥٩]. ولتطبيق النظام الرئاسي فـي العـراق يجـب القيـام ببعـض التعديلات الدسـتورية التي تجعل نظـام الحكم يتحول من شـكله البرلمانـي الى الرئاسـي وعليه لابد من تعديـل المـادة (٥٤) مـن الدسـتور التي تنص علـى (يدعو رئيس الجمهوريـة مجلس النواب للانعقاد بمرسوم جمهوري، خلال خمسة عشرَ يوماً من تاريخ المصادقة على نتائج الانتخابات العامة، وتعقد الجلسـة برئاسـة اكبر الاعضاء سناً لانتخاب رئيس المجلس ونائبيه، ولا يجوز التمديد لاكثر من المدة المذكورة آنفاً)[٦٠]. فضلاً عـن تعديـل المـادة (٥٨/ثانياً) التـي تنص على (تمديد الفصل التشـريعي لـدورة انعقاد مجلس النواب بمـا لا يزيد على ثلاثيـن يوماً، لانجاز المهمات التي تستدعي ذلك، بناءً على طلب من رئيس الجمهوريـة، او رئيس مجلس الوزراء، او رئيس مجلس النواب، او خمسين عضواً من اعضاء المجلس)[٦١]. وسـبق ان ذكرنا في ظل النظام الرئاسـي لا يكون هناك ما يسمى مجلس الـوزراء وان وجد فانه يكون مـكان يجتمع به المستشـارين الذين يعينهم رئيس الدولة، وفيما يتعلـق بطلـب تمديد الفصل التشـريعي فهذا لا يحـق لرئيـس الجمهورية في النظام الرئاسـي اسـتناداً الى مبدأ الفصل شـبه المطلق، وان تم ذلـك فانه يُعدّ خرقـاً لهذا المبـدأ[٦٢]. فضلاً عن ان المـادة (٦٠/أولاً) تحتـاج الـى تعديل لدعم صيغة النظام الرئاسـي وتتمثل هـذه المادة في (مشروعات القوانين تقدم من رئيس الجمهورية ومجلس الـوزراء)[٦٣]. في حين لا يحق لرئيس الجمهوريـة تقديـم مقترحـات القوانيـن الـى البرلمان احتراماً الى مبدأ الفصل بين السلطات الذي يقوم عليه النظام الرئاسي[٦٤].

استقلال السلطة التنفيذية عن السلطة التشريعية.

مثلما يحظر تدخل السـلطة التنفيذية في مجال السلطة التشريعية في النظام الرئاسي، بالمقابل على السلطة التشـريعية عدم الولوج في ميدان عمل السلطة التنفيذية، وهنا يحصل الفصل بين السـلطات، إذ ان من المعلوم ان نظام الحكم في العراق بعد عام ٢٠٠٣ هو نظام برلماني، والذي تكون فيه السـلطة التنفيذية مسؤولة سياسياً امام البرلمان ولتحقيق الفصل بين السلطات لابد من اجراء تكييفات دستورية ومنها[٦٥]: الغاء الفقرة ثانياً من المادة [٦١] المتعلقة باختصاصات مجلس النواب ومنها الرقابة على اداء السلطة التنفيذية مـع الغاء الفقرات التابعة لهـذه المادة والمتعلقة بالرقابـة علـى اداء اعمـال السـلطة التنفيذية ومنه الفقرة (سادسـاً/أ) المتعلقة بمساءلة رئيس الجمهوريـة، فضـلاً عن الفقرة (سـابعاً/أ – ب - ج) المتمثلـة بأدوات الرقابـة البرلمانية على اعمال السـلطة التنفيذية، وذلك لكي يكون اكثر تلائمـاً مع طبيعـة النظام الرئاسـي القائم على اساس الفصل شبه التام بين السلطات، فلا يحق لمجلس النواب محاسـبة رئيـس الجمهورية او وزرائه سياسـياً، لكن يتم محاسبتهم جنائياً عن الاعمال التي يقومـون بها كالخيانة العظمى أو الرشوة أو الجنح الكبرى وما شابه ذلك.

ومن ثَمَّ فان الرقابة البرلمانية تكون اضعف في النظام الرئاسي منه في النظام البرلماني، وذلك لافتقار النظام الرئاسـي الى الوسائل الضاغطة التـي قد تلجأ اليها احدى السـلطات للتأثير على الاخرى، فالنظام الرئاسي لا يقر بركني النظام البرلمانـي والمتمثلـة بالمسـؤولية السياسـية للحكومـة وحـل مجلـس النـواب، أي مجلـس النواب لا يسـتطيع حـل الحكومة، والاخيرة لا تستطيع حل البرلمان[٦٦].

ويتضح مما تقدم ان تحول النظام السياسي في العراق من نظام برلماني الى نظام رئاسي يتطلب آليات دستورية عديدة لتطبيق النظام الرئاسي في العراق، منها تفعيل دور وصلاحيات رئيس الجمهورية من جهة واضعاف صلاحيات مجلس الوزراء من جهة ثانية، فضلاً عن تحقيق فصل تام بين السلطات، أي استقلال كل سلطة عن الاخرى في اختصاصاتها ووظائفها.

ثانياً : آثار تطبيق النظام الرئاسي في العراق:

ان تطبيق النظام الرئاسي في العراق لاشك انه سينجم عنه آثاراً ايجابية واخرى سلبية، ومن اهم الآثار الايجابية لتطبيق النظام الرئاسي في العراق جملة من النقاط من ابرزها:

يمكن ان يؤدي الرئيس في النظام الرئاسي بعد انتخابه من غالبية الشعب دوراً رئيساً في تعزيز الوحدة الوطنية، ولاسيما ان كان يحظى بتأييد مهم من قبل معظم أطياف ومكونات الشعب العراقي إذ ينظر اليه كرمز للوحدة الوطنية.

ان وجود سلطة تنفيذية قوية برئاسة الرئيس سيساعد على تخطي حواجز الجمود القانوني والبيروقراطي والعمل بسرعة وديناميه، لاسيما في مجال اتخاذ القرارات الملحة التي تعالج أفعال أو ردود أفعال تستدعي الرد السريع وهذه هي السمة الغالبة في عالم اليوم، إذ اصبح رجال الدولة وخبراء السياسة اللامعين غير قادرين على نحو متزايد على قياس آثار الدرجة الاولى أو الثانية لقراراتهم نتيجة للتعقيد والسرعة التي ميزت التفاعلات والعلاقات الدولية الراهنة[٦٧].

وجود رئيس جمهورية يتمتع بتأييد أغلبية أطياف الشعب العراقي يساعد على التخفيف الى حد ما من الازمات السياسية الداخلية التي يمكن ان تحدث في ظل وجود عدد كبير من الاحزاب السياسية المتقاربة من حيث موازين القوة والتأثير بشكل يضعف كثيراً من الاداء السياسي للحكومة العراقية من جهة ويهدد الاستقرار السياسي والامني من جهة اخرى[٦٨] .

قد يَحَصَل خيار النظام الرئاسي على تأييد قطاعات شعبية واسعة، فضلاً عن بعض القوى السياسية العراقية، لانه يساعد على معالجة الاوضاع الامنية المنفلتة بقوة، وتكون له القدرة على تحقيق الخدمات الاساسية لان المرحلة الراهنة تحتاج الى عمل سريع وقوي، ولاسيما ان هناك من يرى بان النظام الرئاسي افضل من النظام البرلماني المعمول به في العراق، لان الرئيس المنتخب يضع يده على السلطة مباشرة دون أي مشكلات أو تجاذبات وتوافقات سياسية وراء الكواليس.

ان بناء النظام الرئاسي في العراق ربما يكون اقل ازمات واكثر تماسكاً وانسجاماً بين مؤسسات الدولة.

كثيراً ما تم تبادل الادوار بين الجهات المسؤولة عن فشل ما في النظام البرلماني، بينما يتم تحميل المسؤولية كاملة للرئيس المنتخب في حالة الاخفاق للصلاحيات الممنوحة له وللمكانة التي يمنحها اختيار الشعب له بشكل مباشر[٦٩].

ان الحكم الرئاسي يتطلب انتخاب رئيس الجمهورية باختيار وارادة الشعب ومن عدة مرشحين ولن يكون الاختيار مقصوراً على البرلمانيين، فلذلك يكون تفويضاً شعبياً وليس

مرهوناً بارادة الكتل النيابية، والشعب العراقي اعتاد ان يكون هناك شخص واحد يلومه عندما يتطلب الامر، فضلاً عن الدورة الرئاسية محدودة الزمن، فنجاح الرئيس المنتخب سوف يعطيه فرصة اخرى للحكم وفشله يعني فقدانه لمنصبه وانتخاب رئيس آخر، وان ارتباط تجديد ولاية الرئيس لدورة رئاسية ثانية مرتبطة بنجاحه، مما يدفعه للعمل ما بوسعه لكي يبني العراق وبسرعة عالية.

ان القوة والصلاحية الواسعة للرئيس المنتخب مباشرة من الشعب تمكنه من محاسبة الوزراء المفسدين بغض النظر عن الكتلة التي ينتمون اليها، لأن هؤلاء الوزراء يخضعون في عملهم الى السياسة التي يراها الرئيس فهم غير مستقلين[٧٠].

مثلما لتطبيق النظام الرئاسي في العراق آثار ايجابية، فانه يترتب عليه آثار سلبية ايضاً من أبرزها:

يمكن أن يؤدي النظام الرئاسي الذي يقوم على تخويل سلطات واسعة للرئيس في حال استلهامه نسقاً لا روحاً، فضلاً عن ضعف الجهاز المؤسسي واجهزة المراقبة على اعمال الحكومة الى نشوء دكتاتورية جديدة في العراق ولو بشكل مختلف، على غرار ما حدث في دول كثيرة لدى تطبيقها للنظام الرئاسي كالمكسيك وتشيلي وحتى في ظل النظام المصري.

ان هذا النظام سيؤدي الى اضمحلال سلطة الوزراء امام رئيس الدولة، مما يعني كبح الآراء المعارضة وتعدد الآراء[٧١].

قد ينقلب النظام الرئاسي بعد حقبة من الزمن، من نظام ديمقراطي الى نظام استبدادي ومرد ذلك للموروث الاستبدادي الطويل في العراق.

قد يفلت منصب رئيس الجمهورية من قبضة الاكثرية عن طريق تأثيرات أحزاب المصالح، أو عن طريق أنواع معينة من النظم الانتخابية، أو بسبب ضعف الاداء السياسي للاكثرية وتشتت اصواتها، ولاسيما إذا كان لديهم أكثر من مرشح للرئاسة.

قد يواجه النظام الرئاسي معارضة شديدة من التيار الملكي في العراق.

قد يسهم النظام الرئاسي في التفريط بالكفاءات السياسية من طريق اللعبة الانتخابية ومدخلاتها.

هناك شعوراً عاماً يسوده المجتمع العراقي بسبب الاستبداد الطويل مفاده ان الموقع الوظيفي الرفيع امتياز لا مسؤولية، والارجح ان النظام الرئاسي يعزز هذا الشعور السلبي[٧٢].

قد يؤدي تطبيق هذا النظام الى تمتع الرئيس بصلاحيات واسعة أمام البرلمان بصفته منتخب من قبل الشعب مباشرة، فان ذلك سيحد من الامكانية العملية للبرلمان في مراقبة ومحاسبة الرئيس ووزرائه، أو حتى محاولة توظيف القدرات الكامنة والمتحركة المختلفة التي تنطوي عليها البيئة الداخلية العراقية المتنوعة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ودينياً وقومياً لاعادة البناء والنهوض والتي هي مهمة لا يمكن انجازها الا بالجهد المشترك لجميع فئات المجتمع العراقي[٧٣].

فضلاً عن ذلك، يبدو ان تعلق فئات واسعة من الشعب العراقي وقواه السياسية بهذا النظام، لا ينبع من قناعات موضوعية، انما ينبع من قناعات عاطفية آتية مما يأتي[٧٤]:

اسباب فكرية تربط ما بين الجمهورية وما بين المعاصرة، في مقابل الملكية التي تقترن في الذهنية بالاستبداد والتخلف والجهل.

٢- يذهب بعض الباحثين الى القول بان ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ قد ولدت قناعات كبيرة لدى الشعب العراقي بأفضلية النظام الرئاسي في مقابل النظام الملكي.

٣- ان القناعات العراقية الشعبية بالنظام الرئاسي متأتية من الصورة الجميلة في الذهنية العراقية لشخصية الرئيس العراقي الاسبق عبد الكريم قاسم الذي جسد النزاهة العالية في ممارسة السلطة السياسية، مما دفع فئات واسعة من الشعب للتعلق به وانسحب هذا التعلق بدوره الى النظام الرئاسي ايضاً.

وعليه فان لتطبيق النظام الرئاسي في العراق آثاراً مزدوجة، ايجابية من جهة وسلبية من جهة اخرى.

ثالثاً : معوقات تطبيق النظام الرئاسي في العراق :

هناك جملة من المعوقات التي تحول دون تطبيق النظام الرئاسي في العراق ومن ابرز هذه المعوقات:

صعوبة التعديل الدستوري:

تعالت في الآونة الاخيرة أصوات تنادي بالنظام الرئاسي بغية انهاء الديمقراطية التوافقية والانتقال الى حكومة الاغلبية، لكن عملية التحول من النظام البرلماني الى النظام الرئاسي، أمراً غاية في الصعوبة، وهذا يرجع الى صعوبة التعديلات الدستورية التي يتطلبها النظام لكي يتحول الى نظام رئاسي ولاسيما في الوقت الحاضر[٧٥]. وذلك لوجود المادة (١٢٦، ثانياً) من الدستور العراقي الدائم، والتي تنص على انه : (لا يجوز تعديل المبادئ الاساسية الواردة في الباب الاول، والحقوق والحريات الواردة في الباب الثاني من الدستور، الا بعد دورتين انتخابيتين متعاقبتين، وبناءً على موافقة ثلثي اعضاء مجلس النواب عليه، وموافقة الشعب بالاستفتاء العام، ومصادقة رئيس الجمهورية، خلال سبعة أيام)[٧٦]. وتظهر هذه المادة صعوبة تطبيق النظام الرئاسي في العراق، إذ ان هذه المادة تقضي تعديل المبادئ الاساسية وطبيعة نظام الحكم الواردة في المادة الاولى من الدستور العراقي الدائم، إذ هو من المبادئ الاساسية التي نص عليها الدستور في بابه الاول، فيجب أن تمر دورتين متعاقبتين حتى يمكن تعديله، ولم تقف الصعوبة عند هذا الحد بل ذهبت الى أبعد من ذلك، وهي صعوبة التعديل الدستوري المفترض للتحول نحو النظام الرئاسي ، وهذا يتمثل بوضع المشرع العراقي قيوداً على عملية تعديل الدستور[٧٧]. وهذا ما نصت عليه المادة (١٤٢) من الدستور العراقي الدائم (اولاً – يشكل مجلس النواب في بداية عمله لجنة من اعضائه تكون ممثلة للمكونات الرئيسة في المجتمع العراقي , مهمتها تقديم تقرير الى مجلس النواب , خلال مدة لاتتجاوز اربعة اشهر , يتضمن توصية

بالتعديلات الضرورية التي يمكن اجراؤها على الدستور , وتحل اللجنة بعد البت في مقترحاتها ؛ ثانيا: تعرض التعديلات المقترحة من قبل اللجنة دفعة واحدة على مجلس النواب للتصويت عليها وتعد مقرةً بموافقة الاغلبية المطلقة لعدد اعضاء المجلس ؛ ثالثاً: تطرح المواد المعدلة من قبل مجلس النواب وفقا لما ورد في البند (ثانياً) من هذه المادة على الشعب للاستفتاء عليها، خلال مدة لا تزيد على شهرين من تاريخ اقرار التعديل في مجلس النواب. رابعاً: يكون الاستفتاء على المواد المعدلة، ناجحاً بموافقة اغلبية المصوتين، وإذا لم يرفضه ثلثا المصوتين في ثلاث محافظات او اكثر)[٧٨]. وعليه فان عملية التعديل الدستوري تكون صعبة جداً، إذ انه وان حصل الاستفتاء على الدستور بالاغلبية المطلقة من المصوتين بنعم للتعديل، فان ذلك يكون مرهوناً بنتائج ثلاث محافظات، ولتعديل الدستور لابد من الحصول على أغلبية الاصوات الموافقة على التصويت، مع ضمان عدم تصويت ثلثا ثلاث محافظات بالتصويت بلا للتعديل، وهنا يكمن صعوبة التحول من النظام البرلماني الى النظام الرئاسي.

الخوف من ظهور الدكتاتورية :

عاش العراق حقب طويلة من استبداد السلطة الحاكمة ولاسيما منذ عام ١٩٦٨ الى عام ٢٠٠٣ ، إذ تمثل طغيان هذه السلطة في الاستبداد بالسلطات الثلاثة وحصرها بيد الحاكم السياسي، فمنذ عام ١٩٦٨ وعلى وجه التحديد منذ عام ١٩٧٩، شهد العراق مرحلة نكوصية تمثلت في تصفية سياسية مباشرة للتعددية الموروثة في الحقب السابقة، إذ كان النظام ورئيسه يهدف من وراء ذلك القضاء على أي مظهر من مظاهر الديمقراطية والتعددية، وعمد الى صهر العراقيين جميعاً في بوتقة الحزب الواحد الذي امتدت بسطوته الى نواحي الحياة كافة، وفي ظل غياب الثقافة السياسية الديمقراطية وتكدس بدلاً عنها ثقافة الاستبداد التي تبرر احتكار السلطة من قبل الحاكم والخنوع والخضوع فضلاً عن الخوف من قبل المحكوم[٧٩] ومن هذه الصورة القاتمة لتاريخ الانظمة الرئاسية في العراق والتي شابتها اضطهاد الشعب وانتشار الظلم والفقر وما شابه ذلك، ومن هنا يتخوف الشعب من انقلاب النظام الرئاسي – لو تم تطبيقه على أرض الواقع- من نظام ديمقراطي الى نظام استبدادي بسبب الموروث الاستبدادي الطويل في العراق، والذي يمتد من البابليين الى الحكم البعثي السابق، ومن ثَمَّ يمكن ان يولد النظام الرئاسي دكتاتوراً آخراً يعاني الناس من حكمه واستبداده، وان كان هذا الرئيس منتخباً، ولنا في تجربة هتلر النازية مصداقاً لذلك، فهتلر كان حاكماً مستبداً رغم انه منتخب من الشعب[٨٠]. من ثَمَّ فان النظام الرئاسي يقف عائق يحول دون تحقيقه الا وهو التخوف الاجتماعي، والذي يتمثل بالخوف من أن يتحول النظام البرلماني الى رئاسي تكون السلطة التنفيذية فيه مركزة بيد رئيس دولة منتخب من قبل الشعب، فيتحول هذا الاخير الى دكتاتور يسلب الحريات وينتهك الاعراض ويبيح الحرمات، لهذا فان هذا النظام يحتاج الى فترة من الزمن حتى يستطيع الناس تناسي بعض آلام هذا النظام[٨١].

تكريس مبـدأ التوافق السياســي في توزيع المناصب.

تعـد الديمقراطيــة نظاماً اجتماعيــاً قبل ان تكون شـكلاً لنظــام الحكـم، فهي تجسـيد لقيم انســانية و(نمط للعيـش) والقواعد الدسـتورية التــي تعبــر عنهــا، فهي مجـرد بنيــة فوقية لا معنى لها، الا بقدر ما تتمسك الجماعة بالمبادئ والقيـم التي تكرســها هذه القواعـد، وعليه فان الديمقراطيــة هي شـكل لنظام الحكـم كما انها نمــط للعلاقــات الانســانية[٨٢]. وكما يــراد بها الوسـيلة التي تحقق القبول العــام والرضا التام للمواطنين ازاء نظمهم ومؤسســاتهم السياسية، لذلك تعد العملية الانتخابية هي الوسـيلة الانجع والسـلّم الافضــل التــي توصل اليها الشــعوب المتقدمة لاختيــار حكامهم ونوابهم، وفي ضوء نتائج هذه الانتخابات تتم عملية توزيع المكاسب السلطوية على الاحزاب الفائزة وفقاً لاستحقاقها الانتخابــي، لكن هذا لم يتحقق في عراق ما بعد عام ٢٠٠٣، أنما اســس لمبدأ التوافق السياسي منــذ تشــكيل مجلس الحكــم مــروراً بالحكومة المؤقتة برئاسة السـيد اياد علاوي ، والحكومة الانتقاليــة برئاســة السـيد ابراهيــم الجعفري، ومــروراً بحكومتــي السـيد نــوري المالكــي، وانتهاءاً بحكومة السـيد حيــدر العبادي، وهذه الحكومات المذكورة شكلت على اساس التوافق السياسي لا على اساس الاستحقاق الانتخابي أو على اساس الكفاءة والخبرة[٨٣] ومن ثَمَّ نلمس ان عملية توزيع المناصب الاساســية على اســاس التوافقــات السياســية لا علــى اســاس الكفــاءة والخبرة ، ناهيك عن الوظائف الاخرى المتمثلة بوكلاء الوزارات نزولاً الى تعيينات الموظفين العاديين، التي أصبحت في حــالات كثيرة تتم وفــق نموذج الحصص الحزبية، وعليه فان كل هذا يشــكل صعوبة في تطبيق النظام الرئاســي في العراق كون ان الوزارة في النظام الرئاسي يتــم تعيينهم من قبل رئيس الجمهورية وبموافقة شــكلية من مجلس الشيوخ، وهذا لا يتماشى مع نظام الحصص والتوافقات السياســية الموجودة في العراق[٨٤].

يتضح مما تقدم ان تطبيق النظام الرئاســي في العــراق يواجه معوقات عــدة منها صعوبة التعديــل الدســتوري، لأن تعديل الدســتور قيد بقيــود كثيرة منهــا زمنية واخــرى موضوعية ممــا يجعل صعوبة تحول النظام السياســي من البرلمانــي الــى النظــام الرئاســي، فضلاً عن الخــوف من ظهــور الدكتاتورية مجــدداً والتي تقــف حائلاً امام امكانية تطبيق هذا الشــكل من انظمة الحكم، زيادة على مبدأ التوافق السياسي والمحاصصــة التــي تم تكريســها فــي توزيع المناصــب الحكوميــة، كل ذلك يعــوق تطبيق النظــام الرئاســي في العــراق . كمــا ان آليات التحول نحو النظام الرئاسي تتطلب ايضاً تعديل فــي الكثير مــن الفقرات الدســتورية مما يجعل صعوبة تطبيق هذا النظام في العراق دون القيام بالتعديل المنشود.

الخاتمة والاستنتاجات:

بعد إتمام الدراسة يمكن إيراد عدد من النقاط الاساسية التي توصلت اليها الدراسة ومن ابرزها :

يقوم النظام الرئاسي على دعامتين أساسيتين، الاولى منها احادية السلطة التنفيذية ومباشرة رئيس الجمهورية للسلطات الفعلية، أما الدعامة الثانية فهي استقلال السلطات العامة وشدة الفصل بينها.

يقوم النظام الرئاسي على مبدأ الفصل بين السلطات، فتتولى كل سلطة الوظيفة المسندة اليها استقلالاً بدون تداخل في الاختصاصات بينهم.

ان للنظام الرئاسي مزايا كثيرة من أهمها انه يؤمن وحدة الرأي وسرعة التنفيذ واستقرار السلطة السياسية، فضلاً عن انه أكثر مرونة في مجال تعديل القوانين وتطبيقها، زيادةً على ان صناعة القرار فيه تكون اسرع واقوى واسهل من النظام البرلماني.

كما ان للنظام الرئاسي مزايا، فان له في الوقت نفسه عيوب كثيرة من أهمها انه قد يؤدي الى الاستبداد فضلاً عن افتقار النظام الرئاسي الى المرونة اللازمة التي تمكنه من الدعوة الى انتخابات مبكرة، زيادة على انه يتناقض مع مبدأ المشاركة وبناء الديمقراطية بسيطرة فرد على السلطة التنفيذية.

لتطبيق النظام الرئاسي في العراق يتطلب وضع صلاحيات واختصاصات اكبر لرئيس الجمهورية مع اضعاف لصلاحيات واختصاصات مجلس الوزراء ، فضلاً عن تحقيق فصل اعمق بين السلطات الثلاث .

لتبني النظام الرئاسي في العراق يجب ان تناط السلطة التنفيذية بيد رئيس الجمهورية حصراً، لان النظام الرئاسي قائم على وحدة السلطة التنفيذية، فضلاً عن وجوب انتخاب الرئيس من قبل الشعب سواء كان بصورة مباشرة ام غير مباشرة. ان لتطبيق النظام الرئاسي في العراق آثار ايجابية وسلبية في آن واحد، فأما الآثار الايجابية كثيرة ومن ابرزها انه اقل عرضة للازمات واكثر تماسكاً وانسجاماً بين مؤسسات الدولة، فضلاً عن انه يساعد على معالجة الاوضاع الامنية المنفلتة بحزم. أما الآثار السلبية فهي عديدة ايضاً، ومن ابرزها الخشية من انقلاب هذا النظام الى نظام استبدادي، فضلاً عن انه قد يسهم في التفريط بالكفاءات السياسية عن طريق اللعبة الانتخابية.

ان التخوف الاجتماعي من اعادة صناعة دكتاتور يقف حائلاً دون تطبيق النظام الرئاسي في العراق، فضلاً عن ان توزيع المناصب الاساسية يكون على اساس التوافقات السياسية لا على اساس الجدارة والكفاءة بالنسبة للمرشحين لتولي المناصب.

ان اعتماد النظام الرئاسي في العراق كبديل

عـن النظام البرلماني، يتطلـب تغييراً جوهرياً في الدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥.

ان المطالبـة بتغييـر النظـام في العـراق تكاد تكـون تعجيزية في توقيتها وفي شـرط تحقيقها الذي يتطلب تعديلاً دسـتورياً مشـدداً، لذا يرى الكثيرون بان النظام البرلماني هو النظام الملائم للمجتمعات المتنوعة مثل المجتمع العراقي.

ينبغـي لنا إذا مـا اردنا الاسـتقرار بالنظام البرلمانـي ان نعمـل على تصحيح المسـارات الخاطئـة التي وقعت – ومـا زالت تقع - نتيجة لتطبيـق النظـام البرلمانـي بصورتـه الحالية، لذلك ينبغـي العمل على الابتعاد عـن التوافقية فـي تشـكيل الحكومة، وتفعيل المسـؤولية امام البرلمان، فضلاً عن تقوية الدور الرقابي للجان البرلمانية، وخلق معارضة سياسية فاعلة داخل البرلمان .

نجد ان النظام البرلماني هو الاصلح لادارة البلاد وفق أحكام الدستور، لما يتمتع به من مزايا عديدة من شأنها خلق نوع من التوازن والتعاون بين السلطتين التشريعية والتنفيذية مما يمنع من التحول الى الاسـتبداد التدريجي المبطن تمهيداً لاحـكام القبضة الحديدية على السـلطة، اما إذا اضطررنـا الى تبني النظام الرئاسـي كمرحلة انتقالية فيجـب ان يكون ذلك لمدة زمنية محددة لمنع تحول الحاكم الى دكتاتور.

الهوامش

(١) المادة (١) من الدستور العراق الدائم.

(٢) شارلز ماكلالند، نقلاً عن: عامر مصباح، معجم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، ط١، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩، ص٣٠٩.

(٣) عبـد الوهـاب الكيالـي وآخـرون، موسـوعة السياسـة، ج٦، ط٢، المؤسسـة العربية للدراسـات والنشر، بيروت، ١٩٩٣، ص٥٨٢.

(٤) عامر مصباح، مصدر سبق ذكره، ص٣٠٩.

(٥) حسـن صعب، علـم السياسـة، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٦، ص٥٨.

(٦) حسـان محمد شـفيق العاني، الانظمة السياسية والدسـتورية المقارنـة، ط٣، (العاتـك لصناعـة الكتاب، القاهرة) (المكتبة القانونية، بغداد)، ٢٠٠٩، ص١٤.

(٧) روبـرت دال، التحليـل السياسـي، نقـلاً عن: صادق الاسـود، علـم الاجتماع السياسـي: اسسـه وابعـاده، وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمي- جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩٠، ص٢٦٨.

(٨) محمد سـعد ابو عامود، النظم السياسية في ظل العولمـة، ط١، دار الفكـر الجامعي، الاسـكندرية، ٢٠١٢، ص١٧.

(٩) فـوزي ابـو ديـاب، المفاهيم الحديثـة للانظمة والحيـاة السياسـية، ط1، دار النهضـة العربيـة، بيـروت، ١٩٧١، ص١٨. وللمزيد ينظر: عامر مصباح، مصدر سبق ذكره، ص٣١٣.

(١٠) حسـين عثمان محمد عثمان، النظم السياسية والقانون الدسـتوري، ط1، الدار الجامعية، القاهرة، (د.ت)، ص٢١٠.

(١١) قحطـان أحمد الحمدانـي، المدخل الى العلوم السياسـية، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢، ص٢٤٨.

(١٢) حسـن مصطفـى البحري، النظم السياسـية، جامعـة دمشـق- كليـة الحقـوق، دمشـق، (د.ت)، ص٧٩.

(١٣) عبـد الوهـاب الكيالـي وآخرون، موسـوعة السياسة، ج٦، مصدر سبق ذكره، ص٥٨٤.

(١٤) عبد الغني بسـيوني، النظم السياسـية، اسـس التنظيم السياسي-الدولة-الحكومة-الحقوق والحريات العامة، الـدار الجامعية للطباعة والنشـر، بيروت، ١٩٨٤، ص ٢٨٣-٢٨٤.

(١٥) ابراهـام لنكولن/ هو الرئيس السـادس عشـر للولايـات المتحـدة الامريكية، ولـد لنكولن في عام ١٨٠٩ لابوين متواضعين، يُعدّ ابراهام لنكولن معلماً اميركياً بارزاً وأوسع الامريكيين شهرة، عكف على تعليم نفسـه من الكتب مواضيع شـملت قواعد اللغة الانكليزية وقدراً من الرياضيات مكنه من الاشتغال بالمسح الهندسـي، وقدراً كافياً من القانون مكنه من الانتمـاء الى مهنـة المحاماة، ولنكولـن هو الرئيس الـذي خلص البلاد من الانقسـام، فضلاً عن قضائه على نظام الرق، استلم رئاسة البلاد في فترة الحرب الاهليـة مـن العـام ١٨٦١-١٨٦٥، أغتيـل لنكولن عـام ١٨٦٥. للمزيـد ينظر: ابراهـام لنكولن، ارث مـن الحريـة، وزارة الخارجية الامريكيـة، (د.م)، ٢٠٠٨، ص٥-٦.

(١٦) نعمـان أحمـد الخطيـب، الوجيـز فـي النظم السياسية، ط١، (د.ن)، القاهرة، ١٩٩٩، ص٣٦٦.

(١٧) عبـد الغنـي بسـيوني، مصـدر سـبق ذكره، ص٢٨٤.

(١٨) نديم عيسـى الجابري، فكـرة الجمهورية في العراق، ط1، مؤسسـة الفضيلة للدراسات والنشر، بغداد، ٢٠١٣، ص١٩.

(١٩) عبـد الغنـي بسـيوني، مصـدر سـبق ذكره، ص٢٨٤. للمزيـد ينظـر: هاني علـي الطهراوي، النظم السياسية والقانون الدستوري، ط٣، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١، ص٦٢٥.

(٢٠) عبـد الغنـي بسـيوني، مصدر سـبق ذكره، ص٢٨٤-٢٨٥.

(٢١) نديـم عيسـى خلف، ملاحظات حـول الخيار الرئاسـي في العراق، مجلة العلوم السياسـية، العدد (٢٩)، السـنة (١٥)، تشـرين الاول، ٢٠٠٤، ص ٦٣-٦٤.

(٢٢) منعـم خميـس مخلف،الشـكل المسـتقبلي للنظـام السياسـي العراقـي، «دراسـة مقارنـة للنظـام الجمهوري-الرئاسـي، البرلمانـي، حكومة الجمعيـة النيابية: الفرص والبدائـل» ، على الموقع الالكتروني: www.Mesr.net. في ٢٠١٦/٣/١١

(٢٣) عبد الكريم علوان، النظم السياسـية والقانون الدستوري، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦، ص١٠٦.

(٢٤) قحطان احمد الحمداني، مصدر سـبق ذكره، ص٢٤٨.

(٢٥) حميـد حبيـب المالكـي، النظـام الرئاسـي بوابـة لحـل معضلـة العـراق، الحـوار المتمـدن، ٢٠١٣/١٠/٧، علـى الموقـع الالكترونـي الآتـي: www.ahewar.org. في ٢٠١٦/٣/١١.

(٢٦) نديـم عيسـى خلف، ملاحظات حـول الخيار الرئاسي في العراق ، مصدر سبق ذكره ، ص٦٦ .

(٢٧) حسن ناجي سعيد، اشكالية العلاقة بين السلطة

التشـريعية والسـلطة التنفيذية في النظام السياسـي العراقي، رسـالة ماجسـتير (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية ، ٢٠١٠، ص٢٧٣.

(٢٨) منعم خميس مخلف، مصدر سبق ذكره .

(٢٩) هانـي علي الطهراوي، مصدر سـبق ذكره، ص٢٦٩.

(٣٠) حسـن ناجـي سـعيد، مصـدر سـبق ذكره، ص٢٧٨-٢٧٩.

* جـورج واشـنطن/ أول رئيـس للولايـات المتحـدة الامريكيـة ولد عام ١٧٣٢ قـرب نهر بوتوماك، وهـو القائد العـام لجيـش المسـتعمرات في حرب الاسـتقلال، ويلقب بـ (أبو الوطـن)، رأس مؤتمراً لوضع دسـتور فيدرالي يضم شـمل المسـتعمرات الانكليزيـة، وانتخـب عـام ١٧٨٩ بالاجماع أول رئيـس للجمهوريـة، تولـى الرئاسـة فـي ولايتين ورفض ترشـيح نفسـه للرئاسـة مرة ثالثة، اعتزل واشنطن الحياة العامة وعاش في ضيعته، وتوفي في ١٩ كانـون الاول من عام ١٧٩٩، وكان قد احتل مقامـاً رفيعاً فـي قلوب مواطنيـه، إذ انه كان الاول فـي الحرب والاول في السـلم. للمزيد من التفاصيل ينظـر: عبـد الوهـاب الكيالي وآخرون، موسـوعة السياسـة، ج٧، مصدر سـبق ذكـره، ص ٢٤٩-٢٥٠. وكذلـك ينظر: محمد محمود النيرب، تاريخ الولايات المتحدة الامريكيـة، ج1، ط1، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٢٦.

*جيمـس ماديسـون/ رابـع رئيـس للولايـات المتحـدة الامريكيـة ولد عام ١٧٥١، عرف بأبي الدسـتور، لعب دوراً مهماً في وضع دسـتور الولايات المتحدة الامريكيـة عـام ١٧٨٧، كان مـن بيـن الزعمـاء الرئيسـين المؤيديـن لمغزى الدسـتور في الصحف الفيدراليـة فـي عـام ١٧٨٨، قـام بانشـاء الحزب الجمهوري الديمقراطي في منتصف التسعينيات من القرن الثامن عشـر بالتعاون مع توماس جيفرسون، عندمـا اصبح رئيسـاً اعلـن الحرب علـى بريطانيا عـام ١٨١٢، توفـي ماديسـون ١٨٣٦. للمزيد من التفاصيـل ينظـر: جيمـس ماديسـون، ويكيبيديـا، الموسـوعة الحرة،على الموقـع الالكتروني الآتي: www.wikipedia.org. في ٢٠١٦/٣/١٦.

(٣١) هانـي علـي الطهراوي , مصدر سـبق ذكره، ص262. للمزيد ينظر: حسين عثمان محمد عثمان، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٧-٢١٨.

(٣٢) حسـان محمـد شـفيق العاني، مصدر سـبق ذكره، ص٢٧.

(٣٣) منعم خميس مخلف، مصدر سبق ذكره .

(٣٤) نقلاً عن: نديم عيسـى خلف، ملاحظات حول الخيار الرئاسـي فـي العراق، مصدر سـبق ذكره، ص٦٤.

(٣٥) نعمان احمد الخطيب، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٣٦) المصدر نفسه، ص٣٦٥.

(٣٧) حافظ علوان حمادي الدليمي، النظم السياسية في اوروبـا الغربية والولايات المتحـدة الاميركية، ط١، دار وائل، عمان، ٢٠٠١، ص٢٥٨.

(٣٨) محمـد كاظـم المشـهداني، النظم السياسـية، وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي- جامعـة الموصـل، الموصـل، ١٩٩١، ص ١٧٢-١٧٣. وللمزيد ينظر: حسـان محمد شـفيق العاني، مصدر سبق ذكره، ص٣٢٨.

(٣٩) موريـس دوفرجيـه، المؤسسـات السياسـية والقانـون الدسـتوري: الانظمة السياسـية الكبرى، ترجمة: جورج سعد، ط٢، (مجد المؤسسة الجامعية

للدراسات والنشر والتوزيع-الشبكة العربية للابحاث والنشر) ، بيروت، ٢٠١٤، ص٢٩٩.

(٤٠) حافظ علوان حمادي الدليمي، مصدر سبق ذكره، ص٢٦٢-٢٦٣.

(٤١) نقلاً عن: نديم عيسى خلف، ملاحظات حول الخيار الرئاسي في العراق، مصدر سبق ذكره، ص٦٥.

* الامبيشمنت / جريمة سياسية ضد امن الدولة، وضد سلامة الوطن في الداخل والخارج، وتشمل التآمر على حقوق المواطنين، وتسليم البلاد للاجنبي، أو خلق حالة من الفوضى تسهل تدخل الدول الاجنبية في شؤون الدولة. للمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، ج٢، مصدر سبق ذكره، ص٦٣٤.

(٤٢) محمد كاظم المشهداني، مصدر سبق ذكره، ص١٧٧.

(٤٣) حسن مصطفى البحري، مصدر سبق ذكره، ص١٠٤.

(٤٤) عبد الغني بسيوني، مصدر سبق ذكره، ص٢٨٣.

(٤٥) احمد يحيى هادي، الدور الرقابي للبرلمان العراقي بعد ٢٠٠٣، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ٢٠١٠، ص١٥٠.

(٤٦) المصدر نفسه، ص١٥١، وللمزيد ينظر: نعمان أحمد الخطيب، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٧-٣٦٨. وكذلك ينظر: شمران حمادي، النظم السياسية والدستورية في الشرق الاوسط، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد، (د.ت)، ص٦٢-٧٠.

* هاري ترومان/هو الرئيس الثالث والثلاثين للولايات المتحدة الامريكية، ولد في ميسوري عام ١٨٨٤ واصبح نائباً لها في مجلس الشيوخ عام ١٩٤٣، اختاره روزفلت لمنصب نيابة الرئاسة الامريكية عام ١٩٤٤ وخلفه لدى مماته في العام التالي دون ان يكون له خبرة كبيرة في اتخاذ القرارات القومية والدولية، ايد فكرة الامم المتحدة وقرر استخدام القنبلة الذرية ضد اليابان صيف عام ١٩٤٥ ، وهو صاحب مبدأ ترومان ، وفي عهده تبنت الولايات المتحدة خطة مارشال لاعادة بناء اقتصاد اوروبا وحلف الاطلسي (الناتو) عام ١٩٤٩ لمقاومة الشيوعية في غرب اوروبا، جددت الولاية له بعد فوزه على منافسه ديوي بصعوبة بالغة عام ١٩٤٨ ، توفي هاري ترومان عام ١٩٧٢. للمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، ج١، مصدر سبق ذكره، ص٧٢٤.

(٤٧) حسن ناجي سعيد، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٣.

(٤٨) المادة (٦٦) من الدستور العراقي الدائم.

(٤٩) أحمد يحيى هادي، مصدر سبق ذكره، ص 151-152.

(٥٠) حسن ناجي سعيد، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٣-٢٨٤.

(٥١) المادة (٧٣) الفقرة أولاً من الدستور العراقي الدائم.

(٥٢) المادة (٧٣) الفقرة ثانياً من الدستور العراقي الدائم.

(٥٣) المادة (٧٣) الفقرة ثالثاً من الدستور العراقي الدائم.

(٥٤) المادة (٧٨) الدستور العراقي الدائم.

(٥٥) أحمد يحيى هادي، مصدر سبق ذكره، ص١٥٣.

(٥٦) عبد الغني بسيوني، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٤-٢٨٥.

(٥٧) المادة (٥٤) من الدستور العراقي الدائم.

(٥٨) المادة (٥٨) الفقرة ثانياً من الدستور العراقي الدائم.

(٥٩) أحمد يحيى هادي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٤.

(٦٠) المادة (٦٠) من الدستور العراقي الدائم.

(٦١) حسن ناجي سعيد ، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٥.

(٦٢) أحمد يحيى هادي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٥-١٥٦.

(٦٣) حسن ناجي سعيد، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٥-١٥٦.

(٦٤) منعم خميس مخلف، مصدر سبق ذكره.

(٦٥) المصدر نفسه.

(٦٦) حسن ناجي سعيد ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٧٥-٢٧٦ .

(٦٧) المصدر نفسه ، ص٢٧٦.

(٦٨) منعم خميس مخلف، مصدر سبق ذكره.

(٦٩) نديم عيسى خلف، ملاحظات حول الخيار الرئاسي في العراق، مصدر سبق ذكره، ص٦٨-٧٠.

(٧٠) منعم خميس مخلف، مصدر سبق ذكره.

(٧١) نديم عيسى خلف، ملاحظات حول الخيار الرئاسي في العراق، مصدر سبق ذكره، ص٦٩.

(٧٢) احمد يحيى هادي، مصدر سبق ذكره، ص١٥٦.

(٧٣) المادة (١٢٦) الفقرة ثانياً من الدستور العراقي الدائم.

(٧٤) أحمد يحيى، مصدر سبق ذكره، ص١٢٧.

(٧٥) المادة (١٤٢) الفقرات أولاً وثانياً وثالثاً ورابعاً من الدستور العراقي الدائم.

(٧٦) أحمد غالب، تحديات التحول الديمقراطي في عراق اليوم، المجلة العراقية للعلوم السياسية، العدد (1)، السنة (٢) ، آذار، ٢٠٠٨، ص٢٩-٣٠.

(٧٧) نديم عيسى خلف، ملاحظات حول الخيار الرئاسي في العراق، مصدر سبق ذكره، ص٦٨.

(٧٨) أحمد يحيى هادي، مصدر سبق ذكره، ص١٥٨.

(٧٩) عصام سليمان، مدخل الى علم السياسة، ط١، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٩، ص٢١٨-٢٢٠.

(٨٠) أحمد يحيى هادي، مصدر سبق ذكره، ص١٥٨-١٥٩.

(٨١) المصدر نفسه .

العلاقات الايرانية ـ الامريكية في ضوء تاثير الملف النووي الايراني بعد عام ٢٠٠٣

أ.م.د خلود محمد خميس (*)

المقدمة

مـرت العلاقـات الايرانيـة ـ الامريكيـة بمراحل متعددة من الشـد والجذب والاستقرار والتوتـر منـذ اواسـط السـتينيات مـن القـرن الماضـي وحتى كتابة البحث ،فقد اسـتخدم كلا الطرفين العديد من الوسائل والاساليب وادوات الضغـط لاجل تهديـد الطرف المقابـل وكذلك لاجل الحد من تحركاته السياسـية والدبلوماسية وفرض العقوبات الاقتصادية والعسـكرية كما فعلـت الولايـات المتحدة الامريكيـة مع ايران لان امريكا كانـت الجانب القوي في هذه اللعبة بعكس ايران التي كانت الجانب المتلقي ،الا انها عملت بطرق مختلفة لاجل الحفاظ على ما لديها من انشـطة لاجل تخصيب اليورانيوم وبالتالي الوقـوف بوجـه الولايـات المتحـدة وتطلعاتها لاجـل ردع قوة ايران الاقليميـة وتحجيمها في منطقة الشرق الاوسط.

فايـران اسـتطاعت التفـاوض والحـوار دون الاستسـلام النهائي لـلارادة الامريكية في التنـازل عن برامجها لاجل اسـتمرار تجاربها في تخصيب اليورانيوم ولاسـيما وان الولايات المتحدة الامريكية والقوى الغربية الاوربية هي من دعم إيران وشجعها لاجل استمرار تجاربها الذرية والنووية والتي بدأت منذ عام ١٩٥٣.

وهكذا دخلت ايران فـي العديد من جولات التفـاوض وعقـد العديد مـن الاتفاقيات مع تلك الأطـراف لاجل ان تحقق الفـوز بالحفاظ على ما تملكه وكذلك الاسـتمرار في برامجها فضلاً عن تحقيق الفوز بان تصبح احد اعضاء النادي النووي.

ومـن خلال دراسـتنا الموسـومة العلاقات الايرانيـة ـ الامريكيـة في ضـوء تاثير الملف النـووي الايراني بعد عام ٢٠٠٣ اعتمدنا على الفرضيـة التالية : (ان عدم الاسـتقرار والتوتر

(*) كلية القانون ـ جامعة واسط

الذي يصيب العلاقات الاقليمية والدولية انما يرجع اساسا الى اختلاف المصالح ووجهات النظر بين الجانبين وبالتالي انعكاس الاختلاف على شكل نتائج سلبية على تلك العلاقات والحالة هذه يمكن انطباقها على العلاقات الايرانية- الامريكية).

اما اشكالية الدراسة فاعتمدت على طرح العديد من التساؤلات أهمها :

- لماذا أضحت إيران هاجساً بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية وراحت تظهرها بأنها خطراً محدقاً بالأمن القومي الامريكي؟

- هل تمثل ايران تهديداً بالقدر الذي يجعلها خطرا عظيما على مصلحة دولة عظمى والى الحد الذي يبرر مواجهتها باستراتيجيات تم تطويرها مسبقا لمواجهة دولة عظمى مماثلة؟

- هل تشكل ايران تهديدا استراتيجيا فعلا وما الذي يجعلها كذلك؟

كما اشتملت الدراسة على هيكلية تجسدت في عدة مباحث هي:

المبحث الاول :طبيعة العلاقات الايرانية - الامريكية قبل عام ٢٠٠٣

المبحث الثاني :العلاقات الايرانية - الامريكية في ضوء ازمة الملف النووي بعد عام ٢٠٠٣

المبحث الثالث: العلاقات الايرانية - الامريكية في ضوء اتفاقات الملف النووي بعد عام ٢٠١١.رؤية مستقبلية

المبحث الاول :طبيعة العلاقات الايرانية- الامريكية قبل عام ٢٠٠٣

تعود البدايات الاولى للبرنامج النووي الايراني الى عهد الشاه (محمد رضا بهلوي) حين مثل الاهتمام بالطاقة النووية جزءا من جهوده الرامية الى تحويل ايران الى قوة اقليمية عظمى من خلال التعاون مع الولايات المتحدة الامريكية منذ منتصف الخمسينيات من القرن الماضي بعد القضاء على ثورة مصدق في اب ١٩٥٣ ودخول ايران مع الولايات المتحدة الامريكية في برنامج الذرة من اجل السلام .[١] وهذا يعني ان ايران استفادت قدر المستطاع من التعاون الدولي في المجال النووي كاول دولة غير عربية مع الولايات المتحدة منذ عام ١٩٥٠ ومع فرنسا ١٩٥٦ خاصة بعد الاتفاقية الايرانية - الامريكية والتي مكنت ايران من التزود بستة مفاعلات نووية اضافة الى مفاعلين اخرين اشترتهما من فرنسا والمانيا[٢] فقد قام(رضا بهلوي) بانشاء محطة للطاقة النووية في بوشهر بمساعدة المانية وبتشجيع من الولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية لايران على ارتياد المجال النووي الا انه تم الغاء المشروع مع قيام الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩ ،تماشيا مع الاراء التي كانت تقول بحرمة امتلاك مثل هذا النوع من الاسلحة بعد ان صرف الشاه على هذا المشروع نحو ٦ مليارات دولار في بناء المنشأت النووية وبعد ان قامت الشركات الالمانية بانشاء البنية التحتية ووعاء الاحتواء الفولاذي لاحد المفاعلات في بوشهر .[٣]وهنا نشأت اسبابا للخلاف بين الطرفين وبحسب وجهة النظر الايرانية والتي

استندت على اساس ان الولايات المتحدة لعبت دورا في الاطاحة بحكومة مصدق واعادة الشاه الى الحكم عام ١٩٥٣ وكذلك دعمها للشاه طوال ستينات وسبعينات القرن العشرين ومعارضتها للحركة الاجتماعية التي اطاحت بنظام بهلوي عام ١٩٧٩ .[٤]

حتى ان الكاتب الامريكي (جيمس بيل) وصف العلاقات الايرانية ـ الامريكية بالمأساة عندما وصفها في كتابه (النسر والاسد) والمترجم على حلقات في صحيفة الوطن الكويتية في اب ١٩٨٨،واصفا اياها وما الت اليه بعد عام ١٩٧٠ والتي كانت واضحة على الولايات المتحدة الامريكية نظرا لفداحة الخسارة التي لحقت بمصالحها جراء فقدانها واحدة من اهم دعامات سياستها في الخليج وحلقة هامة في الحزام الشمالي الهادف الى تطويق الاتحاد السوفيتي (السابق)،بينما يصف ايران بانه على الرغم من الضرر الذي نالها ظلت سياستها ازاء الولايات المتحدة ذات مبادأة وامتلكت من الخيارات ما جعلها محل محاباتها حتى في اكثر حالات العلاقة بينهما توترا وشدا).[٥]

فالولايات المتحدة الامريكية وضعت ايران تحت الخط الاحمر بعدما اثير بصدد شحنة الصواريخ الكوبية التي وصلت ميناء بندر عباس فكانت محل متابعة من قبل الولايات المتحدة الامريكية وكذلك بالنسبة لحصول ايران على مفاعلين من كازاخستان وعلاقتها في المجال النووي مع الصين وباكستان والارجنتين.[٦]

وكما وضح(بريجنسكي)أسس هذه العلاقة في كتابه رقعة الشطرنج الكبرى (the grand chessboard) بشكل لا لبس فيه فقد حدد اهم اهداف السياسة الخارجية الامريكية وغاياتها من خلال ثلاث ضرورات ملحة كبرى ولاسيما بالجيوستراتيجية الامريكية وهي الحيلولة دون التواطىء والمحافظة على الاعتمادية الامنية بين الدول التابعة (اوربا ،اليابان،شرق اسيا) على ان تبقى الدول الخاضعة طيعة ومحمية (الدول العربية وجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق في آسيا الوسطى)مع الحيلولة دون التقاء الدول الهمجية معا (الجمهورية الاسلامية الايرانية والصين وروسيا).[٧]

لكن الرؤية الإيرانية لم تتغير رغم تغير شخوص النظام الايراني ،فالشاه (محمد بهلوي) كان يعتقد بان امتلاك ايران للتقنيات النووية امرا تقتضيه ضرورة الارتقاء بالاقتصاد الايراني وليس بالضرورة ان تتحول هذه الصناعة لاغراض عسكرية ولذلك فانه لم يتمنع من التوقيع على معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية (npt) عام ١٩٦٨ ثم تلا ذلك التوقيع على اتفاقية عام ١٩٧٣ وهي الضمانات النووية الخاصة بالوكالة الدولية للطاقة الذرية تغطية لما كان يرمي اليه بالوصول الى امتلاك اسلحة نووية وكما فعل القادة الايرانيين الجدد حين وقعت ايران اتفاقية التقنيات نووية لاغراض عسكرية والذي سمح للوكالة الدولية بمراقبة النشاطات النووية ثم امتنعت عن تفتيش منشأتها النووية.[٨]*

وبحسب تحليلات عدد من الباحثين كانت ايران تحت حكم الشاه ولسنوات طويلة جزءاً من حلف شمال الأطلسي حيث كان اعضائه مكلفين بثلاث مهام هي (تطويق النفوذ السوفيتي السابق ،حماية امن اسرائيل،مواجهة القوى

والحكومات المناوئة للسياسات الامريكية)إذ كان السافاك الاسرائيلي يتخذ من طهران مقراً اساسياً للعمل ضد السوفيت وللتجسس على القوى والحكومات المعارضة للولايات المتحدة الامريكية .[٩]

الا ان الادارة الامريكية منذ ادارة (جيمي كارتر) قد فرضت عقوبات اقتصادية واسعة ضد ايران واهم ما شملت عليه تلك العقوبات (الحظر على الشركات الامريكية تقديم المساعدات لتطوير البنية التحتية للقطاع النفطي الإيراني وحظر استيراد معظم المنتجات الإيرانية الى الولايات المتحدة الامريكية ،وفرض الرقابة على تصدير منتجات امريكية معينة الى إيران ،وبذل جهود دبلوماسية امريكية لمنع منح ايران اية قروض بواسطة المؤسسات المالية الدولية ،الا ان تلك العقوبات الامريكية ظلت احادية الجانب فلم تنضم اليها الحكومات الاوربية بل حلت شركات اوربية محل الشركات الامريكية في الاستثمار بايران .[١٠]

ولهذا يمكن عد عام ١٩٧٩ العام الذي توترت فيه العلاقات الايرانية ـ الامريكية بسبب ثلاث متغيرات استراتيجية هي : [١١]

١ـ تأسيس نظام إسلامي جاءت به ثورة شعبية.

٢ـ موقف النظام الجديد من الولايات المتحدة الامريكية والتحريض المباشر ضد سياستها ،فعد خميني الولايات المتحدة الامريكية (الشيطان الاكبر).

٣ـ موقف النظام الايراني من اسرائيل والتي يجب ازالتها حسب ادراكه والتي لا يجوز الاعتراف بوجودها لذا عملت الولايات المتحدة الامريكية ازاء ذلك على احتواء السياسة الايرانية والعمل على استثمار اية فرصة لتحسين العلاقة مع ايران .

اما الازمة التي حدثت بين الطرفين عام ١٩٧٩ حين قام مجموعة من الطلاب والثوريين الايرانيين باقتحام مبنى السفارة الامريكية بطهران واحتجاز الموظفين وبعض المراجعين الامريكيين بالسفارة كرهائن والبالغ عددهم ٩٠ رهينة والذين تم الافراج عن بعضهم خلال اسابيع من قيام الازمة في حين ظل ٥٢ محتجزا لمدة ٤٤٤ يوما.[١٢]

الا ان البرنامج النووي الايراني استمر على الرغم من تلك الازمات التي مرت على النظام السياسي الايراني فبعد عام ١٩٨٢ بدأ البرنامج النووي الايراني العمل على احياء ما تم البدء به ،فأسست ايران مركزا جديدا للأبحاث النووية في جامعة اصفهان عام ١٩٨٤ بمساعدة صينية وقامت بانشاء مركز للبحوث والانتاج النووي في منطقة (معالم كاليه)عام ١٩٨٧ كما انشات ايران عام ١٩٨٨ معملا لاستخلاص البلوتونيوم اما الاتفاق الذي تم توقيعه مع باكستان عام ١٩٨٦ والذي كان يقضي ان تقوم باكستان بتدريب العلماء الايرانيين والمساعدة في البرنامج النووي الايراني ثم وقعت ايران اتفاقا مع الارجنتين عام ١٩٨٧ للحصول على وقود نووي ارجنتيني من اليورانيوم المخصب للاغراض السلمية ثم عقدت ايران اتفاقا مع جمهورية جنوب افريقيا خلال الفترة ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩ للحصول على كميات من اليورانيوم المخصب لاجراء التجارب النووية .[١٣]

وفي ايار ١٩٩٣ اكد (مارتن انديك)في كلمة القاها في معهد واشنطن لسياسات الشرق الادنى على الاستراتيجية الامريكية المسماة (الاحتواء المزدوج) والتي يجب اتباعها من قبل الولايات المتحدة الامريكية بزعامة بيل

كلنتـون مع ايـران والعراق كدولتيـن عدوتين ووفقا للمنهجية السياسـية الجديدة والتي نصت (علـى ان الولايـات المتحـدة لـن تحـاول بعد اليـوم ان توقع بين العـراق وايران كما حاولت سـابقا ولكنها تسـرع بدلا من ذلك في مواجهة الدولتين من خلال اجراءات عسكرية اقتصادية وسياسـية) .[١٤]اما في عام ١٩٩٥ صرح مدير الوكالة الامريكية لمراقبة الاسلحة ونزع السلاح بوجود امكانية لدى ايران للحصول على القنبلة النووية خلال سـنة ٢٠٠٣ وفـي كانون الثاني ٢٠٠٠ اعلنت الاسـتخبارات الامريكية انها لا تسـتبعد توفر امكانية امتلاك ايران بالفعل على اسلحة نووية .[١٥]

الا ان الولايـات المتحدة الامريكية كان موقفها سـلبيا من خلال تجديد اتهاماتها لايران بدعمها المتواصل لجماعات عدتها الحكومة الامريكية ارهابيـة وكذلـك ادعائها عـام ١٩٩٦ بوجود مؤامـرة ايرانيـة لضـرب قواتهـا فـي ابراج الخبر فـي المملكة العربية السـعودية.[١٦]الا ان ايـران اتجهت الـى المادة الرابعـة من معاهدة منـع الانتشـار النـووي والتـي تعتـرف بحق الدول الاعضاء غير المالكين للسـلاح النووي وبالتطوير النووي السلمي.[١٧]

امـا بعـد انتخـاب الرئيـس الايرانـي (محمد خاتمي) عـام ١٩٩٧ وصدور الحكم في قضية حادثة مطعم (مابكوتوس)في السنة ذاتها بدأت الولايـات المتحـدة الامريكيـة بتبني سياسـة التوافق مع ايران وبعـض دول الخليج العربية والمشـاركة بطريقـة ايجابيـة فـي المؤتمرات الدوليـة وفـي تلـك الاجـواء طرحـت وزيرة الخارجية الامريكية السابقة (مادلين اولبرايت) عـرض ادارة (بيل كلنتون) ببدء حوار موثوق وغير مشروط مع طهران ـ الا ان ايران لم تكن مستعدة وقد اشترطت ان تقوم الولايات المتحدة الامريكيـة برفـع العقوبـات واعـادة الاصول الايرانيـة المجمـدة ونتيجة لذلـك ظلت مبادرة ادارة كلينتون تراوح مكانها .[١٨]

فاسـتمرت العلاقات نوعاً مـا جيدة لحد حادث تفجيـر أبراج الخبر في السـعودية ،فشـهد عام ٢٠٠٠ تطـورات متناقضـة علـى الجانبيـن الامريكـي والايراني ،فبدأ العام بتشـدد متبادل وكان الموقـف الامريكي من ايران مرتبكا ،فقد وجـه الرئيس كلينتون رسـالة الـى الكونغرس فـي ١٤ اذار ٢٠٠٠ تقضـي بتمديـد العقوبات المفروضـة على إيران منذ عـام ١٩٩٥ وهي عقوبـات ترمي الى معاقبة الدول التي تسـاعد ايـران علـى تطويـر اسـلحة الدمار الشـامل ،الا انـه فـي الوقـت نفسـه وفـي ١٨ ايار من العام نفسـه قامت وزيرة الخارجيـة الأمريكية (مادليـن اولبرايت)بطـرح مبـادرة لتخفيـف العقوبـات الاقتصادية عن ايران والسـماح لها بتحديـد المنتوجـات غير النفطية مثل السـجاد والفستق والكافيار والفاكهة المجففة الى السوق الامريكية،كمـا وعـدت بالافراج عـن الاموال الايرانيـة المجمدة منذ سـقوط الشـاه في العام ١٩٧٩ والتي قدرت بمليارات الدولارات .[١٩]

لكن التذبذب في العلاقات الايرانية ـ الامريكية بدأ بعد هجمـات ١١/ايلول ٢٠٠١ على مركز التجـارة العالمـي الامريكي ،فقد أخـذت إدارة (بـوش الابـن) علـى عاتقهـا تصويـر النمط الامريكي من الحريـة والديمقراطية الى العالم ومواجهـة محـور الشـر حيـث ذكر مسـؤول الادارة الامريكيـة بان الشـر (يمتد من طهران الى بيونغ بانغ)لتشـن من جانـب واحد حروبا

وقائية لتحقيق هدف اساسي وهو تغيير الانظمة السياسية المعارضة لسياستها.[٢٠]ومن جانبها حاولت ايران بعد احداث ايلول ٢٠٠١ توثيق علاقتها بالولايات المتحدة الامريكية فرحبت الادارة الامريكية بذلك فكثفت حوارا تكتيكيا بدأته ورسخته بشان القضايا الافغانية في اطار ما عرف باسم (٦+٢)في الامم المتحدة مطورة قناة ثنائية مستقلة في جوهرها الا ان الادارة الامريكية لم تكن راغبة في ان يصل مثل هذا الحوار التكتيكي الى مستوى مناقشات استراتيجية حقيقية وفي الوقت نفسه لم تعمد الولايات المتحدة الامريكية الى اتخاذ موقف علني تتبنى فيه رسميا تغيير النظام في ايران[٢١]

كما ابدت ايران مخاوفها تحت مبرر ان السياسة الامريكية لا تقدم لها مقابلا مناسبا في هذا الصدد ،فكان هنالك انقسام داخل ايران فالبراغماتيون دعموا ضمنا وفي مراحل معينة مباشرة الخطط الامريكية الرامية الى اطاحة طالبان وطرد القاعدة من افغانستان وكذلك الرامية الى تحقيق الاستقرار في افغانستان عبر حكومة تمثل كافة اطياف الدولة وطوائفها والتي من شانها حماية حقوق الجماعات العرقية والدينية في افغانستان اما عناصر الحرس الثوري الاسلامي الإيراني فسعت الى اختراق ألوية اللاجئين الافغان التي دربها الحرس الثوري الاسلامي الايراني والمعروفة باسم (صفي محمد)وبناء علاقات وطيدة مع امراء الحرب في البلاد في محاولة للحصول على موطىء قدم فيها والاستعداد لمواجهة الولايات المتحدة الامريكية اذا ما دعت الضرورة لذلك[٢٢]

وقد اتضح تاثير المواقف الايرانية الداخلية المتناقضة على السياسة الامريكية من خلال مشهدين: [٢٣]

١ـ من خلال المؤتمر الذي عقد في بون بالمانيا في كانون الاول ٢٠٠١ حين بادر مسوؤلون امريكان وايرانيون الى مناقشة سبل بناء حكومة افغانية في حقبة ما بعد طالبان .

٢ـ تبين بعد شهر حين وضع الرئيس بوش ايران ضمن محور الشر وذلك في خطاب حال الامة لسنة ٢٠٠٢.

اما استراتيجية الامن القومي الامريكية التي انطلقت عام ٢٠٠٢ من فرضية اساسية وهي (ان تحديات قاتلة جديدة برزت من دول مارقة ومن ارهابيين وهي قد لا تنافس القوة التدميرية للاتحاد السوفيتي ،لكن السوفيت اعتبروا اسلحة الدمار الشامل بانها اسلحة الملاذ الاخير بينما لا يعتبره هولاء الاعداء الجدد ،فهم قد اوجدوا مناخا اكثر تعقيدا وخطورة على الامن القومي نظرا الى تصميمهم على الحصول على قوى تدميرية حتى اللحظة الا للدول الاقوى في العالم والاحتمال الاكبر انهم يستخدمون اسلحة الدمار الشامل ضدنا)وقد تطلب الامر منا عقدا لندرك الطبيعة الحقيقية لهذا التهديد الجديد ،اما وقد اتضح الامر الا انه (لم يعد بوسع الولايات المتحدة الاعتماد وحسب على الوضعية التفاعلية كما فعلنا في الماضي وهو خيار لا يسمح به العجز عن ردع المهاجم المحتمل وفورية التهديدات الراهنة وحجم الضرر الممكن يمكن ان يتسبب به اختيار اعدائنا للسلاح ،لا يمكننا السماح لاعدائنا بتوجيه الضربة الاولى .[٢٤]كما اتهمت ايران من قبل محكمة ارجنتينية مطلع عام ٢٠٠٢ بان ايران كانت وراء تفجيرات عام ١٩٩٤ ليس ضد السفارة الاسرائيلية

فـي العاصمة (بونيس ايريس)فحسـب بل ضد جمعية يهودية وهي التفجيرات التي ادت بحياة عدد من المدنيين .[٢٥]

وهكـذا نجد ان عدم الاسـتقرار الذي سـاد العلاقـات الايرانية ـ الامريكية ارتبط بسياسـة الزعمـاء الامريـكان فالرئيس دونالـد ريجان حاول فتح حواراً دبلوماسياً مع ايران بعد معاناة ازمة الرهائـن الامريكية إذ تم احتجاز رهائنها في لبنان ،كما فشلت المحاولات بسبب فضيحة (إيران كونتـرا) أما إدارة بوش الأب فلم تكلف نفسها لاستكشاف فرص علاقة نشطة مع ايران بينما إدارة بيل كلنتون فتبنت سياسـة (الاحتواء المـزدوج إذ وضعت ايران على قدم المسـاواة مـع العراق بعد انتهاء حرب الخليج الاولى .[٢٦] لذلـك اتجهت الولايات المتحـدة باتجاه الضغط على ايران من خلال :

١ـ الضغط على شـركاء ايران لغرض ايقاف التعاون النووي بينهم ولاسـيما الدول التي تقدم الدعم للبرنامج النووي الإيراني .

٢ـ الضغـط على الوكالة الدولية للطاقة الذرية المعنيـة للمراقبـة والتفتيـش بشـأن الانشـطة النووية.

لهذا وجهـت الوكالة الدولية للطاقـة اتهاماتها ضد ايران متمثلة بثلاث نقاط اهمها:

١ـ ان ايران لم تراع الشـفافية المطلوبة بشـان الكشف عن كل انشطتها النووية .

٢ـ اعـلان البرادعـي مديـر الوكالـة الدولية للطاقة الذرية عن قيام ايران بشراء مواد نووية من السوق السوداء .

٣ـ كان بشـان بقايا اليورانيوم المشـع الذي تم العثور عليـه في بعض العينات التي اخذت من منشأة نووية .

المبحث الثاني :العلاقات الايرانية ـ الامريكية في ضوء ازمة الملف النووي بعد عام ٢٠٠٣:

في أثناء مقابلة مع شبكة التلفزيون الامريكي فـي ايـار ١٩٩٥ مع الرئيس الايراني السـابق (هاشمي رفسـنجاني) فقد أكد ان بلاده لا تملك سلاحا نوويا ولا تسعى للحصول عليه وتطويره بالمقابـل ردت الخارجيـة الامريكية من خلال وزير خارجيتها السـابق (وارين كريسـتوفر) علـى ان واشـنطن لديها معلومـات كافية تؤكد ان ايـران لديهـا هيكلا وبرنامجـا نوويا منظما ومخصصا لتطوير الاسـلحة النووية منذ اوائل الثمانينـات كمـا اهتمـت ايران بانشـاء اجهزة الطرد المركزي التي تعمل بالغاز لتوفير الوقود اللازم لمحطتي بوشـهر وهو ما ارتبط بسعيها في امتلاك القدرة على تخصيب اليورانيوم وأما فـي اثنـاء الفتـرة ١٩٩٣ ـ ١٩٩٥ فقد حصلت ايـران على ما يكفي لاقامـة ٥٠٠ جهاز حيث تمكنت من انشـاء ١٦٠ جهـازاً منها حتى اذار عـام ٢٠٠٣ واثنـاء الاعـوام ١٩٩٧ـ ٢٠٠٢ استطاعت ان تصنع ذاتيا كل مكونات اليورانيوم وان تختبـر كافة اجهزة الطرد المركزي بنجاح حيث انشـات مصنعا لتخصيـب اليورانيوم في (ناتانـز) والـذي اصبـح مقرا لبرنامـج الطرد المركـزي حتى يتسـنى لها اتمـام دائرة الوقود النووي).[٢٧]ومنذ صيف ٢٠٠٢ كشـفت العديد من التفصيلات عـن البرنامج النووي الايراني سـواء المنشـات النوويـة والتـي كان نصفهـا غير معلوم او نشـاطات ايران النووية السـرية وبحسب اشارات الكثير من المحللين والباحثين والتـي تواصلـت لسـنوات طويلـة والمتعلقـة بتخصيـب اليورانيوم واسـتخلاص البلوتونيوم وتلك التفصيلات كشـفتها اجهزة الاستخبارات

الغربية وحركات المعارضة الايرانية والوكالة الدولية للطاقة الذرية حيث اسهم الكشف في التوصل الى استنتاجين اساسيين حيث تتوافق اراء كثير من المهتمين في هذا المجال عليهما وهما :ان ايران حقا تدير برنامجا نوويا عسكريا بالتوازي والبرنامج المدني الذي يهدف الى تطوير اسلحة نووية وان ايران قطعت شوطا طويلا في طريق الحصول على سلاح نووي[٢٨].

والتساؤل الذي يطرح نفسه ما سر الاصرار الايراني وراء تنفيذ برنامجها النووي؟

بحسب ما يتضح من الواقع او السلوك السياسي لصانع القرار الخارجي الايراني فان اصرار ايران كان يرجع الى سبب مهم وهو ازدياد التهديد الامريكي ،فقد اصبح النظام الايراني يرى بالولايات المتحدة الامريكية وكانها التهديد الاستراتيجي فمن وجهة نظره ان الولايات المتحدة تبذل قصارى جهدها لكبح القوة العسكرية الايرانية والاضرار بانفتاحها الاقتصادي بعزلها سياسيا ووضع تحديات ايدلوجية وثقافية امامها ومن ثم اسقاط النظام الايراني كما اعتقدت ايران ان الولايات المتحدة في سعيها لتحقيق هذه الاهداف قد تتخذ ايضا اجراءات عسكرية ضدها والسيناريو الذي كان امام ايران هو توجيه ضربة للمنشات النووية الايرانية.[٢٩]

وقد جاء تقرير الوكالة الدولية للطاقة الذرية صريحا بشان الاتهامات الامريكية حول تطوير ايران سلاحا نوويا فقد أكدت هذه التقارير على عدم وجود دليل على ان برنامج ايران النووي مخصص لغرض تصنيع اسلحة نووية وقد اكد هذا التصريح مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية في ٢٠ كانون الاول ٢٠٠٤ بان الوكالة لم ترى ابعادا عسكرية لهذا البرنامج وان تخصيب اليورانيوم مسموح به ولكن لابد من مراقبته،[٣٠] فالادارة الامريكية لم تخفي انها اجرت في الماضي تدريبات عسكرية ومناورات عسكرية تتعلق بشن عملية عسكرية ضد ايران ،وقد اعلن مسوؤل في الادارة الامريكية منذ عام ٢٠٠٤ (التزامهم منع ايران من الحصول على اسلحة نووية وان الإدارة تركز حاليا على العملية السياسية لوقف البرنامج النووي الايراني الا انها لا تستبعد كذلك الخيارات الاخرى) .[٣١]الا ان موقف الوكالة الدولية للطاقة لم يبقي حياديا بل أسهمت في ممارسة ضغوطا كثيرة على ايران منذ عام ٢٠٠٣ ،فقامت بارسال مفتشيها بشكل مستمر لتفقد المواقع المعروفة كما قامت بنشر تقارير كل ثلاثة اشهر عن وضع نشاطات ايران النووية ،لكن الوكالة امتنعت عن تاكيد ان ايران تسعى لامتلاك سلاح نووي ،لكن موقفها تغير في ايلول ٢٠٠٥ عندما خلص مجلس محافظي الوكالة الى ان ايران لا تفي بتعهداتها في اطار منع انتشار الاسلحة النووية لذلك قرر المجلس نقل ملف برنامج ايران النووي الى مجلس الامن التابع للامم المتحدة ولكن من دون ان يحدد موعدا له وكان الجديد ايضا في هذه المسالة انه في تشرين الثاني ٢٠٠٥ عندما اكد رئيس الوكالة الدولية للطاقة الذرية (محمد البرداعي) أول مرة عن امكانية توصل ايران الى السلاح النووي اذا واصلت تخصيب اليورانيوم وعلى اساس تلك الخلفية قرر مجلس محافظي الوكالة في شباط ٢٠٠٦ باغلبية كبيرة احالة الملف النووي الايراني الى مجلس الامن ومنذ ذلك الحين فان الملف يعالج ضمن اطار المجلس الدولي.[٣٢]

وهـذا التصـرف للوكالة جاء بعـد عقد ايران اتفاقيتين وافقت عليها لتعليق نشاطاتها :الاولى كانـت فـي تشـرين الاول ٢٠٠٣ والثانيـة في تشـرين الثانـي ٢٠٠٤ الا انهـا اوضحت منذ البدايـة انهـا لا تعتـزم التخلي عـن برنامجها النـووي وعن حقها في بنـاء دورة وقود نووية كاملـة وانها سـتعود الى تخصيـب اليورانيوم اذا لـم يتم التوصل الى اتفاق شـامل بينها وبين حكومات الترويكا الاوربية.[٣٣]

وبعـد ان فرضـت العقوبـات الاقتصاديـة على ايـران عام ٢٠٠٥ لم يكن لديها اسـتعداد لقبول الشـرط الخاص بوقف انشـطة تخصيب اليورانيوم على اراضيها وهذا قادها الى القبول بالاتفاق المرحلي الذي تم التوصل اليه واعترف ضمنيا بحق ايران في تخصيب اليورانيوم حتى نسـبة ٥٪فقط كما ونص على تخفيف مخزونها مـن اليورانيـوم المخصـب بنسـبة تقترب من ٢٠٪لمـا دون ٥٪او تحويلـه الـى صـورة لا تناسـب اي عمليات تخصيب اخرى كما قضي بعـدم تركيب اي اجهزة طـرد مركزي اضافية من اي نوع او اسـتخدام اي اجهزة الجيل التالي للطرد المركـزي لتخصيب اليورانيوم وتعطيل نحـو نصف اجهزة الطرد في (منشـاة فوردو) كمـا نص على عدم تحقيـق اي تقدم في مفاعل اراك وذلـك مقابل رفع جزئي لبعض العقوبات الدوليـة المفروضـة علـى ايـران .[٣٤]حتى ان المديـر العام السـابق للوكالـة الدوليـة للطاقة الذريـة الدكتور (محمـد البرادعي)صرح عام ٢٠٠٥ (بانه سـيكون من الصعب التوصل الى تسـوية مع ايران من دون السماح لها بتخصيب اليورانيوم بشكل محدود وفي المقابل فان ايران سـتكون مضطرة للقبول بنظام صارم للتفتيش والمراقبة المستمرة على نحو يجعل اي محاولة لصنع قنبلة نووية تسـتغرق وقتا اطول بدرجة تكفـي لرصدهـا ووقفها.[٣٥].وتلـك الاتفاقات لم تستمر سـوى أيام فاعلنت ايران إيقاف التعليق واسـتئناف نشـاطها وفي كانون الثاني ٢٠٠٦ اتخـذت ايـران خطـوات للرد علـى الضغوط الممارسـة ضدها فقامت بازالة وسائل المراقبة التي وضعتها الرقابة الدولية والعودة الى نشاط تخصيـب اليورانيـوم ملمحـة الى انها توشـك الغاء عضويتها في معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية حتى ارتفعت وتيرة تلك النشـاطات في نيسان ٢٠٠٦ .[٣٦]

لكن امريكا من جانبها ظلت على اصرارها بعدم التنازل وتفعيل الضغط الدولي المتواصل علـى ايـران لوقـف سـعيها لامتـلاك وانتاج السـلاح النووي مع مواصلة التهديد الامريكي بشن عمليات عسـكرية ،ففي ٢٣ كانون الاول ٢٠٠٦ فـرض مجلـس الامن الدولـي بموجب قـراره المرقم ١٧٣٧ أول مـرة عقوبات على ايران بسـبب نشـاطاتها النووية المشكوك فيها والعقوبـات اشـتملت على (فـرض حظر على ابرام صفقات مع ايران تشـتمل على معلومات وتكنولوجيا وعتاد ومواد يمكن اسـتخدامها في برامـج ايـران النوويـة والصاروخيـة وحظر امدادها بتلـك المكونات وكذلـك تجميد اصول لافـراد ومنظمـات علـى صلـة بالبرنامجيين النـووي والصاروخي الايراني ،كما نص على ان مجلس الامن سـيدرس في غضون ٦٠ يوما فرض عقوبات اضافيـة اذا اتضح ان ايران لا تستجيب لمطالبه .[٣٧]

وعلى هذا الأسـاس أصبحت إيران تمتلك برامج نووية سـلمية تتمثل في امتلاك محطات

نووية لإنتاج الكهرباء فضلاً عن امتلاك دورة وقـود نووي كاملة وكذلك امتلاكها اكبر مفاعل من حيث القدرة (١٠٠٠)ميجاوات وهو الأول في المنطقـة كمفاعـل لتوليـد الكهرباء.[٣٨]كما واصلت ايران نصب اجهـزة الطرد المركزي ومنها في (نطنز) سـواء في منشاة التجارب او المنشـاة الكبرى واعلنت مصادر ايرانية حينها بانهـا تعتزم نصب ٣٠٠٠ جهاز طرد مركزي لتخصيب اليورانيوم وتشـغيلها في اذار ٢٠٠٧ مـع العلم انهـا افتتحت فـي اب ٢٠٠٦ مصنعا لانتـاج الميـاه الثقيلـة ،الامر الـذي كان يعني انها سـعت لأجـل الحصول على قـدرة نووية باستخلاص البلوتونيوم.[٣٩]

اما خـلال فتـرة انتخابات (احمـد نجادي) الثانيـة والتـي مرت بهـا ايـران فكانت صعبة جـدا فواجهـت نوعا مـن المشـكلات الداخلية والتـي لـم تخفَ عـن العالم حتـى ان الولايات المتحدة الامريكية وصفتها بمشـكلة مشروعية النظام السياسـيمن خلال التصريح الذي أعلنته وزيرة الخارجيـة الامريكية (هيلاري كلنتون) بالقـول (ان العالـم الخارجي المنتقـد لما حدث في ايـران بعـد الانتخابات لا يبـدو ان مواقفه سـتتغير مـن ايـران)..[٤٠] كمـا ان الولايـات المتحـدة الامريكيـة وضعـت ايران فـي خانة الـدول الداعمة للارهـاب ولاسـيما ان حادث اسر الدبلوماسيين الامريكين عام ١٩٧٩ وإلقاء القبـض على البحـارة البريطانيين عام ٢٠٠٧ كانا لا يزالان ماثلان أمامها،فالرؤيا الامريكية للتفاهـم مع إيران انطلقت مـن موقف القوة في التفـاوض وليـس موقـف الخنوع.[٤١]كمـا كان هنالك مؤشـراً آخر هو التغيير الذي تم في طاقم التفاوض للبرنامج النووي الايراني في استقالة (علي لاريجاني)كبيـر المفاوضين والذي عينه (احمد نجادي) وذلك في تشـرين الاول ٢٠٠٧ وتعيين شـخصية اخرى مكانه وكان ذلك يشير الـى وجـود اختلاف فـي طريقـة ادارة الملف النووي او التعامل معه[٤٢]

فقد تعاملت ايران مع الملف النووي بشـكل جديـد وذلك حيـن اعلن المدير السـابق للوكالة الدوليـة (محمـد البرادعي)مبادرة الاسـتبدال باليورانيوم الايرانـي المنخفض التخصيب (٥ ،٣٪) يورانيـوم مخصب ٢٠٪ عن طريق نقله الى روسـيا بتخصيبه وارجاعـه الى ايران اي اسـتبدال ايران ٧٠٪ من هـذا اليورانيوم وهو الامـر الذي اعتبـره الكثيـرون انجـازا يمكن ان يسـاعد علـى المضي فـي المفاوضات بين ايران ومجموعة (٥+١)والمتضمنة (الولايات المتحدة الامريكية وروسـيا الاتحادية وفرنسـا وبريطانيا والصين)فضلاً عن المانيا.[٤٣]وحين جـاء الرئيـس الامريكي(الرابـع والاربعين) (بـاراك اوباما) الى رئاسـة الولايـات المتحدة الامريكيـة كان يحمـل نظرة تفاؤليـة بامكانية حصـول حـوار بيـن طهـران وواشـنطن في ظل دعوتـه لحوار غير مشـروط بين طهران وواشـنطن ،حتـى اتهمـت طهـران للولايات المتحـدة الامريكية بحادث الانفجار الذي حدث بمسجد للشيعة بمنطقة (زاهدان ـ جنوب ايران) حيـث نفى البيـت الابيض اي تـورط للولايات المتحدة الامريكية بهذا الحادث.[٤٤]

ولقد أشـارت العديد مـن التحليلات الى ان ايـران لـو تواصلت فـي نشـاطاتها لتخصيب اليورانيـوم بوتيرة متسـارعة خلال السـنوات الاولـى من رئاسـة اوباما للسـلطة ،فان ايران ربما تكون قد اختزنت احتياطيات من اليورانيوم المنخفض التخصيب ما يكفي لانتاج مواد نووية

صالحة لتصنيع قنبلة نووية واحدة على اقل تقدير ولو امتلكت سوف ترغم جميع جاراتها ومعها الولايات المتحدة الامريكية على اعادة صوغ حساباتها الامنية.[٤٥] ومحللين اخرون توصلوا الى ان صوغ مبادرة امريكية حيال ايران يعد مهمة شديدة التعقيد وليست السبب مقصور على السلسلة الطويلة من المصالح ذات الصلة بهذا الشان لاسيما وان ايران ترى في الولايات المتحدة الامريكية الشيطان الاكبر ـ فالمبادرة التي تحدثت عنها ادارة اوباما كان يجب ان تستهدف الى عقد مفاوضات امريكية ـ ايرانية تركز على جعل ايران طرفا في نظام اقليمي جديد وعلى اقناعها بالتعامل وجاراتها بشكل مسؤول ولها ان تعزز نفوذها في المنطقة.[٤٦]

ان وقف انشطة التخصيب لما فوق نسبة ٥٪ لم يعد خسارة لايران او انتصارا للغرب ،فالمتخصصون في هذا المجال يشيرون الى انه اذا كان الغرض من اليورانيوم المخصب يورانيوم ٢٣٥ هو انتاج السلاح النووي فان نسبة التخصيب يجب ان لا يتجاوز ٢٠٪ثم ترتفع تلك النسبة حتى لا تناهز ال ٩٣٪للحصول على اليورانيوم عالي التخصيب لان اصعب المراحل واطولها هي التي تبلغ نسبة التخصيب فيها ٥٪اما المضي فوق ذلك فاسهل نسبيا ،وهنا يتبين لنا الفرق بين الادارتين (جورج بوش الابن وباراك اوباما) في التعامل مع الملف النووي الايراني فالاولى وضعت الوقف الكامل كشرط لبدء المفاوضات مع ايران اما الثانية فحولت هذا الشرط كهدف للمفاوضات مع ايران.

المبحث الثالث:العلاقات الايرانية ـ الامريكية في ضوء اتفاقات الملف النووي

بعد عام ٢٠١١ : (رؤية مستقبلية)

لقد كان هنالك تصوراً لدى صانع القرار السياسي الداخلي الايراني بان فرض عقوبات اقتصادية على ايران سيوقف برنامجها النووي لا نه لا يمكن الالتفاف عليها او ايجاد بدائل لحظر العلاقات الاقتصادية بايران ،وقد ارتبطت تلك الرؤية الايرانية بالمصالح الاوربية والغربية ولاسيما وان تلك الدول كانت ترى بان امتلاك ايران للبرنامج النووي قد لا يؤدي الى امتلاكها سلاحا نوويا ولا تشكل اي تهديد خطير على مصالحها مقارنة بالخسائر الاقتصادية الملحوظة من جانبها اثر فرض العقوبات.

ان اصرار ايران على تخصيب اليورانيوم ولاسيما بعد عام ٢٠٠٣ اثار العديد من الشكوك الدولية فعلى الرغم من توقيع ايران على معاهدة منع الانتشار النووي عام ١٩٧٠ الا انه في الوقت نفسه توجد هنالك إمكانية إجراء الدولة الراغبة في ممارسة الاثراء التنظيري باستخدام التقنية التي تراها مناسبة ،لكن الوضع اختلف بالنسبة لايران لان المواد التي تستخدمها قابلة للانشطار النووي والذي يؤدي الى فرض الرقابة على انتاج هذه المادة واستعمالها ضمن ما يعرف بنظام الضمانات الشاملة.

كما ارتبطت تطورات الملف النووي الايراني بالحقب الرئاسية الايرانية وبحسب توجهاتهم وسياساتهم تجاه الولايات المتحدة الامريكية ،فلقد بدأ الرئيس احمد نجادي رئاسته الأولى(للعام ١٩٩٧ ـ ٢٠٠٥) متحديا الغرب

واتضح من خلال قراره بوقف العمل بقرار الرئيس الذي سبقه (محمد خاتمي) والقاضي بوقف تخصيب اليورانيوم لفترة واعادة العمل بالتخصيب وبكثافة اكبر ثم زادت ايران في ظل رئاسته من اجهزة الطرد المركزي حتى وصلت الى أكثر من ٥٠٠٠ جهاز طرد وقد تواصلت التاكيدات الايرانية حول إنتاج نوع جديد أكثر تقدما من أجهزة الطرد مع حلول عام ٢٠١١ هذه التطورات دفعت باتجاه فرض اربع حزم من العقوبات الاقتصادية على ايران وذلك بموجب قرارات مجلس الأمن التالية:١٦٩٦ و١٧٣٧و١٧٤٧ و١٨٣٥) .[٤٧]

اما التحول المهم فبدأ مع انتخاب الشيخ (حسن روحاني)رئيسا لإيران في حزيران ٢٠١٣ ففي الوقت الذي تفاقمت فيه العقوبات وشكلت بدورها تهديدا لا يمكن التقليل من أهميته لأمن إيران الاقتصادي والاجتماعي قدمت ايران بعد الانتخابات نموذجا لخطاب معتدل يبحث عن الحوار والدبلوماسية لحل المشكلات مع العالم ومع دول الجوار ،فقد اعتبر (حسن روحاني) ان حل ازمة الملف النووي الايراني مع الغرب يمكن ان ترفع التهديد الاقتصادي والاجتماعي عن ايران [٤٨]في الوقت نفسه عدم وضوح الخطوط لدى الجانبين ،حيث بدأ كل طرف يرسل الى الطرف الاخر اشارات مختلفة والتي قد تبنى عليها نتائج او حسابات خاطئة خلال مرحلة التفاوض ،فتصريح اوباما (بان امتلاك ايران لسلاحا نوويا هو خط احمر بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية وربما يوحي لايران بان التقدم النووي حتى هذا المستوى سيكون مقبولا لدى واشنطن).[٤٩]

لكن الاتفاق الذي توصلت اليه ايران مع مجموعة ٥+١ في ٢٠١٣/١١/٢٤ مثل نقطة تحول جوهرية في مسار المفاوضات المتعلقة بالبرنامج النووي الايراني - والتي وضعت بعض المؤشرات الايجابية لانتهاء الازمة والتي تجاوزت عقدا كاملا بين ايران والغرب وقد ارجع عدد من المحللين الى ان اسباب النجاح يمكن ان يقف وراءها عاملين : [٥٠]

١- تاثير العقوبات الدولية على الاقتصاد الايراني ولاسيما منذ فرضت عقوبات نوعية شديدة التأثير على صادرات ايران النفطية والمعاملات التي تشمل مصرفها المركزي في عام ٢٠١٢ فادت الى انخفاض كبير في صادارات ايران النفطية والتي تعتمد عليها بنسبة ٧٠٪ من ميزانيتها ،كما اسهمت في هبوط لافت في قيمة العملة الايرانية .

٢- البيئة الاقليمية المحيطة بايران ولاسيما ما تعلق بمستقبل نظام الرئيس بشار الاسد والتي أثرت بشكل غير مباشر على مكانة ايران الاقليمية والتي أدت بالتالي الى قبول إيران بتهدئة وتيرة التصعيد مع الغرب فيما يتعلق ببرنامجها النووي .

وقد دخل الاتفاق النووي المرحلي بين ايران ومجموعة ٥+١ حيز التنفيذ في ٢٠١٤/١/٢٠. لكن ما بقي متارجحاً في الحل هو المسألة الخاصة بالبرنامج الباليستي الإيراني فالرؤوس النووية تكون عديمة الجدوى من دون وجود وسيلة لحملها ،وهذه النقطة حملت نوعا من التعقيد وبحسب تصريح لمساعدة وزير الخارجية الامريكية (ويندي شيرمان)والتي قادت الوفد الامريكي المفاوض والتي أعلنت في ٢٠ شباط ٢٠١٤ (بانه يجب بحث مسألة البرنامج الباليستي الإيراني خلال المفاوضات

النهائيــة حــول الملف النــووي الايرانــي) اما المتحدث باســم مجلس الأمن القومي الامريكي (بيرناديــت ميهان)(بانه يتعيــن على إيران ان تطبــق قرار مجلس الأمــن ١٩٢٩ الذي يحظر كل الانشــطة المتعلقــة بالصواريخ الباليســتية القادرة على حمل أسلحة نووية).[٥١]

امــا الموقــف الايرانــي فاكده نائــب وزير الخارجيــة الايراني كبيــر المفاوضين (عباس عراقجي)ان ايران لن تناقش برنامج الصواريخ الباليستية مع الولايات المتحدة الامريكية خلال جولات المحادثات النووية ـ مضيفا (ان المسائل المتعلقــة بالشــوؤن الدفاعيــة لجمهورية ايران الاســلامية غير قابلة للتفاوض ولن تســمح باي حال من الاحوال ان يتم التفاوض على المسائل التي لا تتعلق بالبرنامج النووي) ،بل ان وزير الدفاع الايراني (حســين دهقــان) كان قد اعلن في ١٠/شباط ٢٠١٤ عن اختيار جيل جديد من الصواريخ الباليستية بعيدة المدى من خصائصه ـ وحسبما اعلن (عدم رصده من قبل المنظومات المضــادة للصواريخ ـ وقدرته التدميرية الهائلة وتدميــره لعدة اهداف فــي آن واحد).[٥٢] الا ان تصريحات كلا الطرفين الايراني ـ الامريكي لم تهدأ بل استمرت ،فالولايات المتحدة الامريكية اصــدرت تصريحا (بــان المحادثات بين ايران والقوى العالمية حــول اتفاق طويل الاجل يلزم ايــران بتنفيــذ برنامجهــا النــووي ويرفع عنها العقوبــات الدوليــة ســتكون طويلة وشــاقة ولا يوجــد ما يضمــن نجاحهــا ـ وان كل الخيارات مطروحــة للتعامل مــع ايران بما فيهــا الخيار العســكري.[٥٣] اما ايــران فانهــا بالمقابل ردت (بــان المفاوضات ســوف لا تؤدي الــى نتيجة بحســب ما جاء على لســان (المرشــد الاعلى ـ علي خامنئي) قبل اســتئناف الجولة الاولى من محادثــات الحــل النهائي بيوم واحد ١٧ شــباط ٢٠١٤ وتصريحــات اخرى افــادت بان ايران ســوف لا تلتــزم بتعطيــل اي اجهــزة للطــرد المركــزي كما نص الاتفاق والاعلان عن جيل جديد لاجهزة الطــرد المركزي تبلغ قدرته ١٥ ضعفا قياســا بالجيل الاول ،فضلا عن ما اعلنه الســفير الايرانــي في روســيا (مهدي ســناتي) في ١٧ شــباط ٢٠١٤ (بان ايران تتفاوض مع روســيا لبناء مفاعــل نووي جديــد مقابل النفط فــي اطار اتفاق بين البلدين.[٥٤]لكن بقي الخلاف حول منشاة تخصيب اليورانيوم المقامة ـ عميقا تحــت الارض فــي فــوردو لحمايتهــا مــن اي ضربات جوية محتملة .

وبعــد ٢٢ شــهرا مــن الاتصــالات والمفاوضــات بيــن مجموعــة ٥+١ وايــران للتوصل الــى اتفاق حول برنامج ايران النووي والذي اثار الشكوك وتخوفات الولايات المتحدة الامريكيــة وحلفائها من امتلاك ايران للســلاح النووي والتي بلغت ذروتها بالتوصل الى اتفاق اطاري في لوزان فــي اذار ٢٠١٥ والذي أثار جدالات واســعة خاصة داخل الولايات المتحدة الامريكية [٥٥]حتى جاء اتفاق ٢ نيســان ٢٠١٥ والــذي اطلــق عليه اتفاق (الاطــار العام لخطة عمل شاملة ومشتركة كمسودة لصياغة الاتفاق النهائي) وكان اوباما قد اعلن من واشنطن ففي ١٥ حزيران بانــه تم التوصل الى اتفاق وصفه بالتاريخي وكرر ما قاله عقب اتفاق لوزان على ماذا يحتوي برنامج ايران النووي ويمنع ايران مــن ان تقف على اعتاب امتلاك ســلاح نووي ،كمــا كــرر ان الاتفاق ســوف يجعــل المنطقة والعالم اكثر امنا.[٥٦]

وقــد صرح (محمــد جواد ظريــف)وزير

الخارجيــة الايراني وهو يتحدث بعد الســاعات الحرجــة والتــي اعقبت ٣٠ حزيــران ٢٠١٥ واحتــدام المفاوضات على مدى اســبوع حيث قــال (ان ايــران مســتعدة لابــرام اتفــاق جديد ومتوازن وفتح افاق جديدة للتعامل مع التحديات المهمة المشتركة محددا تلك التحديات في النمو والانتشار السريع لنزعة التطرف العنيفة .[٥٧]

حتــى تم الاعــلان عن الاتفــاق النهائي في مقــر الوكالة الدولية للامم المتحدة بفيينا في ١٤ تموز ٢٠١٥ والمفترض ان يخضع هذا الاتفاق لموافقــات لاحقة من هيئات سياســية وبرلمانية خاصــة في الولايات المتحــدة الامريكية والتي كان يفترض ان تســتغرق لفتــرة اقصاها ثلاثة اشــهر ،فالاتفــاق النهائي جاء مكتوبــا تفصيليا فــي وثيقة باللغــة الانكليزية مــن ١٥٩ صفحة متضمنا خمســة ملاحق منفصلة وعدة مرفقات خاصة متعلقة بتفاصيل رفع العقوبات وتفاصيل اخــرى دقيقــة وكاملــة وربمــا هنالــك ملاحق ســرية خاصة باســلوب التفتيش علــى الاماكن العســكرية ولقاء العلمــاء ورغم ان تصريحات كل طــرف عما يــراه في الاتفــاق النهائي يبدو احيانا متناقضا فــان كل طرف باجهزة اعلامه ركــز في تصريحاته على الجوانب الايجابية له وتغاضى عن الجوانب السلبية.[٥٨]

والتساؤل الذي يطرح نفســه بعد اتمام الاتفاق ما هي مكاسب ايران من الاتفاق؟

لقد حققت ايران نتائج ايجابية تمثلت في [٥٩] :

١ـ الاعتــراف بايــران كقوة نوويــة اقليمية وشــرعنة البرنامج النووي الايراني مع ابطائه بقيود تقنية ورقابية لمدة عشــرة اعوام وبعد ان كان الهدف تفكيكه قدم الطرفان خلال ١٦ جولة اســتمرت على مدى ١٨ شــهرا تنازلات تقنية وسياسية في قضية آلات التخصيب.

٢ـ قدمــت ايــران في اتفــاق الاطــار تعهدات واضحة بخفض عدد الات الطرد المركزي من ١٩ ألــف طاردة مركزية الى ســتة الاف ومنها (٥٠٦٠) يحق لها العمل وكانت ايران قد بدأت برنامجهــا ب ٣٠٠ طــاردة مركزيــة في العام ٢٠٠٣ على النمط الباكستاني .

٣ـ فــي الاتفــاق حصلت ايران علــى اعتراف واضــح بحقها بالتخصيب بنســبة ٣،٥ ٪ وهي نســبة كافية جدا للابقاء علــى البرنامج النووي وهو مكســب كبيــر لبلد يملك مناجــم كبيرة من اليورانيوم .

٤ـ ســتخفض ايران مخزونها مــن اليورانيوم المخصب بنسب ٣،٥ ٪ والبالغ حيالياً ما يقارب عشرة اطنان ليصل الى ٣٠٠ كيلو غرام وارفق هذا البنــد ببند آخر مهم جــداً بنظر الامريكيين وهو الــزام ايران بمهلة عــام قبل خروجها من المعاهدة اذا ما قررت ذلك .

٥ـ اما فيما يخص مفاعــل اراك العامل بالمياه الثقيلة وهي تكنولوجيا متطورة جدا فقد حرصت ايران علــى ابقائها بمتناولهــم ونجحوا في منع تفكيكها ووقف تطويرها لكنهم سيقومون بتفكيك قلــب المفاعــل واعــادة تصميــم مفاعــل جديد بالتعاون مع مجموعــة ٥+١ لا ينتج بلوتونيوم لاستخدام عســكري وان اي منشاة تعمل بالمياه الثقيلــة لا تهدف لانتاج البلوتونيــوم في النهاية وهــي مرحلة متقدمة جدا فــي البرنامج النووي الايراني .

امــا بالنســبة للمكاســب الإيرانيــة علــى المستويات الداخلي والخارجي فتمثلت في [٦٠] :

١ـ حفـاظ إيـران على برنامجهـا النووي لان الهدف كان تقييده وليس تفكيكه.

٢ـ اقـرار امريكـي دولـي بانتماء ايـران الى النادي النووي وحقها فـي تخصيب اليورانيوم مع التعهـد بانهاء النظر في نشـاطاتها النووية تحت عنوان منع انتشار الاسلحة النووية .

٣ـ رفع العقوبات واسـترداد الارصدة وجذب الاسـتثمارات الاجنبية مما قد يسهم في تخفيف الاعباء عن كاهل الايرانيين.

٤ـ من المتوقع ان تصبح ايران القوة الرئيسـية في منظمة الاوبك بعد رفع العقوبات عن قطاع النفط.

٥ـ الحصول على الاعتراف الامريكي والدولي بشرعية النظام الايراني.

٦ـ لـم تعد ايران دولـة داعمة للارهاب او من محور الشر.

٧ـ تنصيب ايران قوة اقليمية بارزة في الشرق الاوسط تؤخذ مواقفها ومطالبها بجدية.

حتى وصف (توماس فريدمان) الاتفاق النووي الايرانـي ـ الغربـي بكونه زلزالاً اسـتراتيجيا وان تاثيراتـه قد تفوق وقـع اتفاقية كامب ديفيد والثـورة الايرانية معا فـي اعادة ترتيب منطقة الشرق الاوسط .[٦١]

كما ظهرت مدرستين داخل المجتمع الامريكي واثارت جدالات حول الاتفاق :

الاولـى : كانت تـرى ان التوصـل الى اتفاق سـوف يمكن القوى المعتدلة في ايران وسيقوي المجتمع المدني الايراني وسـوف يدفع بالتنمية الاقتصاديـة بمـا يترتب عليه علاقـات تجارية تقوم على الاعتماد المتبادل بين ايران والولايات المتحدة الامريكية والذي سوف يقدم لقادة ايران الدافع لكي يسلكوا منحى مسوؤلا ومعاقبتهم ان لم يفعلوا ذلك.[٦٢]

الثانية : فكانت تتوقع ان حل النزاع سـوف يحرر ايـران فعليا ويمكنها من انتهاج سياسـة خارجيـة اكثر جرأة وطموحـا في المنطقة وان التوصل الى صفقة نووية سـيدعم من دون شك قدرة المناورة لدى الايرانيين وصناع السياسـة فـي طهران بـل ان الصفقـة النوويـة لن تغير الموقف الايراني من قضايا المنطقة .[٦٣]

والتسـاؤل الاخر الذي يطرح نفسـه ما هو مسـتقبل الاتفاق لاسـيما بعد الادارة الامريكية الجديدة؟ هنالك مشهدين واللذان سيعتمدان على سـلوك صانع القرار السياسـي الخارجي اتجاه هذا الملف هما:

الاول :هـو مدى التزام ايران بالمواد الفنية في الاتفـاق خاصة التفتيش على المنشـات النووية الايرانيـة وكذلـك التزامهـا بالمسـتويات التي حددها الاتفاق لاجهزة الطرد المركز (٦ الاف) ونسبة تخصيب اليورانيوم ٣٪ .

الثاني:فهـو السـلوك الداخلـي للنظـام وهـل سيسـتخدم الامـوال التي سـوف يرفـع الحظر عنها والتي تقدر (١٢٠ مليار دولار) والاموال المتوقعة عن رفع الحظر على تصدير النفط في عملية التنمية ام تستخدم هذه الاموال في تعميق الصراعات .

امـا الجانـب الايرانـي فقـد اشـاد الرئيس روحانـي بالاتفاق ووصفه بانه(نصر سياسـي وفني وقانوني لايران وانه تجاوز ما تخيله لدى انتخابه قبل سنتين مشككا في التزام كامل للغرب

بالصفقة واضاف خروجنا السلمي من قرارات الفصل السابع للامم المتحدة والغاء العقوبات المفروضة على البلاد هو انجاز عظيم كنا بلدا يشكل تهديدا والان نحن بلد يجب توقيع اتفاق معه ـ وانتقد فكرة ان لدينا خيارين امام العالم ام الاستسلام له او هزمه وزاد هذه فكرة غير منطقة هناك طريق ثالث للتعاون البناء مع العالم في اطار المصالح القومية وكرر ان الاتفاق النووي والقرار الذي اصدره مجلس الامن بالتصديق عليه لا يشكلان خطرا على امننا القومي وقوتنا الدفاعية.(٦٤)) اما المرشد الاعلى (خامنئي) فبارك في المحادثات النووية وفي الوقت نفسه تحرك لتبديد اي تكهنات بان الاتفاق سيؤدي الى تقارب أوسع مع الولايات المتحدة الامريكية واضاف (قلنا مرارا اننا لا نتفاوض مع الولايات المتحدة بشان الشؤون الاقليمية والدولية ولا حتى القضايا الثنائية هناك بعض الاستثناءات مثل البرنامج النووي الذي تفاوضنا عليه مع الامريكيين لخدمة مصالحنا).(٦٥).

ولكن هناك من يرى بان هنالك احتمال وامكانية قوية بان تزداد احتمالات النزاع بين الطرفين الايراني والامريكي .

فالجانب الايراني بسبب حصوله على المكاسب من الاتفاق وضع رؤية تفاؤلية لما بعد رفع العقوبات والتي جاءت على لسان وزير الخارجية الايراني جواد الظريف من خلال تصريحه بالقول (ان الاتفاق سوف يفتح افاقا جديدة لمواجهة التحديات المشتركة وهو ما يتطلب رؤى جديدة مركزا على الارهاب والذي عده عدو الحضارة بل ذهب رفسنجاني الى توقع فتح سفارة امريكية في طهران (٦٦).

اما الجانب الامريكي متمثلا بالمرشح دونالد ترامب فاثار جدلا شديدا بشعاراته ومقولاته الصادمة خلال حملته الانتخابية ومنها الغاء الاتفاق النووي مع ايران ـ فقد عارض ترامب الاتفاق النووي مع ايران حيث قال انه قادر على التفاوض على صفقة افضل مؤكدا بانه سيوقف البرنامج النووي الايراني باي وسيلة ضرورية ،في الوقت نفسه كان يؤيد زيادة العقوبات الاقتصادية على ايران لاكثر مما كانت عليه قبل الاتفاق.(٦٧)

اذن تبقى امكانية اثارة التوتر حول هذا الملف من قبل الادارة الجديدة واردة لكن التساؤل الذي يبقى يطرح نفسه ،هل تستطيع الولايات المتحدة الامريكية التخلي عن ايران بسهولة وبالمقابل هل تستطيع ايران مواجهة الولايات المتحدة من جديد بعد ان حصلت على نصرها في الوقت الذي تريد المحافظة فيه على مكانتها كقوة اقليمية مؤثرة في منطقة الشرق الاوسط؟

اما بالنسبة لرؤيانا المستقبلية حول السياسة التي يمكن اتخاذها من قبل الادارة الامريكية الجديدة يمكن تصورها بالشكل التالي :

١ـ لا اعتقد ان الولايات المتحدة الامريكية ترغب بخسارة ايران لما يشكله من قوة اقليمية في المنطقة وعموم الشرق الاوسط .

٢ـ ان ملف الاتفاق النووي وكذلك الاتفاقات الاخرى التي توصلت اليها الادارة السابقة بزعامة اوباما والدول الاوربية الخمسة وايران لا اعتقد بان الولايات المتحدة الامريكية ستقوم بتغيير تلك الاتفاقات ،لان هنالك اطراف اخرى

فـي الاتفـاق ،كمـا ان اوبامـا اكد بانه سـيقوم بتصفية ما تبقى من تواقيع لكل الاتفاقات والتي حددت بامد زمني بثلاثة اشـهر ،اي قبل استلام ترامب بشكل رسمي في كانون الاول ٢٠١٧.

٣ـ ان ايـران لا تريد بالمقابل خسـارة نصرها واثارة ملفات جديدة اخرى فهي ما زالت متهمة بها من قبـل الولايات المتحـدة الامريكية منها (الارهاب ،ملف العراق،لبنان،الخليج).

٤ـ ان انتهاء جدول اتفاق الملف النووي ينتهي الـى عـام ٢٠٢٢ـ ٢٠٢٣ واذا اخلـت ايـران بالشروط سوف يعاد عليها فرض العقوبات من جديد.

٥ـ ان الولايـات المتحـدة الامريكيـة سـتبقى بحاجـة الـى تقوية ودعـم اقتصادها للسـنوات القادمـة ويكـون النفط محـور الاقتصاد والذي تعتمد على ثلثه من منطقة الشرق الاوسط.

٦ـ ان الولايات المتحدة الامريكية سـوف تبقى بحاجة الى كسـب ود ايران من جهة دول اسـيا الوسطى وروسيا على الخصوص.

الخاتمة

اتسـمت طبيعـة العلاقـات الايرانيـة ـ الامريكيـة بحـالات عديدة من الجفـاء والتوتر وصفـاء الاجواء على مدى حقب زمنية متعددة امتدت منذ حقبة السـتينيات من القرن الماضي الان علـى الرغم مـن وصـول الطرفين لنوع مـن اتفاقـات الهدنـة والتـي كانت فـي اغلب الاحيان مؤقتة بسـبب عدم قناعة كلا الطرفين بسلطة الطرف الاخر على المستويين الاقليمي والدولي .

لقـد اسـتمر اختـلاف وجهات النظـر بين الطرفين ولاسـيما فيما يخص الجانب السياسي والتكنولوجـي ،فالولايات المتحـدة الامريكية حاول ردع ايران وبوسـائل عديدة منها فرض العقوبـات واصدار قرارات المنـع من امتلاك القـوة النووية للاغـراض السـلمية متخذة من هيمنتهـا علـى مجلس الامـن والامـم المتحدة كوسـيلة ضاغطة باتجـاه الحد من قـوة ايران وبالتالي تاثيرها في المجالين الاقليمي والدولي

مـن ابـرز واهـم الخلافـات التـي نشـات واسـتمرت كان الملف النـووي الايراني حيث اسـتمر علـى مدى حقـب زمنية متعـددة ونال الكثيـر مـن الجهـد من قبـل الطرفيـن ضمن حقب رئاسـية ايرانية وامريكية متعددة ،الا ان الجانب الايراني ظل متمسكا في حقه بتخصيب وانتـاج اليورانيوم والاسـتفادة منه للاغراض التكنولوجيـة على الرغم من الرفض الامريكي لكافة المشاريع الايرانية .

الا ان ايـران وعن طريق الـدول الاوربية ومجلس الامن مـن الحصول علـى الموافقات الرسـمية بالابقـاء علـى مـا لديها مـن اجهزة ومصانع ولكن حددت بشروط وفق اتفاق تموز ٢٠١٥.

الهوامش

١ـ عـزت عبد الواحد سـيد ،البرنامج النـووي الايراني بيـن الصعود وتهديد الامن الخليجي :سـيناريوهات مفتوحـة ،موقع انترنيت ،محيط ،مركز الدراسـات السياسية والاستراتيجية ١٧/شباط ٢٠١٣.

٢ـ فاطمة غلمان ،النظام النـووي والكيل بمكيالين،مجلة المسـتقبل العربيبيـروت ،مركـز دراسـات الوحدة العربيـة ،العـدد ٣٥٧ في تشـرين الثاني ،٢٠٠٨ ، ص١٠٧.

٣ـ عـزت عبد الواحد سـيد ،البرنامج النـووي الايراني ،مصدر سبق ذكره،انترنيت.

٤ـ فلينـت ليفيريت، العلاقات الامريكية ـ الايرانية نظرة الـى الوراء ـ نظـرة الى الامام،سلسـلة محاضرات الامـارات ١١١ ،مركـز الامـارات للدراسـات والبحوث الاستراتيجية،بدون سنة،ص٦.

٥ـ د.ظافـر ناظم سـلمان،ايران والولايـات المتحدة بعد حرب الخليج دراسة في خيارات السياسة الخارجية الايرانية ،مجلة دراسـات دولية ،مركز الدراسـات الدولية،جامعة بغداد،ملحـق العدد ١١ كانون الثاني ٢٠٠١،صص٩٧.

٦ـ المصدر السابق نفسه ،ص١٠٢.

٧ـ عمـرو ثابت،الاحتواء المـزدوج وما وراءه :تأملات في الفكر الاسـتراتيجي الامريكي ،دراسات عالمية ،مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ،ابو ظبي العدد ٤١ ،ط١ ٢٠٠١ ص٤٤.

٨ـ د.حسـين حافـظ وهيـب ،الطموح النـووي الايراني ومسـتقبل الامن الاقليمي فـي منطقة الخليج العربي ،دوريـة اوراق دوليـة ،مركـز الدراسـات الدولية ،جامعة بغداد ،العدد ١٦١ كانون الثاني /٢٠٠٨ .

* لابد من ان التنظير الى استخدام القدرة النووية بالنسبة لايـران فهو يعني امكانية اسـتخدام القـدرة النووية لاغراض عسـكرية اي التسـلح النووي والذي ادى الـى فـرض الرقابة الدوليـة على نشـاطها النووي فالحصـول علـى مادتـي البلوتونيـوم واليورانيوم اصعب مرحلة في صنع القنبلة النووية ،فالبلوتونيوم يمكـن الحصـول عليـه بقـذف وقـود الروانيـوم بالنيترونـات داخل المفاعل النووي امـا اليورانيوم المخصـب فيتـم الحصول عليهـا بعمليـة صناعية يكشـف بموجبها نظير اليورانيـوم (٢٣٥) حيث ان نسـبة التخصيب المطلوب للانفجـار النووي تصل الـى ٩٠٪ وبعد فترة من وضـع اليورانيوم (٢٣٨) في مفاعل نووي تسـبب الاشعاعات القوية في تقبله لجسـيمات اضافيـة فيتحـول الكثير مـن ذراته الى البوتونيـوم (٢٣٩) اللازمـة لصنع القنبلـة النووية ينظـر :اثمار كاظـم ،الازمة النوويـة الايرانية بين الضربـة الامريكية والدبلوماسـية الاوربية ،دورية اوراق دولية ،مركز الدراسات الدولية ،جامعة بغداد ،العدد ١٠١ تموز ٢٠٠٦ ،ص١٧.

٩ـ طـلال عتريسـي،امن ايـران الاقليمـي :التهديـدات والفرص ،مجلة الغدير ،بيروت ،العدد ٦٤ ،خريف ٢٠١٣،ص٦٨.

١٠ـ افرايـم كام ايـران النووية:الانعكاسـات وطرائـق العمل (وجهة نظر اسـرائيلية)ترجمة ثروت محمد محسن ،دراسات عالمية ،مركز الامارات للدرسات والبحـوث الاسـتراتيجية ،العـدد ٦٩ ط١، ٢٠٠٨ ،ص١٩.

١١ـ د.فكرت نامق وعبد الجبار كريم الزويني السياسـة الخارجيـة الامريكية حيال الخليـج العربي بعد عام ٢٠٠٣،مركـز حمورابـي للبحـوث والدراسـات الاستراتيجية ،ط١،بغداد، ،ص٣٢٣ ـ ٣٢٤.

١٢ـ د.فكرت نامق وعبد الجبار كريم الزويني ،المصدر السابق نفسه ، ص٣٢٥،

١٣ـعزت عبد الواحد سيد،مصدر سبق ذكره موقع انترنيت

١٤ـ عمرو ثابت ،مصدر سبق ذكره ،ص٧.

١٥ـ فاطمة غلمان ،مصدر سبق ذكره ،ص١٠٨.

١٦ـ فلينت ليفيريت،مصدر سبق ذكره ،ص٦.

١٧ـ د.فكرت نامق وعبد الجبار كريم ،مصدر سبق ذكره ، ص٣٣٧،

١٨ـ فلينت ليفيريت،مصدر سبق ذكره ،ص٨ .

١٩ـ د.فكرت نامق،وعبد الجبار كريم،مصدر سبق ذكره ،ص٣٤٢ـ٣٤٣.

٢٠ـ ايان شابيرو ،نظرية الاحتواء ما وراء الارهاب ،شركة المطبوعات للنشر ،بيروت ،ط١ ٢٠١٢ ، ص١٧.

٢١ـ فلينت ليفيريت،مصدر سبق ذكره ،ص١٠.

٢٢ـ المصدر السابق نفسه ،ص١١.

٢٣ـالمصدر السابق نفسه ،ص١١.

٢٤ـ ايان شابيرو ،مصدر سبق ذكره ،ص٣٤ـ٣٥.

٢٥ـ فلينت ليفيريت،مصدر سبق ذكره ،ص٦.

٢٦ـ المصدر السابق نفسه ،ص٧.

٢٧ـ عزت عبد الواحد سيد، مصدر سبق ذكره،انترنيت

٢٨ـ افرايم كام،مصدر سبق ذكره ،ص٨.

٢٩ـ المصدر السابق نفسه ،ص١٥.

٣٠ـ اثمار كاظم ،مصدر سبق ذكره ،ص١٨

٣١ـ افرايم كام،مصدر سبق ذكره ،ص٢٣.

٣٢ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١٠.

٣٣ـ المصدر السابق نفسه ،ص١١.

٣٤ـ اشرف عبد العزيز عبد القادر ،مسارات متعددة :هل يمكن تسوية الملف النووي الايراني ،مجلة السياسة الدولية،مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ،العدد ١٩٦ نيسان ٢٠١٤،ص٩٧.

٣٥ـ المصدر السابق نفسه ،ص٩٩.

٣٦ـ افرايم كام ،مصدر سبق ذكره ،ص١٢.

٣٧ـ المصدر السابق نفسه ،ص٢٢.

٣٨ـ د.نغم نذير شكر،تطور القدرات النووية السلمية المصرية ،دورية الملف السياسي العدد ٣٠ ايلول ٢٠٠٧ مركز الدراسات الدولية ،جامعة بغداد ،ص١٦.

٣٩ـ افرايم كام ،مصدر سبق ذكره،ص١٢.

٤٠ـ د.محجوب الزويري ،الانتخابات الرئاسية الايرانية العاشرة وانعكاساتها الاقليمية ،سلسلة محاضرات الامارات ،مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ،ابو ظبي ،ط١ ،١٣١ ،٢٠١٠،ص٢٤. وينظر كذلك:د.حسين حافظ،ايران والولايات المتحدة الامريكية،ملف المرصد الدولي،مركز الدراسات الدولية،جامعة بغداد،العدد ٤ ايلول ٢٠٠٧،ص٧٣ـ٧٤.

٤١ـ رودولف جولياني وجون ادماردز،رؤيتان للسياسة الخارجية الامريكية جمهورية وديمقراطية ،مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ،العدد ٧٢ ابو ظبي،ط١ ،٢٠٠٨ ،ص١٤.

٤٢ـ د.محجوب الزويري ،مصدر سبق ذكره ،ص٢٤.

٤٣ـ المصدر السابق نفسه ،ص٢٣.

٤٤ـ المصدر السابق نفسه، ص٢٣.

٤٥ـ ريتشارد هاس ومارتن انديك ووالتر راسل ميد،عهد اوباما :سياسة امريكية للشرق الاوسط ،دراسات عالمية ،مركز الامارات للدراسات

والبحوث الاستراتيجية ،العدد ٨١،ابو ظبي،ط١ ،٢٠٠٩ص١٥.

٤٦ـ المصدر السابق نفسه ،ص١٨.

٤٧ـ د.محجوب الزويري،مصدر سبق ذكره ،ص١٩ـ ٢٠.

٤٨ـ طلال عتريسي،مصدر سبق ذكره ،ص٧٥.

٤٩ـ اشرف عبد العزيز،مصدر سابق ص٩٨.

٥٠ـالمصدر السابق نفسه ،ص٩٦،

٥١ـ المصدر السابق نفسه ،ص٩٨.

٥٢ـ اشرف عبد العزيز،مصدر سبق ذكره،ص٩٨,

٥٣ـ اشرف عبد العزيز،مصدر سبق ذكره ،ص٩٧.

٥٤ـ المصدر السابق نفسه ،ص٩٧.

٥٥ـ د.السيد امين شلبي ، تداعيات التقارب الامريكي الايراني تساؤلات دولية وعربية ،مجلة السياسة الدولية،مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية ،القاهرة العدد ٢٠٢ تشرين الاول ٢٠١٥ ،ص٩٠.

٥٦ـ د.السيد امين شلبي ،المصدر السابق نفسه ،ص٩٠.

٥٧ـ المصدر السابق نفسه، ص٩٠.

٥٨ـ د.يسرى ابو شادي ،رؤية تقييمية لمضمون الاتفاق على برنامج ايران النووي ،مجلة السياسة الدولية ،الاهرام ،العدد٢٠٢،تشرين الاول ،٢٠١٥،ص١٣٠.

٥٩ـ مجلة ابحاث استراتيجية،مركز بلادي للدراسات الاستراتيجية ،العدد ٩ ،ص٣٠٠.

٦٠ـ منال الريني، تاثيرات الاتفاق النووي في السياسة الايرانية ،مجلة السياسة الدولية،مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية ،القاهرة ،العدد ٢٠٢ ،تشرين الاول ٢٠١٥،ص١٣٩.

٦١ـ ابو بكر دسوقي ،الثوابت والمتغيرات بعد الاتفاق النووي تالايراني ،مجلة السياسة الدولية،مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية ،القاهرة ،العدد ٢٠٢ تشرين الاول ٢٠١٥ ،ص٨٢.

٦٢ـ د.السيد امين شلبي ،مصدر سبق ذكره ،ص٩٠.

٦٣ـ المصدر السابق نفسه ،ص٩٠.

٦٤ـ منال الريني،مصدر سبق ذكره،ص١٣٦ـ ١٣٧.

٦٥ـ المصدر السابق نفسه ،ص١٣٨.

٦٦ـ السيد امين شلبي،مصدر سبق ذكره ،ص٩١.

٦٧.د.احمد سيد احمد ،قضايا الشرق الاوسط في سباق الانتخابات الامريكية،مجلة السياسة الدولية،الاهرام،القاهرة،العدد ٢٠٥ تموز ٢٠١٦،ص ٦٠ ـ ٦١.

العلاقات الخليجية- الامريكية
في مرحلة ماسمي بـ (الربيع العربي)

ا.م.د. عامر هاشم عواد (*)

المقدمة

لا منـاص مـن القـول ان منطقـة الشـرق الاوسـط، ومن ضمنها منطقـة الخليج العربي، تعـد الابرز عالميا في خريطة الكرة الارضية، وبسبب من ذلك، لا تزال تلك المنطقة تعاني من تدخلات القوى الدوليـة والاقليمية، وتعاني من الهشاشـة، ولا تزال الصراعـات تفعل فعلهان وغير مسـموح لها ان تتمتع بالاستقرار الدائم، كمـا ان منطقة الخليج اضحت جهة رئيسـة من جهـات الاخطار المتوقع تاثيرها على مسـتقبل الشرق الاوسـط وعلى استقرار العالم كله. وما الازمـات المتكررة فيه الا دليل واضح على ان ناقـوس الخطر اخذ يدق، باسـتهداف العاصمة السـعودية الرياض بصاروخ باليسـتي قيل ان الحوثييـن اطلقـوه، والتصعيـد المقابل من قبل السعودية، والتوتر في لبنان، والملف السوري، والصـراع داخـل العراق، وخـروج قطر عن التوافـق الخليجـي، وقبل ذلك كلـه والاهم منه الصراع العربي الاسـرائيلي، كلها دلائل على ما تشـهده المنطقة من تصاعـد وتيرة الاحداث فيها.

وقـد تعرضت المنطقـة العربية لموجة من المطالبـات الشـعبية نحـو التغيير اقـرب الى الثورات الجماهيرية ضد الانظمة الحاكمة بدات في تونس ولا تزال مستمرة في سوريا واليمن، بيدان تلـك الثورات لم تحقـق النتائج المطلوبة مـن التغييـرن وظهـرت نتائج سـلبية متعددة، ولابـد مـن القـول ان النتائـج السـلبية لموجة التغييـر العربية تاتت جـراء عوامل عدة، منها ما يتعلق بموروث الداخل الذي تراكم لعقود من السياسـات الدكتاتورية التي كانـت عقيمة عن انجاب ارتقاء حضاري ومدني ووطني محض، الامر الذي افرز انكفاءا شـعبيا عن الاحسـاس باهمية الانتماء والشعور بالمسؤولية المشتركة. كماان العامـل الخارجي له دوره الفاعل في ان تنحرف النتائج عن المطلوب، فهذا العامل وان تفاجأ بالتغيير المتسارع الخطى الا انه سريعا ما دخل على سكة التغيير وحاول ان يرتب الامور بما يضمن مصالحـه الاقليمية والدولية، ولذلك نرى ان الولايات المتحـدة وهي المقصودة في بحثنا عنـد الحديث عـن دور الفاعل الخارجي تدخلـت كثيرا في شـؤون كل دولة حصل فيها

(*) مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية-جامعة بغداد

التغيير سـواء عبر القوة الخشـنة او عبر القوة الناعمة.

لم تقف رياح التغيير عند حدود الغرب، بل اتجهت شرقا، حتى وصلت دول الخليج العربي، لكـن، لم يكـن تاثيرها كبيـرا ، وبقيت الانظمة الملكيـة الخليجية ثابتة ومسـتقرة، ولم تتاثر الا دولة واحـدة وهي البحريـن وبتاثيرات جزئية فقط، بل والعكس قد يصح، فحركات الاحتجاج في البحرين زادت من اللحمة الخليجية حينما تم تفعيل دور قوات درع الجزيرة بقيادة سعودية، ناهيك عن ان العلاقات السعودية الامريكية بعد وصـول الرئيس ترامـب لادارة البيت الابيض تعمقت وترسخت واثبتت كما يقول المختصون بالشان السعودي والعارفون به انها عصية على التغييـر، وانها راسـخة ومتجـذرة، واذكر في ندوة عن الخليج العربي اقامها قسـم الدراسات السياسية والاسـتراتيجية في بيت الحكمة، دعا المحاضـرون وفـي مقدمتهم الاسـتاذ الدكتور محمود علي الداود الدبلوماسي المختص بالشأن الخليجـي الى اعادة توجـه العراق صوب دول الخليـج العربية من جديد لانهـا مفتاح النجاح، وكانـت الرؤيـة صائبة وثاقبة، وهـا هي اليوم تتضح ملامحها، فالعلاقات الخليجية الامريكية تعود لمجراها الصحيح بعد سـنوات من البرود في عهد الرئيس السـابق اوبامـا، بل وتفتح بابا مـن جديـد لعـودة العـراق للمنظومـة العربية وبدور يجب ان يكون فاعلا.

اشـكالية البحـث: يحـاول البحـث معالجة اشكالية متأتية من التاثير الذي اصاب العلاقات الخليجيـة الامريكية في مرحلـة الربيع العربي او مرحلـة ادارة الرئيـس بـاراك اوبامـا، فقد تعرضـت العلاقات لمشـكلة التراجع والاحباط من الجانب الخليجي لتغير مسارها عن المسار الذي اعتادت العلاقات السـير بـه منذ منصف القرن الماضـي، وان تاثر العلاقـات الخليجية الامريكيـة امر لا يخـص فقـط الجانبين وانما يتعـداه للمنطقة برمتهـا بحكم تداخـل الملفات وتشابكها.

فرضية البحث:سـيعمد البحـث للتعامل مع فرضيـة مؤداهـا ان اختيار الولايـات المتحدة اسـتراتيجية النـأي بالنفس عن منطقـة الخليج وتشجيع الفوضى وحركات التغيير في المنطقة العربيـة ومنها الخليـج العربي اثر سـلبا على العلاقات الامريكية الخليجية وتفاعل مع قضايا اخرى ادخلت العلاقات البينية في مسـار احتاج لاجـراء تعديـلات عليها بمـا يخـدم المصالح المشتركة.

اولا : حـركات الربيـع العربـي والتوظيف الامريكي لمخرجاتها

اندلعـت حركات الاحتجـاج العربية اواخر عام ٢٠١٠ وبدات مـن تونس بالضد من نظام الرئـس زين العابديـن بن علي وانتشـرت في المنطقة لتنتقل الى مصر وليبيا واليمن وسوريا والبحرين.

لقد تناولت دراسات عديدة موضوع الربيع العربـي، ولكـن جميعها تصب فـي رافد واحد وهو ان من اهم اسـباب الثورات الشـعبية ضد الانظمة الحاكمة املا في التغيير[١]:

ارتفاع نسبة التعليم ووعي الانا.

الشباب والابواب المقفلة.

ثورة الاتصالات وتاثيرها.

الانسداد السياسي.

الفقر والجوع.

تغول الدولة الامنية.

الهجرة والتواصل مع الغرب.

وعند اندلاع الثورات العربية، ظهر اتجاهان، الاول يرى فيها مرحلة جديدة من الربيع ستزهر غدا مورد، والبعض تخوف من مخرجاتها على اساس ان الفوضى ستعم المنطقة. وفي ذلك يرى الدكتور عبد الحسين شعبان ان ثلاثة مخاوف اساسية تسللت الى الواجهة السياسية مع حركات العربي، حيث ارتفاع قلق بعض الجهات والجماعات من القوى الدينية، بسبب الاعتبارات الايدلوجية اولا، والدينية والطائفية ثانيا، والسياسية والاجتماعية ثالثا. ولذلك الخوف من الفوضى الذي كان موازيا للخوف من القوى الاسلامية[٢]، كما ان الثورات اصبحت بمعناها الرمزي انقلابا على القبيلة او الاثنية او الطائفية الحاكمة التي غالبا ما تكون قد شكلت النظام السياسي في الدول [٣].

دعاة المنهج الاول وجدوا في ذلك بحث عن عقد اجتماعي عربي جديد من خلال الدعوة الى افكار قيمية تستند اليها عملية اعادة بناء الدولة العربية على اسس جيدة بعد عقود طويلة من الجمود السياسي، لا سيما في مرحلة ما بعدالاستقلال ، ترافق معها معظلة دائمة فحواها العلاقة المنفصمة بين الحاكم والمحكوم في اغلب الاوقات، فضلا عن ان القوى التي صنعت الثورات العربية لم تتبع لايديولوجيا محددة او لقيادة حزب او زعيم ملهم[٤]

لكن دعاة الاتجاه الثاني ونحن منهم، ساد لديهم تخوف من محاولات التوظيف او الاستغلال الخارجي لحركة التغيير في الوطن العربي، وكان التخوف من دور القوى الكبرى لاسيما الولايات المتحدة من الدخول على خط التغيير وحرف بوصلته بما يخدم مصالحها هي لا مصالح القائمين بهن الامر الذيسيفرغها من محتواها الحقيقي، لذلك كان السؤال الابرز: اي تغيير تفكر به واشنطن وماذا تريد من المنطقة العربية؟ لا فيما يتعلق بعلاقة الحاكم بالمحكوم وحسب، بل وبمجمل القضايا التي تهم المصالح الامريكية ومنها الصراع العربي الصهيوني[٥]. بناء على ماتقدم، يمكن القول ان الدور الامريكي بدا واضحا في ماحصل في المنطقة من تغيير، اذ استغلت الوضع الذي كانت يعيشه الشباب العربي[٦] وحالة الرفض للسياسات الداخلية، الامر الذي دفعهم للتظاهر والاحتجاج، واتضح هذا الدور في مصر، وليبيا ،واليمن، وسوريا، وقد اتضح من مجريات الاحداث ان لعبة دولية كبيرة وخطيرة تقودها الولايات المتحدة ضد سوريا هدفها اضعافها وتقزيم دورها، وهاهي سوريا في العام ٢٠١٧ تعيش حالة من الدمار والفوضى ومسرح للتدخلات الاقليمية والدولية.

ولنأخذ مصر مثالا، فبين الرأي الذي يرى» ان الولايات المتحدة لم تبتعد عن اللعبة في مصر حماية لمصالحها»[٧]. والرأيالاخر الذي يقول « لقد جاءت الثورة المصرة مفاجئة لجميع المراقبين، وبالذات للجنة التي كان قد شكلها الرئيس اوباما برئاسة دينيس روس لدراسة احتمال قيام ثورات واظطرابات في البلدان العربية[٨]. فان الموقف الامريكي وان اتسم بالتذبذب[٩] ، لكنه اخذ بالنظر المصالح الامريكية وليس الدفاع عن الديمقراطية التي

ادعوها، والمصالح التي تبنتها ادارة اوباما هي ترك الامور للتغير حتى لو صاحبته الفوضى ففي النهاية سيحكم الطرف الاكثر تواجدا وانتشارا. وهنا علينا ان لا ننسى ان الولايات المتحدة دولة لا تحترم الراي الديمقراطي للشعوب اذا لم يكن في صالحها، فهي افشلت اول تجربة ديمقراطية افضت لانتصار الاشتراكيين عبر صناديق الانتخاب في تشيلي عندما قامت بانقلاب عسكري ضد حكومة الليندي بامر من هنري كيسنجر بعد ان عانت تلك الحكومة مصاعب اقتصادية كبيرة ابتدعتها الولايات المتحدة الامريكية. والكذب الاكريكي يجد له من يسوقه وهو الاعلام، اذكر هنا كلمات جميلة للرئيس الراحل هوغو شافيز فحواها «ان المسؤول عن الاكاذيب وتصويرها بشكل سلبي في امريكا واوربا هو الاعلام، الفايننشال تايمز والبي بي سي وال سي ان ان ، وهي اكاذيب دفاعا عن مصالح اولئك الذين يريدون ان يبقوا هم اسياد العالم» (١٠).

وهنا دخل موضوع نشر الديمقراطية على الخط، فتحت هذه الحجة وحجة الحرية وحقوق الانسان عمدت الولايات المتحدة للبحث عن ادوات اخرى للسيطرة والهيمنة بعيدا عن ادوات الاحتلال التقليدي للسيطرة الامبريالية، اذ كانت واشنطن تسعى للهيمنة العسكرية والسياسية والاقتصادية على العراق والمنطقة وبسط نفوذها، وكان ما يعلن ان الولايات المتحدة تريد القضاء على الارهاب واحداث التغيير الديمقراطي، وفي سبيل ذلك وجدنا ان الرئيس بوش الابن مثلا قام بتبني ما سمي(استراتيجية تقدمية للحرية) وطلب من الصندوق الوطني للديمقراطية NED تخصيص مبلغ ٤٠ مليون دولار من ميزانية الصندوق المخصصة للشرق الاوسط، وبحساب الارقام فان ذلك يعادل ما تم انفاقه خلال سنوات التغيير في صربيا مجتمعة. وفي سبيل ذلك ايضا روج الوزير كولن باول لما سماها (المبادرة الامريكية للديمقراطية في العالم العربي) وقد خصصت الادارة الامريكية مبلغ ٢٩ مليون دولار لتنفيذها، واستمر انفاق الاموال التي لم يكن هدفها الحقيقي التحول الديمقراطي بقدر ماكان الهدف ايجاد بيئة داخلية في العراق وبلدان الشرق الاوسط تقبل بالمشاريع الامريكية للمنطقة.

وفي سبيل تحقيق الاهداف ذاتها، ظهرت دراسات كثيرة ترسم للولايات المتحدة مسارات التحرك ، لكننا في هذا الصدد نشير الى واحدة من اهم تلك الدراسات رغم قدمها فهي صدرت عام ٢٠٠٣، ونقول اهم لاننا نراها واقعية وقابلة للتطبيق في السنوات القادمة على العراق، تلك الدراسة التي اعدت بناء على طلب من وكالة الاستخبارات الامريكية ، وعنوانها «الاسلام المدني الديمقراطي، الشركاء والمصادر والاستراتيجيات» ، وتكمن اهميتها في انها بمثابة مسح جيولوجي لمعالم المجتمعات الاسلامية من الداخل بحثا عن شريك مستقبلي يمكن ان يحقق المرامي الامريكية، وقد قسمت الدراسة الكتل الاسلامية الفاعلة الى أربع وهي(١١):

الاصوليون او الراديكاليون: وهؤلاء يرفضون القيم الديمقراطية والثقافة الغربية المعاصرة.

التقليديون: ويسعى هؤلاء نحو مجتمع محافظ، ويرتابون في دعوات الحضارة والابتكار(ومن بينهم تيار الاسلام السياسي)

الحداثيون: يريدون ان يصبح العالم الاسلامي

جزءا مـن الحداثـة العالمية وتحديث الاسـلام (ومنهم تيار فتح الله غولن في تركيا).

العلمانيـون: وقالـت الدراسـة عنهـم انهم افضـل مـن يمكـن ان يكونوا شـريكا رئيسـيا للولايات المتحدة داخل العالم الاسلامي، الا ان الدراسـة ذاتها اوصت صانع القرار الامريكي بعدم تفضيل التحالف معهم لسـببين: ان اغلبهم ذو توجهـات مناهضة للامركـة وانهم قوميون او يسـاريون، وثانيا لان عددهم قليل وهم اقلية داخل تلك المجتمعات. وبالتالي فالدراسة فضلت التعامل مع الاسـلاميين، ومالم تذكره الدراسـة وفهمتـه الاداراة الامريكية انها يجب ان تهيء المسرح لتقبل صعود العلمانيين للسلطة.

لقـد تبنـت ادارة الرئيـس اوبامـا نظريـة الفوضـى الخلاقـة لكونداليزا رايـس الوزيرة السـابقة للخارجية في عهد بوش الابن الرئيس الامريكـي، وعمـدت لتطبيقهـا علـى المنطقة العربية، ونتج عن ذلك كثير من السلبيات، ربما احدها ما اطلق عليه الدكتور عبد السلام بغدادي اسـتاذ العلوم السياسـية بجامعة بغـداد(العرق طائفية)، وهـي ماقامت عليه الدولة في العراق بعـد عـام ٢٠٠٣ وارادت الولايـات المتحـدة تعميمه في مرحلة الربيع العربي، وليس قيامها على اسـاس قاعدة المواطنة وتحقيق الشـراكة السياسـية الفاعلة والحقيقية بين جميع مواطنيها دون تفريق [١٢].

وهـذه القضية لـم تبدأ مع رايس وحسـب، فعندمـا كتـب برنـارد لويـس مقـال (جـذور الغضب الاسـلامي) ، اسـتقبل المقـال باهتمام واسـع محليا ودوليـا وكان له تاثيـر بالغ على تصورات الغرب بالنسبة للاسلام المعاصر[١٣]. وتصادف فـي تاريخ مقارب لتاريخ كتابة مقال لويس ان اعطى الخبير الاستراتيجي الامريكي رالف بيترس للشرق الاوسط الحدود التي يرى انها عادلة فـي مقال بعنوان (الحدود الدموية.. كيف يمكن رؤية الشرق الاوسط بشكل افضل) تضمنـت خريطة جديـدة مفصلة على اسـاس عرقـي ومذهبـي. وعلى ضـوء هـذه القاعدة تفتـرض خريطة الشـرق الاوسـط الجديد في خطوطها العريضة[١٤]:

اولا: تجـاوز التقاليـد السياسـية والمحرمات السـابقة عبر اقامة دولة تقتطـع لها مناطق في شـمال العراق وجنوب شرق تركيا واجزاء من سوريا وايران.

ثانيا: تقسـيم ماتبقـى من العراق الـى دولتين شيعية وسـنية، يضاف للدولة الشـيعية مناطق مـن غرب ايـران ومن شـرق السـعودية التي سـيقتطع منها ايضا المناطـق الغربية المحاذية للبحـر الاحمر التي تضم الاماكن المقدسـة في مكـة والمدينـة في دولة مسـتقلة تكون شـبيهة بالفاتيـكان، وضـم جزء من مناطق السـعودية الشـمالية الغربيـة الـى الاردن ومحاولـة دفع اسـرائيل لحدود ما قبـل ال ١٩٦٧، مع ادخال تعديلات لحفظ امنها.

وعلـى الرغم من ان الادعـاء بان خريطة بيترس لا تمثل وجهة نظر الادارة الامريكية الا انها تدرس في منهج التخطيط الاستراتيجي في كليـة ضباط الناتو العليا فـي روما بعد اجازتها من الاكاديمية العسـكرية الامريكية التي يعمل بهـا رالف بيتـرس. وقد اثار عـرض خريطة بيتـرس في كلية الناتو العسـكرية حفيظة تركيا التي اندهـش ضباطها اثناء دراسـتهم فيها من رؤية بلادهم وقد تغيـرت حدودها الحالية، مما دفع رئيس اركان الجيش التركي السابق (بشار

بيوكانت) الى الاتصال بنظيره الامريكي معربا عن احتجاجه على عرض هذه الخريطة المشوهة للشرق الاوسط.وبالرغم من ان الكثيرين لم يصدقوا قدرة الولايات المتحدة على اكمال هذا المشروع « الشرق الاوسط الجديد» الا ان المشروع بدأ بالتجسيد الفعلي على ارض الواقع بيد ان الاختلاف الذي طرأ عليه هو البدء بخطواته الاولى من العراق وليس من لبنان كما اعلنت رايس[١٥].

ويرصد البعض وتاكيدا لما سبق ان اعلان المصطلح (الشرق الاوسط الجديد) من تل ابيب ليحل محل المصطلح السابق (الشرق الاوسط الكبير) و تطبيق هذا الاعلان يتم على مراحل عديدة هدفها خلق فوضى وعدم استقرار وعنف دموي يمتد من لبنان الى فلسطين وسوريا والعراق والخليج العربي وايران وحدود افغانستان بغية تقسيم منطقة الشرق الاوسط لاجهاض اي مشروع لقيام وحدة بين الدول العربية.

لقد ساندت الولايات المتحدة صعود الاسلاميين نحو قمة هرم السلطة وهذه احدى مميزات اللعبة الامريكية ، ففضلا عن الهدف المشار اليه بترك المنطقة في فوضى عارمة، فان السبيل الاخر هو التشجيع الامريكي لوصول الاسلاميين لرأس السلطة في الدول العربية التي يجري فيها التغيير، لتحقيق غرضين: الاول بقصد التسقيط السياسي للاسلاميين لدى الشعوب العربية، فاذا ما وصل الاسلاميون فانهم لابد ان يطبقوا الشريعة الاسلامية لان ذلك امر واجب شرعا، ومن ثم فان تطبيق الشريعة الاسلامية بحذافيرها على شعوب مختلفة الاتجاهات والميول ومتعددة الاديان ، وشعوب الفت العلمانية عقودا طويلة قد يقود ذلك – وهو مايريده الامريكان- لخلق صراعات بين الاسلاميين وبين الاخرين الرافضين ، صراعات ستفضي الى الحد من الشعبية العريضة التي يتمتعون بها في المنطقة العربية.

الغرض الثاني هو التوظيف السياسي للاسلامين ولدورهم. حيث تسعى الولايات المتحدة لتوظيف صعود الاسلاميين على راس السلطة لاغراض تخدم المصالح الامريكية، ولا يجب ان يفهم من هذا ان الاسلاميين سيخدمون الامريكان رغبة وطوعا بالخدمة، ولكن ما اقصده ان الولايات المتحدة ستوظف هذا الصعود بما يخدم مخططاتهم. كيف سيكون هذا؟ وذلك عبر الاتي[١٦]:

اقامة دول في المنطقة على اساس ديني تحت حكم الاسلاميين. ان اقامة مثل هذه الدول ستسقط الحجج العربية برفض اقامة دولة اسرائيل على اساس ديني يهودي

نقل الصراع المحوري في المنطقة من صراع عربي- اسرائيلي الى صراع سني- شيعي، بين العرب وبين ايران،وستعمد الولايات المتحدة لضرب المسلمين ببعضهم مما يترك اسرائيل قوة وحيدة في المنطقة.

ان صعود الاسلاميين لراس السلطة سيخدم مشروعا فكريا يمكن تسميته بـ (العولمة المضادة) وهو مشروع قد يكون مرتبطا باثبات صحة نظرية صدام الحضارات التي تحدث عنها صاموئيل هنتنغتون بدايات العقد الاخير من القرن المنصرم.

وبالنتيجة، فان الولايات المتحدة وظفت

مخرجات التغيير العربي لصالحها، وبل احرفت بوصلتها في غير الاتجاه الصحيح، ولم ترفض ان تؤثر تلك التحولات على حلفاءها في دول الخليج العربي، الامر الذي ادخل العلاقات الامريكية الخليجية في وضع جديد، وهو ما سنناقشه في الفقرة القادمة من البحث.

ثانيا : تاثير حركات الربيع العربي على العلاقات الامريكية الخليجية

اذا كان البعض يصف الثورات الشعبية بالقول انها جزء من حركة التاريخ التي تتقدم في مسارات متعرجة تشهد خطوات الى الامام واخرى الى الخلف، وتطورات تقدمية واخرى ارتدادية، وصعوداً لقوى ثورية، ثم يخلفه تكتل لقوى مضادة داخلية او خارجية تحاصر المد الثوري في البداية، وتوقفه احيانا، الامر الذي يجعل الثورات امام طريقين، اما تحقق اهدافها[١٧] ، او الفشل والانحراف عن الهدف الاساس، فان ثورات الربيع العربي ليست بعيدة عن هذا التوصيف .

وبما ان دعوات الاصلاح الشعبية لم تكن لتستثني عدد من دول الخليج العربية لاسيما السعودية والبحرين، وبما ان ادارة الرئيس باراك اوباما اعلنت وقوفها مع دعوات الاصلاح ضد الانظمة غير الديموقراطية، اذا كان لزاماً ان تتاثر العلاقات الامريكية الخليجية بهذا التغيير الذي طرأ على الاوضاع العربية.

وعليه، شهدت العلاقات الامريكية الخليجية لاسيما العلاقات الامريكية السعودية باعتبارها الاساس الذي تقاس عليه العلاقات الامريكية الخليجية نوعا من البرود والجفاء ، رافق ذلك على مسار محاذي تحسناً في العلاقات الامريكية الايرانية تتوج فيما بعد بالاتفاق النووي بين الطرفين الامر الذي زاد من الفجوة بين دول الخليج العربية والولايات المتحدة.

اذا، وطالما ان المدة الزمنية للبحث هي مرحلة الربيع العربي وطالما ان احداث تلك المرحلة لاتزال اثارها قائمة بدليل الاحداث في اليمن وسوريا،؛ فان تركيزنا سيكون على شرح تلك العلاقات في فترة اوباما ونعرج ايضا على ما مضى من عهد ادارة الرئيس دونالد ترامب التي بدات في ٢٠١٧/١/٢٠، رسميا.

ان الاشكالية الابرز التي ميزت توجه ادارة الرئيس اوباما نحو منطقة الشرق الاوسط والخليج العربي تتمثل في نقطتين: الانسحاب والفوضى.

الانسحاب، هو تكتيك اتبعه الرئيس اوباما فحواه عدم الانغماس في شؤون المنطقة كما كان الحال سابقاً اي عدم الانغماس كما كان حال السياسة الامريكية في عهد ادارة بوش الابن وهذا الاتجاه اتبع لسببين: الاول، للدراسات التي عمدت الى توجيه السياسة الامريكية بعيداً عن منطقة الخليج العربي وتحديداً نحو منطقة شرق وجنوب شرق اسيا والمحيط الهادي، والسبب الثاني هو توسيع التوجه الامريكي نحو النفط الصخري الامر الذي قلل من اهمية نفط الخليج العربي.

وفيما يخص الفوضى فان ادارة اوباما تركت الفوضى تعم المنطقة حسب نظرية كونداليزا رايس الفوضى الخلاقة، ولذلك نجد ان العنف المسلح وتمدد داعش والحوثيين كلها حصلت امام انظار الادارة الامريكية، ولم تفعل ما يستجوب لوقفه.

مـن هنا نظـر كلا الطرفين الولايـات المتحدة ودول الخليـج العربـي لاسـيما السـعودية- اذا ما اسـتثنينا قطـر التي شـكلت رأس حربة في المخطـط الامريكـي- الـى الاخر نظـرة عدم الرضى والشـك. وقد بـررت الولايات المتحدة تـرك دعمهـا للانظمـة الخليجية بالسياسـيات غير الرشـيدة وسـيطرة الانظمة الملكية حيث الازمات البنوية التي تولدت من تلك السياسات وهـي نتـاج ثقافة تاريخيـة غير قابلـة للتطور والاندمـاج بعصـر العولمـة[١٨]، وتحدثت عن مشـاكل تؤثر على الداخل الخليجي ابرزها تلك الفجوة فـي الثراء بين الاغنياء واولئك الذين لم تتحسن احوالهم بدرجة كبيرة، اضافة للمطالبين بالتمسك بالاسـلام الاصولي، والذين سيدخلون فـي صراعات مؤكدة مـع التوجهات العصرية داخـل الـدول الخليجية، وهناك جهـات مهتمة باعادة رسـم المنطقـة وفقا للتوجه الاسـلامي الراديكالي الذي يحركه[١٩].

ومن جانب اخر، فان الولايات المتحدة رأت فـي ايران طرفا لديه ممكنـات افضل للاندماج يسـاعده فـي ذلـك عامليـن، الثقافـة الشـيعية المنفتحـة بدرجـة اكبـر مـن نظيرتها السـنية وكذلك تداول السلطة بالاسلوب الديموقراطي، وما مشـكلة ايران كما كانـت ترى ادارة اوباما الا بوجود تيار متشدد ستعمل الولايات المتحدة علـى مواجهتـه، ولا باس مـن ان يدفع النظام الاقليمي العربـي والخليجي جزءا من ثمن هذه المواجهة[٢٠].

ان اي تحليـل علمي لدراسـة اسـباب تبني اوباما للابتعاد عن ما الفته السياسـة الامريكية تجاه الخليج لا بد ان ياخذ بنظر الاعتبار الازمة التي كانت تعيشـها السياسـة الامريكية. ويبدو ان اوبامـا اسـتبق فهم تلك الازمـة قبل مراكز الدراسـات الامريكية التي اشارت لها متاخرة. وحين نقرأ التوصيات التـي خلص اليها تقرير مؤسسـة رانـد الامريكيـة بتاريخ ٢٣ نيسـان ٢٠١٦، والموسـوم « القوة القسرية : مواجهة الاعـداء دون اللجـوء الى الحـرب» والمتعلق بتوظيف ما اسماه القوة القسرية كوسيلة لتحقيق اهـداف الاسـتراتيجية الامريكيـة والتـي تقف فـي مقدمتهـا البقاء قـوة مهيمنة وقائـدة للنظام الدولـي، فانـك قد تدهـش لما وصـل اليه حال الولايـات المتحدة من وهن، للدرجة التي تجعل المفكرين والباحثين الاستراتيجين في الولايات المتحدة يفكرون باسـتخدام وسائل غير الوسيلة العسكرية املا في الوصول للهدف المشار اليه، وهو الامر الذي يخالف منطق التاريخ الكوني، من جهة، ويخالف المنطق الذي نشـات به دولة الولايات المتحدة، ثـم تحولت الى امبراطورية مـن خلاله من جهـة اخـرى. فالمخالفة لمنطق التاريـخ الكونـي متأتيـة مـن ان تاريـخ قيام الامبراطوريـات مترتبـط بالاسـتخدام العنيف للقـوة العسـكرية وهو امر لم تخـرج عنه حتى الامبراطوريـة الاسـلامية التي يرتبط اسـمها بالاسـلام والسـلام- والحقيقة انه لو لم تستخدم تلـك الامبراطوريـات القوة العسـكرية لتركيع المنافسـين لم تكـن لتصل الى مرحلة السـيادة الامبراطوريـة-. وفيما يخـص مخالفة المنطق الذي نشـات عليه الولايات المتحدة الامريكية، فهـي لـم تنشـأ الا بالاسـتخدام العنيـف للقـوة ابتـداء من تكوين المسـتعمرات الثلاث عشـر الاولـى، مـرورا بحـرب الاسـتقلال ١٧٧٦-١٧٨١ وصـولا لاحتلال مـكان الامبراطورية البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية. اذن، ثمة مشـكلة تواجهها الولايات المتحدة، واذا ما قمنا

بربط مشكلة الولايات المتحدة مع رؤية المفكر الامريكي بول كندي حول القوى العظمى حينما شبه تلك القوى بالافراد حينما يكبرون ليصبحوا شبابا ثم رجالا ثم شيوخا لتكون بداية لانحدار قوتهم، يصل الامر بنا للتساؤل: هل ان الولايات المتحدة وصلت لمرحلة الشيخوخة؟ لدرجة تجعل منها تتخوف من القيام بعمل عسكري ضد قوة اقليمية مثل ايران كما قال التقرير؟[٢١]

ان اساس الخلاف الاكبر الذي نشب بين دول الخليج العربي وبين الولايات المتحدة، يدور حول سياسة الرئيس اوباما المستندة للقوة الناعمة[٢٢] في التعامل مع البرنامج النووي الايراني الذي لم ترض دول الخليج بان تتساهل الولايات المتحدة معه. ولان هذا الموضوع مهم جدا نرى من الضروري التوسع فيه قليلا.

نشبت الازمة النووية الايرانية ،عقب اقدام ايران على تطوير قدراتها في مجال تخصيب اليورانيوم ،وذلك حينما اتضح في أواخر عام ٢٠٠٢ ان الحكومة الايرانية تقوم ببناء منشأتين سريتين الاولى لتخصيب اليورانيوم بالغرب من مدينة ناتنز ، والثانية لإنتاج الماء الثقيل بالقرب من مدينة أراك الواقعة غرب طهران ،من دون ابلاغ الوكالة الدولية للطاقة الذرية وقد تأكدت هذه المزاعم من خلال صور الاقمار الصناعية الاميركية.ومنذ ذلك التاريخ، انتشرت اراء كثيرة حول التعامل الامريكي مع ايران، تراوحت بين رسم الخطط العسكرية، او بين الداعين للحلول السلمية. وبعد مفاوضات طويلة، توصل الطرفان الى الاتفاق الاول عام ٢٠١٣ [٢٣]، ومن ثم إعلان الاتفاق النووي بين إيران ومجموعة الدول الست في فيينا تموز ٢٠١٥.

ان هذه الاتفاقية تأتي تتويجاً للدبلوماسية السرية التي مارستها إيران مع الغرب خلال العقد المنصرم، ويمكن القول بأن الإنجاز الأكبر لهذه الاتفاقية يتمثل في دخول إيران نادي الدول النووية في ظل برنامج «سلمي» واعتراف الأمم المتحدة بها كدولة تمتلك قدرات نووية سلمية، حيث نجحت طهران في إقناع الدول الغربية بالموافقة على استمرار أنشطة منشآتها النووية والاحتفاظ بحقها في التخصيب، إضافة إلى حفظ البنى التحتية النووية الإيرانية، دون المساس بأجهزة الطرد المركزي، واستمرار أنشطة البحث والتطوير فيما يتعلق بأجهزة الطرد الرئيسية والمتطورة، مما يمهد لتحولها إلى أحد أهم الدول المنتجة للطاقة النووية، وخاصة فيما يتعلق باليورانيوم المخصب والماء الثقيل، والاحتفاظ بحقها في دخول الأسواق العالمية وإلغاء جميع القيود على تصدير وتوريد المواد النووية.

ان الاعتراف الدولي بايران نووية يعني الاعتراف بدورها الاقليمي الذي عاد مهما للغاية في حلحلة القضايا العالقة، ولذلك نجد ان دول الخليج العربية توجست خيفة من الاتفاق لانه رجح كفة ايران في بعض الامورن رغم ان الاتفاق لايعني ان ميزان القوة اصبح يميل لايران اكثر من القوى الاخرى. من هنا فان الموقف الخليجي لم يكن واحدا، فعلى مستوى موقف مجلس التعاون الخليجي كمؤسسة إقليمية نجد انه غلب عليه فكرة «الموافقة المشروطة» حيث رحب المجلس الوزاري الخليجي خلال اجتماعه في الكويت في ٢٧ تشرين الثاني ٢٠١٥ بالاتفاق بين الدول الكبرى وإيران بشأن برنامجها النووي، شريطة أن يكون مقدمة للتوصل إلى حل شامل لهذا الملف،

كمـا دعا المجلـس إلى التعاون التـام مع وكالة الطاقـة الذريـة. أما فيما يتعلـق بمواقف الدول الخليجيـة الفرديـة، لا يوجـد موقـف خليجـي موحد من هـذا الاتفاق، فثمـة تباينات واضحة فيمـا بينها تجـاه اتفاق جنيف ، حيث سـارعت الإمارات والكويت وقطـر والبحرين للترحيب بهذا الاتفـاق، أما الموقف السـعودي فقد غلب عليـه التوجس الصريح فـي بداية الإعلان عن الاتفـاق، ثم حدث تحول في الخطاب الرسـمي السـعودي إلى القبـول المشـروط حيث أكدت الحكومة السـعودية خـلال اجتماعهـا في ٢٥ تشـرين الثاني الماضي أنه إذا توافرت حسـن النوايا فيمكن أن يشكل هذا الاتفاق خطوة أولية في اتجاه التوصل لحل شـامل للبرنامج النووي الإيرانـي. أن ثمة تخوفـات خليجية بأن يكون هذا الاتفاق غير قاصر علـى البرنامج النووي الإيراني[٢٤]، بل يشـمل ملفـات إقليمية تعتبرها أحـد الأوراق الرئيسـية سـواء في سـوريا أو لبنان أو العراق أو اليمن تم التباحث بشـأنها في المباحثات السرية، بما يمنح إيران أدوار تدخليه متزايدة فـي الملفات الإقليميـة، ويمنح الاتفاق طهران هامشاً أكبر للمناورة.

يبقـى مـن المهـم، القـول ان اسـئلة كثيرة طرحتهـا دول الخليـج: لماذا لم تهتـم الولايات المتحدة لموقف السعودية وهي الحليف العربي الاهـم فـي المنطقـة الـذي يرفـض التسـاهل الامريكـي مـع ايـران؟ هـل ان زيـادة التوتر في العلاقة بين السـعودية وايـران هو غرض امريكي لادخال المنطقة في توترات طائفية بما يخدم مصالح اسرائيل؟

وبسـبب مما تقـدم، نظر الجانـب الخليجي بشـك وريبة وعدم ارتيـاح للموقف الامريكي، اذ عـدت دول الخليـج ذلك تسـاهلا من الويات المتحـدة تجاه ايران، وتخلـي الولايات المتحدة عن وعودهـا بدعم دول الخليـج والحفاظ على التـوازن الاقليمـي لصالـح دول الخليـج وهذا الشـك جاء لانهـا وجدت ان الولايـات المتحدة سـمحت لايران بامتـلاك التكنولوجيـا النووية وهـو ما عـد اعترافا دوليا بايـران نووية على الساحل الشرقي للخليج العربي واعترافا غربيا بدور ايـران الاقليمي بـل ان الولايات المتحدة في عهد ادارة اوباما ابعدت صفة الارهاب عن ايـران فيما الصقتها بالعرب. من جانب اخر ان التخوف الخليجـي من تداعيات الاتفاق النووي لا يعـود الى التوجس مـن محاولة ايران خرق الاتفـاق واسـتئناف البرنامج فهـذا امر صعب للغايـة فـي ضـل رقابـة صارمة مـن مجلس الامن، ولكن الخشية متاتية من اعتقاد ايران ان التحسـن في العلاقات وعقد الصفقات التجارية والاستثمارية « يشجعها على الاعتقاد بان فوائد ايـران (الدولة) التي تقـدر ببلايين الدولارات تمكنهـا من تمويل ايـران (الثـورة) لعملياتها وتدخلاتها في شؤون المنطقة» [٢٥]

ان السياسـات الامريكيـة فـي عهـد ادارة اوباما وعند اجراءها لتحولاتها الشرق اوسطية ذهبت الى ابعد مـن البراغماتية المتوازنة التي طالمـا ميـزت سياسـات الادارات الامريكيـة المتعاقبـة التي كان فحواهـا تحقيق توازن قائم على توزيع الادوار بين الفاعلين، ذلك ان ادارة اوبامـا انتهجت تكتيـك قوامه عـزل كل ازمة وتجريدهـا من تشـابكاتها وتعقيداتهـا الاقليمية وفصلهـا عن جذورها الحقيقيـة والتعامل معها من منطق المكسـب للولايات المتحـدة والثمن مدفـوع مـن القـوى الاخـرى[٢٦] ولذلـك وفق المنطـق هـذا عزلـت الازمـة الايرانيـة مثلا

عن موضـوع العلاقات الامريكيـة –الخليجية وكأنهما منفصـلان بينما ان الملفين يصبان في رافد واحد وهو استقرار منطقة الشرق الاوسط.

وبسـبب من التشـكك السـعودي بالسياسة الامريكيـة مدعوماً بخيبة الامـل التي اصابت الخليجيـون عندمـا احجمـت ادارة اوباما عن فـرض عقوبات علـى ايران بسـبب برنامجها الصاروخي في شهر كانون الاول عام ٢٠١٢، ومن وجهة نظر السـعودية فان هذا النمط الذي اتبعته ادارة اوباما سبب هزات عنيفة للعلاقات الامريكية – الخليجية، بينما نظرت ادارة اوباما للموضـوع علـى انـه محاولة لتحقيـق توازن صحـي فـي العلاقات، عكـس السـعودية التي وجدت فيه خيانة وابتعاد عن التزامات الولايات المتحـدة تجاه المنطقة، وفي ذلك قال ولي العهد السـعودي الامير محمد بن سلمان في حوار مع مجلة ايكونومسـت ان الولايـات المتحدة ينبغي عليهـا ان تـدرك انها القـوة الاولى فـي العالم وان تتصـرف وفـق هـذا الاسـاس[٢٧] . وكرد على سياسـة اوباما، عمدت السـعودية والدول الخليجية الـى اتخاذ اجراءات لـم تكن معهودة سابقاً منها صياغة السعودية لاستراتيجية بديلة لتأمين امنها الوطنـي تنطلق من الاعتماد على بدائـل ذاتية وأقليمية تبتعـد فيها عن البقاء رهناً للقرارات الامريكية، وهذا السـلوك السـعودي جاء بعـد سياسـات ادارة اوبامـا الناعمة تجاه ايران منذ عام ٢٠١٢ بعد ان علمت السـعودية بفتح الولايات المتحدة لقنوات حوار سـرية مع ايـران الامر الـذي حذر منه وزيـر الخارجية السـعودي الراحـل سـعود الفيصـل بالقول ان ايـران ينبغي الا تحصل على صفقة لتسـتحقها في حين قال مسـؤول المخابرات السابق تركي الفيصـل ان المملكـة يمكـن ان تبـدأ برنامـج تخصيب اليورانيوم الخاص بها اذا تمت شرعنة البرنامج النووي الايراني [٢٨].

لقـد كان واحـدا من اهـم مظاهـر التحول في منظور الولايات المتحدة للسـعودية هو ظهور دراسـات في الولايات المتحدة تتناول مسـتقبل السعودية والاسـرة الحاكمة، وانتقادات للاسرة الحاكمة، كما اسـتمرت الولايات المتحدة بتبني خطابا رأت فيه السـعودية اسـتهدافا لها، وذلك متاتي من[٢٩]:

تحدثه عـن عمليـات تغيير ستشـهدها منطقة الشرق الأوسط سيكون لها بداية ولن تتوقف الا بتغييـر البنية التي تدعـم أي فعل تعده الولايات المتحدة إرهابيا.

٢- اتجـاه الادارة الامريكيـة لوجوب ان تتبع دول المنطقة السياسـات الأمريكيـة في التهيئة لبيئة لا تكون حاضنة لأي فعل أو نشاط إرهابي، وهو مـا يتطلب احداث إصلاحات واسـعة في البنى السياسية والتعليمية وفي حقوق الإنسان.

٣- طـرح الولايـات المتحـدة رؤيتهـا لتجميد الأصـول الماليـة للـدول التي شـارك افرادها باحداث ١١ أيلول، وبالطبع ان اغلب المشاركين هم خليجيون وسعوديون على وجه التحديد.

لقد دفعت احـداث حركات الاحتجاج العلاقات السـعودية الامريكية إلى مزيد من التازم، بعد ذاك الذي برز عقـب احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ لعوامل عدة منها متعلقة بالعلاقات الثنائية والنقد والتعرض للنظام السياسـي السعودي، وأخرى تتعلق بالملفات الإقليمية في الشرق الأوسط[٣٠].

وحـاول الرئيـس اوبامـا احتـواء عوامل التوتـر في العلاقـات السـعودية الأمريكية، اذ

قام بزيارتين للسعودية الاولى لبحث الملفات المشتركة عام ٢٠٠٩والثانية عام ٢٠١٥ للتعزية بوفاة الملك عبد الله، وتناول الملفات الإقليمية في العلاقات الثنائية، ثم استضافت الولايات المتحدة القمة الخليجية الأمريكية الاولى في كامب ديفد في آيار ٢٠١٥، الا انها انتهت إلى نتائج متواضعة كونها اشرت عدم وجود مسعى أمريكي لتحقيق المصالح الخليجية في الملفات الإقليمية، وكذلك ضعف الحضور الرسمي الخليجي في اشارة للامتعاض من سياسات اوباما، ثم تكرر الأمر نفسه في اثناء زيارة اوباما للسعودية في نيسان ٢٠١٦ والمشاركة بقمة مجلس التعاون الخليجي، والبحث في تنسيق المواقف من الملفات الإقليمية، فضلا عن ملف العلاقات الثنائية بعد ان اتجه الكونغرس الأمريكي لمناقشة اصدار قرار منح أهالي ضحايا احداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ حق مقاضاة الحكومات الاجنبية المتورط مواطنيها بتلك الاحداث، وهو ما صدر في أيلول/سبتمبر ٢٠١٦.

وفي احدى دلالات الخلافات الامريكية السعودية، وجه اوباما رسالة صريحة للسعودية في اجتماع نيسان٢٠١٦، بان عليها خفض مستويات الصراع في المنطقة، والبحث عن طرق افضل للتعايش مع ايران، وذلك بعد ان قطعت السعودية علاقاتها مع الاخيرة في كانون الثاني ٢٠١٦ بعد اعدام رجل الدين المعارض نمر النمر على خلفية اتهامه بالتعرض للنظام العام في السعودية[٣١].

ومن تلك الدلالات ايضا اصدار مجلس الشيوخ الامريكي في آيار ٢٠١٦ مشروع قانون بالاجماع أطلق عليه اسم «قانون العدالة بحق رعاة الإرهاب»، يسمح لأفراد أسر ضحايا العمليات الإرهابية (وعلى راسها ١١ ايلول ٢٠٠١) المنفذة من قبل تنظيمات إرهابية دولية مقاضاة حكومات البلدان التي قدمت دعما لها، او كان منفذوها من رعايا الدولة الاجنبية، ثم اصدر مجلس النواب في شهر أيلول القانون بالاجماع[٣٢].

وعليه، تاثرت العلاقات الامريكية الخليجية سلبا خلال مرحلة الربيع العربي وتحديدا في ضل رئاسة باراك اوباما للولايات المتحدة، بل يمكن القول ان اسوأ فترة عاشتها العلاقات هي هذه الفترة، الامر الذي سلبا على قضايا كثيرة لا تخص الخليجيين وحدهم، بل وحتى العراق الذي ابتعدت عنه السعودية والدول الخليجية ولم يكن دورها ليضاهي دوري تركيا وايران، ولم تسع الولايات المتحدة لمنح تلك الدول فرص لتعزيز وجودها وكانه كان امرا مقصودا بغية ابعاد العراق عن المنظومة العربية.

بيد انه، ومع وصول ادارة جمهورية جديدة الى البيت الابيض بزعامة دونالد ترامب، ورفعها لشعارات مطالبة بتغيير توجهات السياسة الامريكية عما كانت عليه في عهد اوباما السابق[٣٣]، عادت العلاقات الخليجية الامريكية للانتعاش من جديد، لا سيما العلاقات السعودية الامريكية، وعقدت بينهما اكبر صفقة في التاريخ وصلت الى ما يقارب ٤٠٠ مليار

دولار على شكل مشتريات اسلحة واستثمارات امريكية حقق فيها الطرفين فوائد كثيرة ، ابرزها كان عودة الدفء للعلاقات وعودة التنسيق المشترك بينهما. وقد شكل ملف شراء الاسلحة رافدا مهما للعلاقات السعودية الامريكية، وفيما يعلق بهذا الملف، فان السعودية اشترت من الولايات المتحدة سلاح بنحو ٩٧ مليار دولار على مدى المدة بين ٢٠٠٣- ٢٠١٦، وكانت اخر صفقة وقعت مع الحكومة الأمريكية هي بيع السعودية سلاح بقيمة ١٥ مليار دولار عام ٢٠١٥، الا ان قوى عدة داخل الولايات المتحدة ضغطت من اجل عدم تزويد السعودية بهذه الصفقة[٣٤].

وفي الجانب المقابل، شهدت العلاقات الامريكية الايرانية توتراً شديداً منذ وصول ترامب للرئاسة، وقد صعدت ايران من مواقفها المتشددة رداً على اتهام دونالد ترامب لها بدعم الارهاب وكذلك تهديد مستشار الامن القومي السابق مايكل فلين بالتعامل العسكري معها

لقد ادركت ادارة ترامب على العكس من ادارة اوباما بان ايران اصبحت تشكل تحديا كبيرا لمصالح الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها في الشرق الاوسط اذ تمكنت من انشاء نفوذ كبير يمتد من لبنان وسوريا في الشرق الى العراق والبحرين في الخليج، واليمن على البحر الاحمر، ولذلك كان امام الولايات المتحدة خيارين، اما تصعيد اللهجة والافعال(وهو ما ترغب به السعودية وعدد من دول الخليج كونه يحجم من نفوذ ايران الاقليمي) او خيار التهدئة وبحث الملفات العالقة حتى لا تصل الامور للتشدد اكثر (وهذا ايدته بعض دول الخليج مثل قطر وعمان).

لذذ ظهرت دراسات عديدة بخصوص الطريقة التي يجب ان تتعامل بها الولايات المتحدة مع ايران بعضها وجد ان ادارة ترامب ترتكب خطا في تعاملها مع ايران ، فالامريكيون لايدركون الداخل الايراني جيداً فتصعيد سياسة العقوبات ستعمل على دعم دور المتشددين الايرانيين في الداخل ولن تفسح المجال للاصلاحيين لتمكينهم وابراز دورهم[٣٥]. وعليه فان استمرار ادارة ترامب بالتصعيد ستواجهه ايران بتصيد مقابل يزعزع الامن والاستقرار في المنطقة.وقريباً من تلك الرؤية، كتب مارتن انديك، نائب المدير التنفيذي لمعهد بروكينغز ناصحا ادارة ترامب بتقليل التصعيد باعتبار ان اي استراتيجية امريكية تحتاج للاخذ في عين الاعتبار طريقة ارتباط الاشياء في الشرق الاوسط. فصد ايران في اليمن سيؤدي ب–ايران- لاثارة الشيعة في البحرين، ومحاولة احتواء دورها- ايران- في سوريا يجعلها تستخدم دورها القوي في العراق للتاثير على حرب داعش، او تشجيع حماس لضرب اسرائيل. ومن ثم فانه يقول بوجوب اتباع استراتيجية الاحتواء الشامل التي تستند الى عدد من العناصر[٣٦]:

تنفيذ صارم للاتفاق النووي الايراني.

دعم الحكومة العراقية برئاسة حيدر العبادي.

تشجيع الحل السياسي للحرب الاهلية في اليمن.

تنسيق قدرات حلفائنا الاقليميين في هيكل امني اقليمي.

وضع اسس المفاوضات مع ايران بخصوص طموحاتها وسلوكها في المنطقة.

اذاً، فان استراتيجية ترامب سواءاً تلك المتشددة تجاه ايران او في حالة اخذه للاراء مارتن اندك فانها ستختلف اختلافاً كبيراً عن سلغه اوباما الذي حاول الفصل بين الملفات الا ان الواقع يشير الى ان ملفات المنطقة متداخلة ومتشابكة وان اي تقارب امريكي مع دول الخليج العربي يعني بالضرورة توتراً مع ايران كما كان الحال معكوساً عندما تقاربت الولايات المتحدة مع ايران في عهد ولاية اوباما.

نخلص من كل ما تقدم، الى ان العلاقات الامريكية الخليجية تمر بمرحلة تقارب حول القضايا الاتية:

التعامل الامريكي مع ايران.

دعم الولايات المتحدة للتقارب الخليجي العراقي.

تنسيق المواقف المشتركة في القضية السورية.

دعم الولايات المتحدة لجهود السعودية والتحالف العربي في القضية اليمنية.

دعم الولايات المتحدة لدول الخليج في موقفها ضد قطر.

دعم التغيير في داخل السعودية لصالح ولي العهد محمد ابن سلمان لاسيما ما قام به مؤخرا على مستوى الداخل السعودي من تغييرات طالت الامراء السعوديين.

وفي الختام فاننا نتوقع مستقبلاً جيداً في العلاقات الامريكية السعودية نابع من حاجة كلا الطرفين للاخر وفهما مشتركا للمصالح المتبادلة وهذا الامر سيستمر طيلة عهد ادارة الرئيس ترامب التي ستنتهي عام ٢٠٢١، ورغم اعتقادنا بان المنطقة ستشهد توترات امنية الا ان ذلك سيبقى ضمن اطار تنسيق مشترك للموقف بين الولايات المتحدة ودول الخليج العربية.

الخاتمة

شملت موجة التغيير العربي التي انطلقت في العقد الثاني من القرن الحالي بعض دول منطقة الخليج العربي، لا سيما البحرين وبدرجة اقل العربية السعودية، لكن دول الخليج لم تتاثر بتلك الموجة قدر تاثر العلاقات مع الولايات المتحدة على اثرها، او ما توضح على اثرها، ذلك ان العلاقات السعودية الامريكية تعرضت لهزة قوية منذ احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ ، وتبعات تلك الهزة ظهرت واضحة بعد تولي اوباما للرئاسة الامريكية الذي ادت سياساته لحدوث شرخ كبير في العلاقات، كانت ابرز اسبابه التقارب الامريكي مع ايران، اذ اختلفت وجهتا النظر، فبينما وجدت الولايات المتحدة في ذلك تصرفا عقلانيا في ضوء تراجع

الامكانـات الامريكيـة الامـر الـذي يجعل من المهـم عدم معاداة ايران واي قوة اخرة، وكذلك فـي ضوء توجه ادارة اوباما صوب اسـيا، اما الـدول الخليجيـة فوجدت فيه مغازلـة امريكية لايران، غير مبـررة وتبتعد عن ثوابت الحلف الاستراتيجي الامريكي الخليجي.

ورغـم ان ادارة اوبامـا حاولـت ترميم بعض الصـدع، الا انهـا لم تكن جادة فعـلا، ولذلك لم تتحسن العلاقات الا بعد تغيير الادارة الامريكية ومجيء ادارة جمهورية متصلبة وجهت سـهام نيرانها نحو ايران وسياسـاتها وحلفائها لا سيما حزب الله والنظام السوري والحوثيين.

لقد اصبح القاسـم الايرانـي وموقف الولايات المتحـدة منه بمثابة البوصلـة التي نرى عبرها شـكل العلاقات الامريكيـة الخليجية، فالمعادلة اصبحت عكسية موجبة، اي تصعيد تجاه ايران يفـرض تقاربا مع دول الخليج، والعكس يصح، ولم تعد لقضايا مثل الصراع العربي الصهيوني ذلـك التاثير، حتـى ليمكن القـول ان الولايات المتحـدة نجحت في نقل الصـراع من الصراع الوجـودي بين الكيان الصهيونـي والعرب الى صراع مذهبي بين ايران ودول الخليج العربية.

وعبر التنسـيق المشترك وهو ما اخذ يميز العلاقات الخليجية الامريكية، اصبحنا امام مواقف متقاربة تجاه العديد من القضايا، العراق وسـوريا واليمـن والملـف النـووي الايرانـي وحزب الله، وهو الامر الذي نعتقد باسـتمراره مستقبلا، ونعتقد انه سيكون اكثر فائدة للعراق، لاننـا لانريد لبلدنا ان يكون سـاحة للصراعات الاقليميـة، وان التقارب العراقـي الخليجي ولا سـيما السـعودي نجد فيه امر صحي لمسـتقبل العراق. رغم تخوفنا من مستقبل غامض بسبب التوتـرات فـي المنطقة وبسـبب صعود رجل طامـح لسـدة الحكم قريبـا في السـعودية وهو الامير محمد بن سـلمان مهنـدس الحرب على اليمن وتشـجيع الولايات المتحدة له الامر الذي ستكون له اثاره غير المحسوبة على المنطقة.

التوصيات

فـي نهايـة البحـث، نجـد مـن الضروري توصيـة الحكومـة العراقية باسـتغلال التوجه الخليجـي للتقارب مع العراق بما يخدم مصلحة العـراق. ان هـذا التوجه الخليجـي هو بضوء اخضـر امريكـي، واننـا بحاجة لتقليـل ادوار القـوى المجـاورة عبر اتباع سياسـات صحية متوازنـة تنبـع مـن العلاقـات الوديـة مع كل الـدول المجـاورة. كمـا اننا نوصـي الحكومة بالاسـتفادة مـن ذوي الخبـرة المتخصصيـن بالشـأنين الامريكي والخليجي لتقديم دراسـات تخص المستقبل وكيفية رسم السياسة الخارجية للعراق تتوائم مع المستجدات التي ستطرأ على الساحتين المحلية والاقليمية.

الهوامش

١- توفيـق شـومان، الثـورات العربية: البنـى والهياكل والمنطلقـات، مجلـة حمورابي، مركـز حمورابي للدراسـات، بغداد، العـدد الاول، ٢٠١١، ص ص ٢٣-٣٢

٢ - عبد الحسـين شـعبان، الربيع العربي والمستقبل : علاقـة الحاكـم بالمحكوم، مجلـة حمورابي، مركز حمورابـي للدراسـات، بغـداد، العـدد ١، ٢٠١١، ص٧٠

٣ - د. داليا فؤاد، الغرب والثورات العربية، محاولات الاحتواء والتاثير، مجلة حمورابي، مركز حمورابي للدراسات، بغداد، العدد ١، ٢٠١١، ص ٩٠

٤ - عبد الحسين شعبان، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤

٥ - المصدر نفسه، ص ٨١.

٦ - اخذ الدور الشبابي يتزايد اهمية من خلال التركيز علـى الاعتصامات والاحتجاجات الشـعبية ، وعلى الرغم مـن أن بدايات ظهور الاحتجاجات الشـعبية ترجـع إلى عهد بعيد نسـبيا، فإن أول ظهور لمفهوم الاعتصام أو التظاهر في معناه الحديث كانفي منتصف القـرن التاسـع عشـر،وكان أول من اسـتعمل هذا المفهوم هو الكاتب الأمريكي ديفيد هنري ثورو،في مقال شـهير له نشـر في١٨٤٩، بعنوان «العصيان المدني». وقد بدأ الاهتمام بدراسـة سـلوك التظاهر والاعتصام في منتصف القرن العشـرين،وذلك في إطـار أدبيات الـرأي العام التي تناقـش ما اصطلح على تسميته بثقافة الاحتجاج الشعبي. انظر: أشرف عبـد العزيـز عبـد القـادر ، المحتجون:كيف تؤثر المظاهـرات والاعتصامـات في سياسـات الدول؟ اتجاهـات نظريـة(ملحق مجلـة السياسـة الدولية) ، العـدد ١٨٧، ينايـر ٢٠١٢، ص ١١نقـلا عـن Gareth Dale, «Protest Waves in Western Europe: a Critique of New Social Movement Theory», Issue ٢٤ .Critical Sociology, Vol ٢-١ .No April ,١٩٩٨ ,p.٧٤

٧ - د. سـليمان العطـار، الثقافـة: بنية جديـدة تتحدى الاطر التقليدية، تحولات اسـتراتيجية(ملحق مجلة السياسـة الدولية) ، العدد ١٨٧، يناير ٢٠١٢، ص ٢١

٨ - جميل مطر، الثورة المصرية: الخلفيات والبدايات، مجلة المسـتقبل العربي، العـدد ٣٨٥، ٣ /٢٠١١، ص ٨٣

٩ - عمرو عبد العاطي، العلاقات المصرية - الأمريكية بعد أزمة المنظمات المدنية، مجلة السياسـة الدولية، العدد ١٨٨، نيسان ٢٠١٢، النسخة الالكترونية http://www.siyassa.org.eg/NewsCont/٣/١١٢/٢٣٥١/%D٩%٨٥%D٩%٨٦-.ent aspx#desc

١٠ - ماثيو غراهان، شافيز في فلم وثائقي، مجلة الجيل، دمشق، بلا تاريخ، ص ٩.

١١ - اورد ذلـك د. امين شـعبان امين، الاسـتراتيجية الامريكية تجاه حركات الاسلام السياسي في مصر، شركة المحروسة للنشر، القاهرة، ٢٠١٧، ص ص ٥٨-٦٣.

١٢ - د. عبـد السـلام ابراهيـم بغدادي، الدولـة العربية المعاصـرة بين اشـكالية المكونات الاثنيـة المغلقة وخيـار المؤسسـات(الوظيفيـة) المفتوحـة، مجلة

دراسات البيان، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد، العدد ١، حزيران، ٢٠١٧، ص ١١١.

١٣ - د. جمال شقرة، التهديد الاسلامي للغرب المعاصر بين صاموئيل هنتنغتون وجون اسبوسيتو، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ٢٠١٣. ص٧

١٤ - د. جمال شقرة، مشروع الشرق الاوسط الجديد وتغير الخريطة السياسية التي رسمت في سايكس بيكو، ورقة مقدمة الى المؤتمر الدولي (مائة عام على وعد بلفور) مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ٢٠١٧/١١/٥.

١٥ - المصدر نفسه.

١٦ - د. عامر هاشم عواد، عملية التغيير في المنطقة العربية والدور الامريكي واحتمالات المستقبل بالنسبة لدول الخليج العربية، ضمن وقائع المؤتمر العلمي الثامن لمركز دراسات الخليج العربي: الخليج العربي والتغييرك تحديات الواقع وافاق المستقبل، جامعة البصرة، ٢٠١٢، ص ٣٤٦-٣٤٧.

١٧ - هذا الراي للدكتور وحيد عبد المجيد، انظر بحثه، ربيع العرب وحروبهم: المخاض الاخير، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد ١٦٩، يناير ٢٠١٥، ص ٥٣

١٨ - غازي دحمان، الدور الامريكي الملتبس بالمنطقة كما تعكسه ازمة العلاقات السعودية الايرانية، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، العدد١٦٥، ربيع ٢٠١٦، ص ٤٢.

١٩ - سامي ريفيل، قطر واسرائيل، ملف العلاقات السرية، ترجمة محمد البحيري، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، ط ١، ٢٠١١، ص ٨.

٢٠ - ماجد كيالي، التوتر السعودي الايراني وتداعياته على القضايا الاقليمية الساخنة، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، العدد ١٦٥، ربيع ٢٠١٦، ص ٤٣.

٢١ - د. عامر هاشم عواد، الولايات المتحدة والقيادة العالمية « هل يمكن للقوة القاسية ان تعيد الشباب للشيخوخة الامريكية؟»، نشرة المرصد الدولي، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد، العدد ٢، ٢٠١٧.

٢٢ - حول الافكار الاساسية لسياسة اوباما تلك انظر: سيليفيان سيبل، اوباما من القوة القاسية الى القوة الناعمة، ضمن كتاب: اوضاع العالم ، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، ٢٠١١، ص ص ٣٤-٤١.

٢٣ - «الاتفاق النووي الإيراني وتداعياته الاستراتيجية «، حلقة نقاشية ، المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط ، القاهرة، ٢٠١٣/١٢/٣، http:// ١٦٩/ncmes.org/ar/events

٢٤ - خالد ناجي مهدي فندي، دور دول الاتحاد الاوربي في الاتفاق النووي الايراني لعام ٢٠١٥، بحث ترقية (غير منشور) معهد الخدمة الخارجية، وزارة الخارجية، بغداد، ٢٠١٧، ص ٧٦.

٢٥ - سعيد رفعت، النزاع السعودي الايراني.. طبيعته، وتبعاته، ومآلاته، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، العدد ١٦٥، ربيع ٢٠١٦، ص١٠.

٢٦ - غازي دحمان، مصدر سبق ذكره، ص ص ٤٤-٤٥

٢٧ - غازي دحمان، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨.

٢٨ - المصدر نفسه، ص ٤٧.

29 -Anthony H. Cordesman, Saudi Arabia and the United States: Common Interests and Continuing Sources of Tension, CSIS, Washington, February, 2016, pp: 3-4.

30 Yoel Guzansky, Erez Striem, Continuity and Change in US-Saudi Relations, Insight, No. 481, The Institute for National Security Studies, Tel Aviv, October, 2013, p:1.

٣١ - تقريـر: أوبامـا يصل إلى السـعودية وسـط توتر فـي العلاقـة بيـن البلديـن، موقـع فرانـس ٢٤، فـي: ٢٠ نيسـان ٢٠١٦. www.france٢٤.com/.../٢٠١٦٠٤٢٠.

٣٢ - تقرير: بعد إقـرار مقاضاة السـعودية..(التعاون) يحذر واشنطن، موقع فضائية روسيا اليوم، في: ١٣ أيلول ٢٠١٦.

https://arabic.rt.com/news/٨٤٠٥٤٩-

٣٣ - قاسم منفرد، فهم السياسة الخارجية لترامب وكيفية مواجهـة الجمهوريـة الايرانيـة، مجلـة مختارات ايرانية، مركز الدراسـات السياسـية والاستراتيجية بالاهـرام ، القاهـرة، العـدد١٩٢، فبراير ٢٠١٧، ص٦٥.

٣٤ - تقريـر: «جنـرال ديناميكس» تفـوز بعقد تصنيع مركبـات مدرعـة للسـعودية بـ ١٣ مليـار دولار، http:// .موقع اخبار ٢٤، في: ١٥ شباط ٢٠١٦ akhbaar24.argaam.com/article/detail/165313/

35 - Jeffrey A. Stacey, Strengthen Iran›s moderates before It›s Too late Running out of time in Iran, Foreign Affairs, March 2, 2017,

36 - Martin S. Indyk, 6 Elements of a strategy to push back on Iran›s hegemonic ambitions, Brookings, March 29, 2017.

ملف العدد

ملخصات بحوث المؤتمر العلمي لبيت الحكمة
الموسوم (إدارة مدينة الموصل بعد التحرير .. رؤية سياسية واجتماعية وأمنية)

ظاهرة التطرف وأزمة الاعتدال

د. احسان الأمين (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

(وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً).

(سورة البقرة /١٤٣)

الحضور الكريم..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أُبارك لهذا الجمع الكريم مؤتمره العلمي حول(ظاهرة التطرف وأزمة الاعتدال) والذي يقيمه بيت الحكمة.

وقد قارب الصواب، عنوانُ المؤتمر كما قارب ذلك في معالجته اجتماعياً، فالتطرف أياً كانت تجلياته وظواهره، هو سلوك اجتماعي قد يتخذ أشكالاً متغيرة، فردية أو مجتمعية، فكرية أو سياسية، تربوية أودينية، وهو يبتدأ عادة من البيت مروراً بالمدرسة والمجتمع، ويتأثر بمناهج التربية والتعليم، كما يتأثر بشكل كبير بالدولة وسياساتها، وهو يترتب على الاطلاقية والشمولية في النظرة والفكرة، وعلى الحدية والعصبية في المنهج والسلوك.

وينتج عن ذلك عنفاً عائلياً، وعنفاً مدرسياً، وغلظة وعصبية اجتماعية، وتشدد وتعنف سياسي، قد تشترك فيه جماعات ودول، ولذا لم يخلُ تاريخ البشرية يوماً من العنف والتطرف.

في قصة هابيل وقابيل نقرأ:

(لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يَدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين) (المائدة/٢٨).

كما لم تخلُ جماعة أو ايدولوجية، قومية أو طبقية، دينية أو دنيوية، من اتجاهات متطرفة

(*) رئيس مجلس أمناء بيت الحكمة

وسلوك عنفي، يشهد بذلك تاريخنا المعاصر فضلاً عن تاريخنا القديم، فكان التطرف والاستخدام المفرط للقوة والعنف في سلوكيات الدول الكبرى، شرقية كانت أم غربية، رجعية كانت أم تقدمية، تقليدية كانت أم حداثوية...

إن أعلى درجات التطرف هو إرهاب الدولة، ومن أبرز مصاديقهو سلوك الدولة الصهيونية وما ارتكبته وترتكبه من جرائم بحق شعبنا الفلسطيني على مرأى ومسمع من العالم، وسكوتٍ وربما رضاً من بعض الدول، فلم نسمع استنكاراً ولا احتقاراً لهذا السلوك المشين من الدول الكبرى، ولاسيما الغربية منها، رغم الانتهاكات اليومية المتكررة لحقوق الانسان والتمرد على قرارات الأمم المتحدة، والقتل والتعذيب المستمر لأبناء الشعب الفلسطيني، وما نشهده اليوم من انتفاضة أسراه في سجون الاحتلال البغيضة.

السيدات والسادة...

إن من ميزات وامتيازات المقاربات العلمية الاجتماعية تناولها ودراستها للظواهر من زوايا متعددة مبتعدة عن التفسيرات الايدولوجية المسبقة أو المقاربات المبنية على البعد الواحد والعامل الواحد، والتي غالباً ما تخرج بنتائج تبسيطية وتسطيحية، لا تثمر عن فائدة عملية لأنها لا تقترب من الواقع ولا تقاربه بمنهج علمي.

إننا بحاجة الى إعادة النظر وتأصيل البحث حتى في بعض التعاريف والتوصيفات المتداولة لعنوان التطرف، وقد عرفها البعض، بأنه الخروج عن القيم والمعايير والعادات الشائعة في المجتمع، فكيف إذا كانت بعضُ هذه القيم تبيحُ استخدام القوة، وبعض هذه العادات من أكثر مظاهر السلوك الاجتماعي عدوانيةً وتطرفاً.

ان استخدام عنوان التطرف، من قبل آخرين، كثيراً ما يصاحبه استغلال سياسي، تمرير خطط وحتى شن حروب، كما قال عالم الاجتماع جيروم هيميلستاين: «في أحسن الأحوال هذا الوصف التشخيصي لا يدل على شيء محسوس عن الأشخاص الموصومين به، وفي أسوأ الأحوال يرسم صورة خاطئة».

إننا بحاجة الى وقفة شجاعة من علماء الاجتماع وباحثيه الاكاديميين لدراسة الشخصية في مجتمعاتنا لتبيين نقاط القوة لتنميتها وتشخيص نقاط الضعف والعتمة لمعالجتها ومن أهمها التطرف والضعف، فلسنا بمعصومين ولا بمستثنين من القوانين والسنن الاجتماعية، وما يجري على الحضارات نشوءً وارتقاءً وضعفاً وشيخوخة، ومن يَعِشْ حالةَ الزهو والافتخار والتغني بالأمجاد التاريخية دون كد وبذل جهد واتباع مناهج علمية وتقنية عملية ناجعة، لا يكتب له النجاح، فلا يمكن تأسيس حضارة أو بناء مدنية على الكسل والتمني.

لقد مرُّ الكثير من شعوبنا المعاصرة بأزماتٍ ونكسات، ولكنها تخطت تلك الفترات المؤلمة والمظلمة، بمزيد من الجهد والعمل المخلص، القائم على العلم والمعرفة والتضحية من سائر أبناء المجتمع وشعورهم بالمسؤولية العامة تجاهِ كلِ مرفقٍ من مرافقه، كان فيها المواطن يحرص على حفظ كل ممتلكات الدولة

ومواردهـا وسـلامة بيئتها ونظافة شـوارعها وأزقتها والالتزام بالقانـون ومراعاة المصلحة العامة.

السيدات الكريمات...

السادة الأفاضل...

إنّ لظاهـرة التطـرف عمقٌ تاريخـيٌ وجذورٌ وعَقْديةٍ ومناشئَ فكريةٍ وثقافية، كما إنّ لها علاقةٌ بالإرثِ الاجتماعـي والعاداتِ والتقاليد ومناهجِ التعامل القائمة على التخطئة والتصويب المطلقَ وإلغاء الآخر،... ومن المنطقي إنها تتغذى وتنمو بفعل الأوضاع السياسـية والاقتصادية، كما لا يمكـن تغافل عوامل الاسـتغلال من قبل القوى الدوليـة والصراعات الاقليميـة، فكانت بعض الـدول مقراً والأخرى ممـراً للإرهاب إلىبلدنا الـذي كان مقصداً للإرهاب وهدفـاً للجماعات المتطرفة، راح ضحيتها الملايين من المشردين وعشرات الآلاف من القتلى والجرحى.

ورغـم كل ذي وذاك، سـجل العراقيون وعبر تضحيات قواهم الأمنية وحشدهم الشعبي ملاحم السَـبَقِ والبطولةِ في مكافحـةِ الارهاب، فكانوا في خط الدفاع الأول عن القيم الإنسانية للبشرية جمعاء.

لقد واجهت المنطقة وللأسف الشديد مَداً ظُلامياً تكفيريـاً اتخذ الدينَ شـعاراً وسـتاراً لأغراضه الشـيطانية الخبيثة، واعتمد كما في الدراسـات الميدانيـة، ومنها أجريت في العراق والمغرب، اعتمد علـى الجهلة ومنخفضـي التعليم، وخلا لحسن الحظ من العلماء والمثقفين، لأن شعاراتِهِ وأفكارَهُ لا تنطلي على ذي لبٍ أو قلب سليم.

إنّ المتطرف الدينـي يقرأ النص الديني برؤيةٍ مُسَـبَّقة وأفكارٍ جاهزة، فهو يُقدِّر ويقرّر أولاً ثم يقرأ في النص رأيه وفكره ثانياً لِيؤوله بما يتفق مع زيغه وضلاله.

إنـه يقطّـع النصـوص ويعزلهـا عن سـياقها ويجرّدها من ظروفها التي نزلت فيها ولا يرجع في تأويلها الى الآيات المحكمات الحاكمة وروح الشريعة السمحاء السائرة في سائر تشريعاته.

إنه يقرأ: (وقاتلوا في سبيل الله)

ولا يتـم الآية فهـي تنص: (وقاتلوا في سـبيل الله الذيـن يقاتلونكم ولا تعتـدوا إن الله لا يحب المعتدين) (البقرة/١٩٠)

فالآية تشرع القتال الدفاعي وتنهى عن العدوان بلفـظٍ صريحٍ ونصٍ جلي، ولكنـه يعلنها عنواناً لبغيه وعدوانه.

وبغض الطرف عن قوله تعالى:

(لا ينهاكـم الله عن الذين لـم يُقاتلوكم في الدين ولم يُخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وَتُقسِـطوا إليهم إنّ اللهَ يُحبُّ المُقسطين)(الممتحنة/٦٠).

وهكذا فإنه يجب دراسـة آيات الجهاد وما ورد فيهـا من الأمـر بالقتـال، من خـلال الإحاطة بأسـباب نزولها، وسـياق الآيـات التي وردت فيهـا، وبالرجوع الى سـائر الآيـات، والروح العامـة الحاكمة على الشـريعة ومـا جاءت به من النهي عـن الإكراه في الدين والأمر بالعدل والإحسـان ونشـر الفضيلة ومـكارم الاخلاق واشاعة روح المودة والتسامح.

وهـذا ما جاء به القرآن الكريم وأكدته السـيرة النبويـة العطرة، فلم يأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً ولا أحداً بقتل إنسان لِفكره

واعتقـاده وإنمـا كلمـا أمـر بـه هـو مواجهة المعتديـن لِبغيهـم وَعُدوانِهم. وهذا هـو الدفاع المشـروع الذي تقره جميع الشـرائع السماوية والقوانين الوضيعية.

فـإن المعتدي –كداعش- لا تفرش له السـجادة الحمـراء، ليقتـل وينهـب ويعتـدي ويسـلب ، وإنمـا يواجـه بالقـوة وصـد العـدوان بالمثل، وهذا مصـداق لقوله تعالى: (فمن اعتدى عليكم فاعتـدوا عليه بمثل ما اعتـدى عليكم) (البقرة/ ١٩٤).

أخيـــراً...

إن معركة تحريـر الأرض في الموصل تخطُّ فصولَهـا الأخيرة لكن معركةَ تحريرِ الإنسـانِ فِكـراً وَسُـلوكاً لازالت في بداياتهـا، وعلينا أن نتعامـل معهـا بعلميـة وموضوعية بدراسـات معمقـة قائمة على بيانـات ومعلومـات دقيقة، لِنؤسـس لِمجتمـع وسـطي يتعايش فيـه أفراد متوازنون ومتعاونون، بأمن وسـلام، واحترام وتقبل للآخر، وانفتاح على الأمم والشعوب في أجواء من التعقل والحوار.

وهذا هـو المؤمل من بحوث النخبـة الممتازة من العلماء والأكاديميين، لهذا المؤتمر الكريم، آملين له النجاح.. ومن الله التوفيق..

ختاماً أشـكر الحضور الكريم على مشاركتهم وأخص بالشكر لجان المؤتمر التي ساهمت في إعداده، وأُحيي باسـمكم جميعاً الأستاذ الدكتور متعـب مناف المشـرف على قسـم الدراسـات الاجتماعية داعياً له بالصحة والشفاء والعافية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

الجوانب القيمية والتربوية لإعادة إعمار الجامعات العراقية ومواجهة التحديات

أ.د. صلاح عبد القادر النعيمي (*)

تعُـد الجامعـات العراقية من المؤسسـات العلمية والتعليمية العريقة بين جامعات العالم ، ولا سيما على مستوى المنطقة والشرق الأوسط ... وقـد تأرجـح موقع هـذه الجامعـات خلال العقود الأخيـرة ومنذ بداية التسعينيات،بسـبب مجمـل الظـروف التـي واجهت العـراق بدءاً بالمخططات التي اسـتهدفت إضعـاف العراق من خـارج الحـدود ... والإجـراءات الخاطئة والبرامـج المتلكئة التـي أبعدت الجامعات عن أهدافهـا الحقيقية وأقحمتها في خضم التوجّهات السياسـية ومتطلبات الحصـار والحروب قبل عـام ٢٠٠٣، والارتبـاك المرتبـط بالظروف الاقتصاديـة والسياسـية والاجتماعيـة لما بعد التغيير في عام ٢٠٠٣.

وكانت عمليات تدميـر البنى التحتية لأكثر من مرة في السـابق وماقامت به قوى الإرهاب والتطـرف فـي محافظـات شـمال بغـداد في المرحلة الحالية، فهي أسـباب متراكمة أسهمت في عرقلة مسـيرة التطور والنهـوض بالتعليم العالي في العراق.

إن العودة إلى تنقية أجواء الجامعات وتعزيز قدراتها العلميـة والتربوية وإعادتهاإلى المواقع التي تسـتحقها بيـن جامعات العالـم ... يتطلب تشـخيص مكامن الخلل التـي أفرزتها ظروف السـنوات الطويلـة مـن الحـروب والحصـار والإرهـاب، ثـم البـدء بوضـع المعالجـات الصحيحة وفقاً للأولويات، ولا سيما أن موازنة العـراق تعاني مـن اهتزازات واضحة بسـبب تراجع أسـعار النفط وركود الاقتصاد العراقي أحادي الجانب

أولاً : الأطراف الجوهرية للعملية التعليمية

من السهل أحيانا أعادة البنى التحتية وإقامة المبانـي الجامعية بأفضل المخططـات المدنية وبناء المدن الجامعيـة ..... الا أن الصعوبة الحقيقية تكمن في إعادة بناء(الانسان والمنهج) وهمـا محوران أساسـيان فـي التعليـم العالي، بدونهمـا لايمكن الارتقاء بالعمليـة التعليمية أو مواكبة التطور ومواجهة التحديات .

الطالب والموظف والأستاذ الجامعي :

معادلة صعبة، تحتاج أكثر من وقفة تأمل، تبدأ بإعادة الثقة لهذه الشـريحة ودورها في تطوير المجتمع. .. مما يعني وجود حاجة أساسـية إلى برامـج علمية لتعزيـز القيم الجامعيـة والولاء الوطني وتحفيز الطموح لدى هذه الفئات الثلاث بوصفهـا البدايـة الحقيقية للنهـوض بالمجتمع والسياسة والاقتصاد الوطني، مايعني ضرورة: العمل على تعزيـز روح الانتماء والولاء للعلم والوطن.

التحفيز وتهيئة سـبل تطويـر النتاجات العلمية والبحث العلمي والتوجه نحو المستقبل.

(*) مستشار وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

ترسيخ مفاهيم الشفافية في الأداءوالإخلاص في الواجب العلمي والتربوي وبث مبادئ التعاون والعمل بروح الفريق الواحد تحت برنامج « مجتمع العلم والمعرفة « الذي ينبغي أن يتميز عن فئات المجتمع الأخرى بوحدة توجهاته والتفاعل المشترك باتجاه الإبداع والمعرفة والتطوير .

مايعني باختصار (العودة الى الجذور) وتلك السمات التي تميّز بها المعلم والأستاذ الجامعي والطالب عبر مراحل التاريخ في العراق .

المنهج الدراسي :

معادلة أكثر صعوبة ، تتطلب التخلص من عقدة التأثير السلبي في بعض المناهج الدراسية واختراقها لأهداف مرتبطة بالسياسة أحياناً ، كما كان الأمر ضمن توجهات النظام السابق ، أو أهداف مرتبطة بالخوف من المستقبل وفقدان الثقة بين الأطراف والأطياف المتعددة كما يحصل في الظروف الحالية ... ما يستدعي اتخاذ مجموعة من الإجراءات ذات الطابع الفكري المستقل ، ومن ذلك التوجه لبناء مناهج دراسية يكون أساسها العلم وحب الوطن والمحبة وتعزيز متطلبات الدين ، وفقاً لما يأتي :اعتماد منهج الاسلام واحترام الأديان وتكامل رسالتها ، في إطار مناهج الدراسات الاسلامية والعلوم الانسانية باتجاه تعزيز قيم التوحيد والتسامح ونشر المحبة والجمع بين كل مايوّحد الأديان و المذاهب والأطياف داخل حدود الوطن .

الاهتمام بمواكبة حداثة المناهج الدراسية في العالم والتطوير بمستويات متقدمة ،تستهدف الممازحة بين تاريخ وتراث وحضارة العراق وما يحدث من تطور علمي في جامعات العالم ومراكزه العلمية التعليمية والبحثية الرصينة ... ضمن إطار مبادئ الجودة والاعتماد الأكاديمي

البنى التحتية:

إن إصرار الإرهاب على هدم كل ما بناه العراقيون يدفعنا للتحدّي بقوة في سبيل إعادة إحياء تراثنا وحضارتنا وتدعيم أسس الحاضر وبناء المستقبل .

وإن تحقيق هذه الأهداف الاستراتيجية يتطلب إعادة بنى تحتية تتميز بالعمق الحضاري وتُستمد من روح العصر في آن واحد .

ما يعني أن لايكون البناء تقليدياً ، وأن لايتأثر بما حاول الإرهاب أن يزرع فينا من آمال مفقودة وأفكار مشتته ... وعلى العكس ينبغي أن نفكر بتوجيه الجهد الهندسي والجهد العلمي والجهد التربوي للتفاعل المشترك ، من أجل أعادة بناء مدن جامعية تتوافر فيها متطلبات العصر وعمق التأريخ والحضارة العراقية وقيم الدين الاسلامي والأديان الأخرى .

ينبغي أن يكون البناء شامخاً دونما أية خدوش تسببّت فيها قوى الإرهاب،وعلينا أن نستعيد عافيتنا بالمضي الى أمام دونما التفاته الى ماجرى في الماضي ... تلك هي الحكمة في مواجهة الإرهاب ومواجهة التحديات .

ختاماً :

العراقيون قادرون على تحقيق هذه الأهداف طالما وضع المخططون في التعليم العالي نصب أعينهم (أن علينا أن نتقدم) .. وأن نتطور معاً ما يعني تنقية الأجواء وتصفية النفوس وتبنى الأهداف المشتركة لإعادة بناء الثقة ... وذلك حلم ورؤية بالإمكان تحقيقهما وفقاً لما عرف به العراقيون من عزيمة وإصرار وتحَدي .

أفكار ومقترحات من أجل النهوض بالموصل من جديد

أ.د. ابراهيم خليل العلاف (*)
أ.د. هاشم يحيى الملاح (*)

ابتداءً الموصل ليست مدينة فحسب ؛ إنها تاريخ وحضارة وموقف .. إنها (رأس العراق) وما شهدته خلال السنوات الثلاث المنصرمة وابتداءً من التاسع من حزيران ٢٠١٤ حين سيطر عليها الظلاميون وتركوها مدمرة خاوية على عروشها . الموصل اليوم ومحافظة نينوى وبعد تحريرها من قبل جيشنا الباسل والقوات الامنية الاخرى ، بحاجة الى من يقيل عثرتها ويضمد جراحها ، ويعمل من أجل إعادة الحياة اليها وشعب الموصل ، كما هو معروف، شعب حي ، ومنضبط ، ويحب القانون ، ويصر على ان يرتبط بالمركز فهي مدينة متحضرة متمدنة فاعلة عرف اهلها بجديتم وحبهم للحياة وحبهم للقانون . ومن هنا نرى وجوب مايلي :

السعي بإتجاه اعادة المهجرين والنازحين الى مواطنهم ، وهم قد وصلوا الى المليون من أصل ثلاثة ملايين ونصف المليون الذي هو تعداد سكان محافظة نينوى .وطبيعي هذا يتم من خلال برنامج وخطة تؤمن مناطقهم وتساعدهم اقتصاديا واجتماعيا ونفسيا .

العمل على الغاء كل المواقع البديلة في اقليم كردستان العراق ، والزام الجميع بالعودة بدون استثناء ، الالتحاق بدوائرهم فورا واعادة العمل بها .

ضرورة صرف رواتب موظفي محافظة نينوى المدخرة والمستحقة لمساعدتهم في اصلاح اوضاعهم الاقتصادية ودوران دولاب الاقتصاد في المدينة والمحافظة .

العمل فورا على اصلاح الجسور الخمسة المدمرة في مدينة الموصل لاعادة شرايين الحياة الى المدينة ، واعادة التواصل بين الضفتين اليمنى واليسرى .

القيام بحملة واسعة لتبليط الشوارع ، وردم الحفر واعادة الساحات والجزرات الوسطية فضلا عن اصلاح مشاريع الماء والكهرباء والخدمات البلدية الاخرى .

المبادرة الى مراجعة خطط إعمار وتخطيط المدينة في ضوء ما اصابها من دمار هائل ولاسيما في الجانب الايمن منها ونقترح الاستفادة في هذا المجال بالخبرات العلمية المحلية والعراقية والعالمية من أجل إعادة اعمار المدينة وفق أسس جديدة تجمع بين الاصالة والمعاصرة .

وهنا لابد ان نقول ان الفرصة قد حانت لإعادة بناء المدينة العريقة ليس وفق طرق عشوائية ولاسيما بالنسبة للمعالم العامة للمدينة كالشوارع والطرقات والحدائق والساحات والابنية التراثية والاثارية والدينية ..ومنها آثار النمرود وخورسيباط ونينوى والحضر والجامع النوري الكبير وجامع النبي يونس وجامع النبي

(*) جامعة الموصل

شيت وجامع النبي جرجيس والكنائس والاديرة والمعابد .ايجاد وسائل طرق واساليب لتحفيز الاهالي على المسارعة في إعمار المدينة بجهودهم الخاصة من خلال تقديم القروض المصرفية ومن دون فائدة وتفعيل السلف للموظفين والمواطنين لكي يبدأوا مشاريع اقتصادية تعينهم على الاسهام في البناء. إطلاق حملة وطنية واقليمية ودولية من أجل جمع التبرعات الكبيرة لصندوق إعمار المناطق المحررة ، وعرض حوافز للدول والمنظمات واثرياء العالم للمساهمة في حملة الاعمار من خلال الربط بين اسمائهم والمشاريع التي سيتولون الانفاق على اعمارها كالمدارس والمستشفيات والمساجد والكنائس والمعامل والجامعات والجسور والمباني العامة والمجمعات السكنية لاسكان اصحاب الدور المدمرة .اصدار شهادات واوسمة تكريمية لابطال عملية البناء والاعمار في العراق تمنح في احتفال سنوي مهيب للاشخاص والمؤسسات والدول التي كان لها مساهمات مؤشرة في هذا المجال فضلا عن وضع لوحات بارزة على المباني والمشاريع التي يتم انجازها بفضل اموال المتبرعين تخليدا لكل من اسهم في عملية إعادة الاعمار

إنشاء مركز بحوث متخصص في مكافحة الفكر الظلامي والارهابي في جامعة الموصل يتولى توثيق ما حل بالمدينة وبالعراق من خراب بسبب الفكر المتخلف ومواصلة اجراء البحوث والدراسات وعقد ورش العمل والدورات والندوات والمؤتمرات في هذا المجال .

ان هذه المقترحات هي جزء من برنامج ومشروع للنهوض بالموصل واعادة اعمارها ومواجهة الفكر الظلامي ولهذا المشروع ابعاد سياسية وادارية واقتصادية واجتماعية وثقافية ودينية وعسكرية .ويرتكز هذا المشروع على أسس مبدئية تعتد على اشاعة مبدأ الوطنية الحقة ونبذ النزعات المذهبية والطائفية والعشائرية والعنصرية التي أرجعت العراق الى الوراء وأبعدته عن محيطه العربي .ومن هنا لابد ان تسهم الجامعات ، والاسر والعوائل، ووسائل الاعلام ، والمراكز الدينية والمدارس في اشاعة فكرة المواطنة والكف عن التعامل مع ابناء نينوى على اساس المكونات الطائفية والقومية والقبلية والعرقية لان من شأن هذه النزعات ان تمزق العراق ، وتشعل نار الانقسامات والحروب بين ابنائه .وهنا نقطة مركزية مهمة وهي انه بعد سيطرة (تنظيم داعش الظلامي) على الموصل كل هذه السنوات الثلاث ،، لابد من إيلاء الملف الامني اهمية كبيرة وعدم افساح المجال لعودة الفوضى والارهاب والتسلط على المدينة والمحافظة من جديد والاكثر من هذا لابد من اعتبار ضبط الامن مقدمة لكل الجهود التي ستبذل في عملية البناء والاعمار .يقينا ان عملية اعادة بناء الموصل ومحافظة نينوى هي جزء مكمل لاعادة بناء العراق كله ؛ فتحرير الموصل من قبل ابطال جيشنا العراقي العظيم بكافة صنوفه وتشكيلاته كان نهاية لمؤامرة تقسيم العراق .كما ان تحرير الموصل وحد العراق ووحد كل العراقيين وساعد على سيادة النزعة الوطنية حيث ان الدماء التي سالت على ارض محافظة نينوى لم تكن بلا ثمن .لقد ضحى العراقيون من الجنوب والوسط والشمال بأبنائهم الابطال الميامين لكي ينقذوا الموصل من الظلاميين ويعيدونها الى حضن العراق العظيم لذلك لابد ان نقف اجلالاً واحتراماً .. واعتزازاً وتقديراً لاولئك الذين ضحوا بأنفسهم من اجل وحدة العراق وان تكون لهم في قلوبنا وعقولنا وضمائرنا مكانة رفيعة وذكرى لاتنساها ابدا .كما يجب ان نشيد بجهود جهاز مكافحة الارهاب وابطاله الاسدي والساعدي والسعدي وبجهود الشرطة الاتحادية والرد السريع والشرطة والحشد وكل من قدم التضحيات من اجل وحدة العراق .الرحمة للشهداء من عسكريين ومدنيين وفي عليين ان شاء الله والشفاء العاجل للمصابين .

إن خدمة العراق شرف لكل عراقي وطني وإعادة بنائه واجب على كل عراقي وطني ، ولابد ان تكون لنا وقفة مع برنامج شامل لكل العراق يرتكز على (إستراتيجية شاملة) .. إستراتيجية تربوية واقتصادية ، واجتماعية وادارية ، وسياسية ودبلوماسية تعيد الزراعة والصناعة والتجارة والثقافة الى وضعها السابق وافضل .لابد ان نعيد النظر في الدستور وفي النظام السياسي ، وفي النظام الاقتصادي .. لكي يعود العراق موحدا قويا مهابا له مكانته المتميزة عربيا واقليمياً ودولياً .

الإدارة الأمنية في محافظة نينوى بعد التحرير

اللواء الركن المتقاعد
محمود احمد عزت (*)

الحمد لله الذي جمعنا اليوم لنحتفل بنصر انتظرناه طويلاً، الحمد لله الذي ادخل الفرحة في نفوسنا بتحرير الموصل .

اليوم ننظر بتقدير عظيم إلى القوى والأسلحة التي صنعت التحرير وننحني إجلالاً لشهدائنا الذين لولاهم لما يكن هذا التحرير .

لقد كانت معارك قواتنا المسلحة طوال عمليات التحرير نظيفة وتميزت بمعان إنسانية سامية، وللذين قاتلوا الحق أن يعلو صدورهم وسام «الإنسانية» .

لقد كانت المعارك امتحاناً صعباً تجاوزه المقاتلون بجدارة، وهذا هو تقديرنا نحن العسكريون المهنيون لما جرى نظراً لفهمنا لتعقيدات وظروف القتال في المناطق المبنية، ولاسيما عندما تكون المدينة كبيرة جداً ويتحصن فيها العدو خلف أهل وأحباء لنا نحرص على أن لا يلحقهم الأذى .

وفي مستهل الحديث، يجب أن نعلم أن انتصارنا على «داعش» وانتزاعنا الأرض منه كان نصف الطريق الذي قطعناه إلى الهدف، وان النصف الآخر إلى الهدف لتحقيق النصر النهائي واقتلاع جذوره ـ معالجة الأسباب التي أدت إلى ظهوره ـ وهو الأصعب، ومَثَلُه مثل مرض لا يكفي التصدي لأعراضه، بل يجب معالجة أسبابه لكي لا يعود .وفي الحقيقة، أسباب ظهور الإرهاب في العراق كانت واضحة وأنذرت بالخطر، وبعد طرد «داعش» أصبحت الأسباب أكثر وضوحاً، ونحن الآن أمام مسؤولية وطنية وعلينا أن نتحرك .

أن إعادة الأمن والاستقرار إلى محافظة نينوى بعد تحرير الموصل مسألتان في غاية الأهمية لأنهما يؤسسان القاعدة التي تبدأ منها الإجراءات الأخرى إلى النجاح ومن دونهما الجهود كلها تكون هواءً في شبك.

لقد انتقل «داعش» إلى العراق في ظروف الارتباك السياسي وضعف إدارة القوات المسلحة والإهمال الكبير في إعدادها وتوجيهها واحتل محافظة الانبار وأجزاء كبيرة من

(*) عضو الفريق الاستشاري لقسم الدراسات السياسية والاستراتيجية -بيت الحكمة

محافظتي صلاح الدين وديالى ثم محافظة نينوى في ١٠حزيران ٢٠١٤ وفي ٢٦ منه ومن مركز المحافظة مدينة الموصل أعلن الخلافة الإسلامية المزعومة .ووضع هذا الانجاز وقبله احتلاله الرقة في سوريا في مخيلته انه انتزع سلطة إدارة العالم الإسلامي وسيقيم إمبراطورية إسلامية تحكم بدين وضع هو قواعده وتعليماته وتبين أن لا علاقة له بدين الإسلام وقيم الرحمة والأمن والسلام التي حملها إلى البشرية كلها وأصلح بها الإنسان والإنسانية باعتراف غير المسلمين .

أن الحكومة بعد تحرير الموصل ستواجه حزمة مركبة من التهديدات الأمنية الخطيرة نشير إلى أهمها :

١.إستراتيجية عنف بديلة سوف يلجأ إليها «داعش» بقوة لإدامة معنويات مقاتليه بعد خسارته الأرض والخلافة وستكون عبارة عن سلسلة مكثفة من أعمال القتل والتخريب يختار وقتها ومكانها .

٢.ظهور خلافات وتوترات مع إقليم كردستان بشان المناطق التي حررتها قوات البيشمركة وتلك التي تسمى بالمناطق المتنازع عليها .

٣.وجود قوات ومليشيات من دول الإقليم في مواقع معينة من المحافظة تشكل بؤر قلق لا يتحقق الأمن والاستقرار مع استمرار وجودها

وقد تظهر تهديدات أمنية أخرى اقل خطورة، مثل تجاوزات وتصفيات وتهديدات تمارسها مليشيات وعشائر وعناصر مندسة لإرباك الأمن والاستقرار وصدامات وخلافات عشائرية وحوادث قتل للثأر والانتقام وعمليات تزوير وانتحال شخصيات للسيطرة على أملاك وعقارات أو تحويل ملكياتها وأعمال عصابات منظمة للسرقة والنصب والاحتيال والابتزاز .

في وجود هذه التحديات الأمنية الخطيرة وفي ظل ظروف نينوى الصعبة والحاجة إلى حماية وحدة ارض العراق، يبدو أن الإدارة المناسبة للموصل والأوفر حظاً في النجاح، هي إدارة عسكرية يرأسها حاكم عسكري يدير المحافظة لمدة سنتين قابلة للتمديد .

أن خيار الإدارة العسكرية في نينوى في الحقيقة هو آخر الخيارات في قائمة الإدارات المعروفة، لكن يفرض نفسه في ظروف الموصل الخاصة والعراق العامة وعلى الذين قد يعارضون فكرة الإدارة العسكرية أن يقدموا البديل .

هنا أشير إلى أساسيات فكرة الإدارة العسكرية وهي بحاجة إلى تفاصيل يمكن إعدادها في حالة الأخذ بها :

١.تسمية إدارة عسكرية مرحلية في محافظة نينوى بمرسوم جمهوري .

٢.تكون الإدارة العسكرية بديلة للإدارة المدنية ويوقف العمل بالقوانين والأنظمة الاعتيادية مؤقتاً لمدة سنتين، يمكن تمديدها عند الضرورة وتُعلن مدينة الموصل مدينة منكوبة والعمل بحالة الطوارئ فيها وتوجه النداءات إلى الأمم المتحدة ودول العالم والجمعيات والمنظمات العالمية الخيرية والإنسانية لتقديم المساعدات

،ولا تكون المساعدات المالية فقط لإعادة بناء المدينة، بل كافة المساعدات العلمية والتقنية والاجتماعية والنفسية اللازمة لإعادة بناء الفرد والمجتمع في الموصل، ويجب أن تسبق مساعدات الدول العربية المساعدات الأخرى .

٣.يُعين ضابط برتبة كبيرة حاكماً عسكرياً في المحافظة ويساعده ثلاثة نواب يتم اختيارهم من بين القادة الذين شاركوا في تحرير الموصل وكسبوا ثقة أهلها ويمكن أيضاً أن يكونوا من بين ضباط الموصل الذين لم تكن لهم علاقة حزبية سابقاً أو لاحقاً .

٤.يشكل الحاكم العسكري مجلس إدارة مدنية من مثقفي ووجهاء وشيوخ عشائر المحافظة ويفضل أن لا يكون من بينهم مدنيون كانوا في مواقع المسؤولية المدنية قبل سقوط الموصل ويكون هذا المجلس مسؤولاً عن الإدارة والخدمات المدنية ويرتبط بالحاكم العسكري ويعمل بتوجيهاته .

٥.تخصيص ثلاث فرق عسكرية ووحدات شرطة من القطعات التي شاركت في تحرير الموصل وكسبت ثقة أهلها وترابط في المحافظة، كما يشكل الحاكم العسكري قوات شرطة وأمن من سكان المحافظة وترتبط به كافة القوات ويستخدمها ضمن حدود المحافظة

٦.يتم إبعاد المليشيات العراقية وأي قوات ومليشيات إقليمية إلى خارج حدود المحافظة وعلى الحكومة أن تهتم بتنفيذ هذه المهمة مسبقاً بالوسائل السياسية .

إن المهمة الوطنية للإدارة العسكرية هي ضبط الملف الأمني وإعادة الأمن والاستقرار والحياة المدنية الطبيعية إلى المحافظة بمزيج من استخدام القوة والسياسة العقلانية .

وهناك أمور إضافية تساعد على ضبط الملف الأمني هي :

١.إعادة البنية التحتية إلى المدينة لتوفير الخدمات .

٢.إعادة النازحين إلى مساكنهم وتعويضهم

٣.إنجاز التحقيقات بسرعة مع المشتبه بهم بالقتال إلى جانب «داعش» أو التعاون معهم ومحاسبة الذين يثبت ارتكابهم الجرائم وليعود الآخرون إلى أعمالهم، ومن الضروري تقدير الضغوط ألتي تعرض لها أهل الموصل تحت سيطرة «داعش» لأكثر من ثلاث سنوات، وتغيير مخاوفهم من أنهم بعد هذه المدة أصبحوا بشكل أو بآخر مواضع شبهات .

٤.البحث عن المفقودين خلال المعارك وإعادتهم إلى أهليهم أو إخبارهم عن مصائرهم

٥.الإعلان عن نتائج تحقيق سقوط الموصل ومحاسبة المدانين لما لها من تأثير على الأمن والاستقرار وتهدئة النفوس .

ومن حيث ارتباط الحاكم العسكري وإدارته، فأن الحاكم يرتبط بالقائد العام للقوات المسلحة رئيس الوزراء ويكون تعديل مهمته بأمر منه وأما إنهاؤها فيتم بمرسوم جمهوري وترتبط الإدارة العسكرية بأقسامها كافة بالحاكم العسكري .

أما صلاحيات الحاكم العسكري ورئيس الإدارة المدنية فتحدد بمرسوم جمهوري ويراعى فيها

منـح حريــة عمل واســعة للإدارة العســكرية، يمكن بها القيام بالمهمة وتتضمن :

١.يكون الحاكم العســكري قائداً عاماً للقطعات العســكرية والشــرطة والأمن التــي تخصص للمحافظــة وللقــوات ألتي يتم تشــكيلها من قبله ويستخدمها ضمن حدود المحافظة .

٢.للحاكم العسكري إصدار القوانين والأنظمة الوقتية التي يراها مناسبة للإدارة .

٣.ينســق مع الحكومة معالجة القضايا الأمنية التي يكون لإقليم كردســتان طرفاً فيها ويحتفظ بحق الدفاع عن النفس في حالات التجاوز .

٤.تودع المساعدات المالية الداخلية والخارجية لأعمار المحافظة فــي البنك المركزي العراقي ولا يتم السحب منها إلا بموافقة الحاكم العسكري وبعلــم رئيس الإدارة المدنيــة وللأغراض ألتي يتــم تقديمها وتُنفذ عقــود الإعمار بعلم الحكومة وحضــور الحاكــم العســكري ولوزيــر المالية الاعتراض خلاف ذلك .

٥.تكــون للحاكــم العســكري ونوابــه ورئيس الإدارة المدنية صلاحية اللقاء بمســؤولي حدود دول الجوار أو قوات البيشمركة لبحث المشاكل الأمنية التي تتطلب اللقاء والحل .

هناك أمور أخرى تســاعد علــى نجاح الإدارة العسكرية ينبغي الاهتمام بها وهي :

١.إقامة منظومة اســتخبارات قويــة يمكن بها ملاحقــة الخلايــا الإرهابية وتدميرهــا قبل أن تتحرك، وكذلك إنشاء خلية إعلام وتصريحات يتم توجيه عملها بدقة من قبل الحاكم العســكري ضمن سياسته الإدارية ورؤى الحكومة .

٢.إدامة العلاقة والتعــاون مع التحالف الدولي ودول الجوار بشــأن مواصلــة عمليات مكافحة الإرهــاب عن طريق تبــادل المعلومات وتقديم الإسناد الجوي أو أي نوع آخر من الإسناد الذي تدعو الحاجة إليه .

٣.تفعيــل الاتفاقية الأمنية المعقودة بين العراق والولايــات المتحــدة بما يعزز قــدرات العراق في مواجهة المشــاكل الرئيســة، وينبغي إيجاد صيغة لاســتمرار بقاء المعدات الفنية والأسلحة المتطورة وحتى وحدات برية خاصة من قوات التحالــف الدولــي فــي المحافظــة لحين فرض الأمن والاستقرار .

٤.الإســراع بإخــراج «داعــش» مــن تلعفــر والحويجة وعانــة وراوة والقائم، وينبغي البدء بتحرير تلعفر لتأثيرها على امن الموصل .

٥.لقد تحقق النصر في رئاسة الدكتور ألعبادي ومنحــه ذلــك القــوة والفرصة ليتخــذ قرارات حازمة ليس فقط لإدارة الموصل وإعادة بنائها، بل لتغيير أوضاع العراق كلها وإصلاح شــأنه المتردي .

وفــي الختــام، آمــل أن تلقى فكــرة الإدارة العســكرية القبول والإســناد الوطني وتتضافر الجهــود لإنجاحها ويســود الأمن والاســتقرار ويبدأ البناء وتعلو منارة الحدباء من جديد .

إدارة الملـف الأمنـي في مدينـة الموصل بعد التحرير

اللواء الركن المتقاعد
د.عماد علوّ الربيعي (*)

المقدمة

تتّجـه الأنظـار كلها إلـى محافظـة نينوى وبالذات مدينة الموصـل ، التي نجحت القوات المسلحة العراقية بالتعاون مع البيشمركة وقوات الحشـد الشعبي والشـرطة الاتحادية والتحالف الدولـي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ، من تحريرهـا من براثن تنظيم (داعش) الارهابي وسـط مؤشـرات عديدة حول تبلور العديد من المخاطـر و التعقيدات المحتملـة التي يمكن أن تشـكّل تحدياً كبيرا» في مرحلـة ما بعد تنظيم «داعش»، ولاسيما في مدينة الموصل ، والتي هـي بوتقة عرقية متفجرة تضمّ أكثر من مليون ونصف نسـمة من مختلف الأعراقٍ والمذاهب والاديان الأمر الذي سيشكّل اختباراً بنفس القدر من الأهمية للقيادات العراقية والكردية، وكذلك لحلفائهم الدوليين في تحقيق الأمن و الاستقرار بمـا يكفل المحافظة علـى وتعزيز النصر الذي حققته القوات المسـلحة العراقية على عصابات داعش الارهابية .

وتكمن أهمية البحث في حقيقة أن النصر الذي تحقـق في الموصل كان بلا شـك تحديـاً فريداً من نوعه بالنسـبة للحكومـة العراقية وحكومة اقليم كردسـتان وشركائهم الدوليين الأمر الذي يسـتوجب الحفـاظ عليـه وتعزيزه مـن خلال العنايـة بالملف الامنـي في المحافظـة ومدينة الموصل بالذات ، للكشـف والمطاردة والقضاء علـى الخلايـا النائمة لداعـش الارهابي و بما يكفـل منع عودة التنظيم الارهابي الى الموصل مجدداً .ويسـتهدف البحث مناقشـة أهم الوسائل والسبل لإدارة الملف الامني في محافظة نينوى ومدينـة الموصل بالـذات ،بمـا يضمن فرض الامن والاستقرار وفرض القانون ،فضلا(عن كشـف ومطاردة والقضاء علـى الخلايا النائمة لداعش الارهابي ، و بما يكفل منع عودة التنظيم الارهابي الى الموصل مجددا) .

ومن هنا فإن السؤالين الأساسيين اللذين يحاول هذه البحث طرحهما والإجابة عنهما هما:

ما ذا سيفعل تنظيم داعش الارهابي بعد هزيمته في الموصل ؟

ماهـي الاجراءات الامنية المطلوبة لمنع عودة تنظيم داعش الارهابي الى الموصل؟

(*) مستشـار المركـز الاوربـي لدراسـات مكافحـة الارهـاب والاستخبارات

مـن هذيـن السـؤالين الأساسـيين، يحاول البحث ، رصد ردود فعل تنظيم داعش الارهابي علـى هزيمته النكراء في مدينـة الموصل التي سـيطر عليهـا لما يقارب ثلاث سـنوات ، كما ويسعى البحث الى الوقوف على انجع الاساليب لمواجهـة الخلايـا النائمة وفلـول تنظيم داعش الارهابـي فـي محافظة نينـوى . ويتم ذلك من خلال مطلبيـن، اختص الاول السـيناريوهات المحتملـة لعودة تنظيـم داعش الـى الموصل. امـا المطلب الثاني فقد اختص بالسـياق الأمني المقترح لمدينة الموصل بعد التحرير.

المطلب الاول :السيناريوهات المحتملة لعودة تنظيم داعش الى الموصل:

تنظيم داعـش الارهابي ليس مجرد ظاهرة أخرى مـن التطرف الإسـلامي العنيف. فتبني تنظيـم داعـش لخطـاب الدفـاع عن (السـنة) فـي العراق ، وتعبّده لسياسـة العنـف العدمية، واستمرار سـيطرته على مساحات شاسعة من الأراضـي ، في العراق وسـوريا ، فضلاً عن إمكانياته العسكرية التقليدية وغير التقليدية على حد سواء، جميعها عوامل تجعل من هذا التنظيم فريـداً وصعباً عنـد القتـال. ولا تمنحه طبيعته الخاصـة مرونـةً ملحوظة فحسـب، بل تعطيه أيضاً اندفاعاً لا مفر منه لإلحاق الأذى بالنسـيج الاجتماعي والنظام السياسـي القائم في العراق والبنى التحتية فيه ، سـواء بشكل مباشر أم عن طريق ومسـاعدة عدد من الجماعات المسـلحة والمتطرفـة الأخرى الموجـودة في العراق من ضمنها :-

الجيش الإسـلامي فـي العراق . تنظيم سـلفي يتمركز نشاطه في محافظة الانبار .

كتائـب ثـورة العشـرين .وهي جماعـة ذات مرجعيـة أسـلامية قريبـة مـن هيئـة علماء ، ويتمركز نشـاطها في محافظـة الانبار وديالى ونينوى وصلاح الدين وبابل .

المجلس العسـكري لعشـائر العراق . ويمتلك المجلس ٤١ فصيلاً مسـلحاً يتـوزع على مدن الرمادي والخالدية والكرمة والفلوجة و مناطق أبي غريب واليوسفية والتاجي والطارمية.

جيـش المجاهدين . وتنشـط هـذه الجماعة في مـدن تكريـت والكرمة والفلوجـة وأبو غريب واليوسفية في بغداد .

جيش رجال الطريقة النقشبندية .وهي الجماعة الأكثر أثارة للجدل في السـاحة العراقية السنية وبالتالـي هـي خليـط يرجع الى حـزب البعث المنحل (حزب العودة) ويتزعمه عزة إبراهيم الـدوري ، وتنشـط هـذه الجماعـة فـي نينوى وكركوك وتكريت .

جيش أنصار السـنة جماعة سـلفية تتألف من أعضـاء سـابقين مـن جماعة أنصار الإسـلام الكردية ومقاتلين عراقيين وعرب من السلفيين

وعنـد البحث في المسـتقبل القريـب لداعش وحلفائهـا بعـد هزيمتها في الموصـل نرى أن القوات التي شاركت في تحرير مدينة الموصل ومحافظـة نينوى(جيـش عراقي ، البيشـمركة الحشد الشـعبي ، قوات التحالف الدولي ، ابناء العشـائر ، حـرس نينـوى ، ..ألـخ) تتباين في اهدافهـا ومراميها وتـكاد التناقضات بين تلك القـوات ومـن يقـف وراءها من قوى سياسـية والتنافـس علـى تصـدر المواجهـة ان تفجـر صراعاً بينها اشد هولاً من الصراع مع المقاتلين الارهابيين اللذين كانوا متمترسـين في الداخل.

وهذه الخشية مبررة لان المعركة ضد الارهاب في الموصل وغيرها من المدن العراقية تجري وسط انشطار مذهبي وإثنيّ خطير يغذّيه تسابق خارجي على النفوذ وابتلاع ما بقي من العراق وسوريا. والوحدات المحتشدة هناك لا تحمل فقط السلاح بل ايضاً

المشاريع المتناقضة والمتعارضة (تقسم العراق ، تقسيم نينوى ، اقليم سني ، حكم ذاتي استفتاء تقرير مصير ، التحاق وضم للإقليم ، تهجير ، تغيير ديمو غرافي) .

فهل ينتظر تنظيم داعش وخلاياه النائمة في جحورهم انبثاقا جديدا لمعادلة دموية تعيدهم إلى صدارة المشهد، لا سيما انه بالنسبة اليهم ، خسارة الارض ليست هزيمة!

استناداً لما سبق فان السيناريوهات المحتملة لعودة تنظيم «داعش» الإرهابي بعد هزيمته في معركة الموصل[1] :-

السيناريو الأول: إعادة تشكيل التنظيم الارهابي في محافظة نينوى من جديد ومحاولة السيطرة على بعض الاقضية والنواحي والقرى القريبة من الموصل تمهيدا» لمهاجمتها والعودة اليها من جديد . وهذا السيناريو يعتمد على مدى هشاشة او صمود التعاون بين الحكومة الاتحادية واجهزتها الامنية من جهة وحكومة اقليم كردستان والبيشمركة من جهة اخرى .

السيناريو الثاني: استمرار عمليات تنظيم داعش الارهابي في العراق بأسلوب حرب العصابات وهذا السيناريو مشابه الى حد كبير حال حركة «طالبان» في أفغانستان بعد عام ٢٠٠١ وحال تنظيم «القاعدة» بعد دخول القوات الأميركية إلى العراق، واسلوب داعش في العراق في زمن ابو مصعب الزرقاوي . ويعد هذا السيناريو هو الأقرب إلى الواقع، نظرًا لأن القتال هو الخطوة التالية لعملية اعادة تشكيل أو تأسيس التنظيم.

السيناريو الثالث : إنّ المقاتلين اللذين كانوا سابقا» موالين لتنظيمات سلفية جهادية اخرى وأولها تنظيم القاعدة[2]، قد تنضمّ ثانية لجماعاتها السابقة، كما يتضح من الانقسامات العلنية داخل فرع تنظيم «الدولة الإسلامية» في سوريا و اليمن وليبيا. اذ سيستمر مقاتلو «داعش» في العملية القتالية، التي تمنح عناصر التنظيم دعماً شكلياً، وتظهر رؤية جديدة مستمدة من الجماعات السلفية الجهادية الاخرى مثل «جبهة النصرة»، و(جبهة فتح الشام) في سوريا.

السيناريو الرابع: اختفاء وانحسار تنظيم داعش الارهابي بعد انهيار (الخلافة المزعومة) مما يجعل مقاتلو التنظيم في حل من البيعة لابي بكر البغدادي ! مع انخفاض الترويج والدعاية الدائمة للتنظيم، واختفاء اسم التنظيم فترة من الوقت عن وسائل الإعلام، ويعد هذا السيناريو واردًا، لاعتماده على رصد تعاملات الحكومات مع مواطنيها العائدين من صفوف «داعش»، ومثال على ذلك عرضت الحكومة الدنماركية على الدنماركيين المنضمين إلى «داعش» العودة لوطنهم من دون محاسبة، ليفقد التنظيم العناصر القديمة الأساسية، والجدل حول عودة مقاتلو التنظيم الى تونس وغيرها من الدول الاخرى .

عوامل لابد من اخذها بنظر الاعتبار [٣] :

استنادا» لما سبق فإن تحرير الموصل لا يعني بالضرورة نهاية تنظيم داعش الارهابي ولا يعني وأد الارهاب. إذ لايزال السياق السياسي والامني الذي أحيا التطرف وأنعشه في الموصل ، لا يزال دون تغيير، لا بل يجري امداده وتغذيته بكل المقويات والذرائع ليبقى على قيد الحياة، او ليخرج برداء آخر فور توافر الشروط والمناخات، وهي اصلا لا تزال صالحة وملائمة وما اكثرها، فما الذي تغير في العراق وفي الاقليم حتى تسحب من المتطرفين والمتزمتين حججهم والذرائع؟ وهل القوى التي اسهمت بوجود المشكلة يمكن ان تكون هي صاحبة الحل او انها ستنقل الصراع من مرحلة الى اخرى، خدمة لغاياتها؟ لاسيما وأن الحلول السياسية والتوافقات الدولية والاقليمية ولاسيما المحلية لاتزال غائبة في وقت تتطلع فيه القوات الامريكية للبقاء قرب الموصل لفترات طويلة ! مع الاخذ بعين الاعتبار أن معركة تحرير الموصل كانت المعركة الأولى في العراق التي شاركت وتعاونت فيها كل مكونات الشعب العراقي وكتله السياسية المختلفة (السنة والشيعة والعرب والكرد والتركمان والايزيديين والمسلمين والمسيحيين...)، ومن المتوقع أن كل كتلة وطائفة ستحاول المطالبة باستحقاقات تنسجم مع أجندتها الخاصة من خلال هذه العملية. وهنا لابد من اخذ هذه الأمور بنظر الاعتبار:-

هل سيقبل الأكراد بدخول أو إعادة الجيش العراقي الاتحادي الى مواضعه وثكناته السابقة القريبة من (المناطق المتنازع عليها) ؟

هل سيقبل اهل الموصل من السنّة وجود قوات الحشد الشعبي ذات الصبغة (الشيعية)، في أو بالقرب من مدينتهم ؟

كيف سيمكن تجنيب السكان والمدينة من عمليات انتقام محتملة فيما بينهم ؟

ما هي الاجراءات الواجب اتخاذها لمواجهة الارث الدموي والتكفيري الذي تركه تنظيم داعش الارهابي طيلة الثلاث سنوات من احتلاله للمدينة؟

ما هو حجم الجهد الاستخباري المطلوب لفرض الأمن داخل محافظة نينوى ؟

ما هو حجم القوة العسكرية التي يتطلب ابقائها في المدينة لحمايتها من عودة تنظيم داعش الارهابي ؟

المطلب الثاني السياق الأمني المقترح لمدينة الموصل بعد التحرير :

أن تحقيق(الأمن والاستقرار) في الموصل ستكون عملية أطول مدى وأكثر تعقيداً مما هو متوقع . ولن يكون الأمر سهلاً، وقد لا يتم بسرعة ان النصر الذي تحقق باستعادة السيطرة على عموم محافظة نينوى ، يستحق المحافظة عليه بكافة الوسائل والطرق والاساليب . ان خطة الدعم الانساني وحماية المدنيين التي طبقتها قيادة العمليات المشتركة بتوجيهات من القائد العام للقوات المسلحة بموازاة خطط العمليات القتالية ، هيأت الظروف الملائمة والفعالة للحصول على تعاون واسناد المواطنين الموصليون ، وتضييق فرص التنظيم في الحصول على حواضن ومضافات في المستقبل لقد كانت قبضة «داعش» المسيطرة على محافظة نينوى والموصل بالذات تشكل رمزاً لنجاح التنظيم. وبالتالي، قد فان معركة تحرير

الموصل وفرض الامن والاستقرار فيها ، هي المعركة الوحيدة في العراق التي يمكن أن تثبت بشكل حاسم أن تنظيم «داعش الارهابي» عبارة عن قضية خاسرة.

معضلات عمل الاجهزة الامنية

من اجل ان يعمل اي جهاز استخبارات في العالم يحتاج في عمله الى خمس عمليات فعالة وهي كما يلي [٤] :-

التخطيط .

توجيه مصادر تمويل المعلومات.

جمع المعلومات من مختلف المصادر وبمختلف الوسائل.

تحليل المعلومات وتحويلها الى استخبارات

نشر المعلومات (اي توظيف المعلومات الى دوائر صنع القرار).

على الرغم من تعدد أجهزة الاستخبارات وجمع المعلومات في القوات الامنية العراقية ، الا أنها تفتقر الى التخصص و التنسيق الدقيق فيما بينها ، بسبب عدم وجود قيادة أو جهة مركزية تنظيم أنشطتها وأعمالها. ولعل هذه المشكلة الهيكلية تعتبر مشكلة اساسية لأنها ترتكز على مشكلة عدم تقاسم المعلومات بين الوكالات الوطنية، ناهيك عن التعاون فيما بينها في جوانب فنية وتنفيذية اخرى .

ولقد اثبتت خبرة وتجربة قتال تنظيمي القاعدة وداعش في العراق أهمية الجهد الاستخباري مقابل عدو سري ، يتخفى بشكل كبير بين السكان المدنيين في ذات الوقت الذي يستهدفهم به . لذلك فأنه من الصعوبة البالغة مقاتلة عدو سري بجهد عسكري او أمني ظاهري . ان التصدي للعمليات الارهابية داخل المدن والتي تستهدف السكان المدنيين باستخدام الدبابة والقوات العسكرية والشرطوية ، بات أسلوباً غير مجدي وغير فعال في مواجهة عدو متخفي بزي المواطنين لا يمكن فرزه والتمكن منه الا باختراقه استخبارياً ومحاصرته احصائياً وتكنلوجياً . فالدول تبني امنها من كسب ثقة الشعب والانتشار بين الناس , والعيون تراقب بصمت بلا جعجعة وهدير الدبابات والمدرعات , وتتنصت وتدقق وتنفذ وتتغلغل وتنتشر . واستنادا» الى الدروس المستخلصة من العمل الاستخباري ضد تنظيم داعش الارهابي فان من أبرز المعضلات التي تواجه عمل الاجهزة الاستخبارية هي ما يلي:-

ضعف أو غياب تقاسم وتبادل المعلومات، واحتفاظ اجهزة الاستخبارات المعلومات لنفسها . وفضلاً عن جهاز الأسايش الكردي ستعمل خمسة اجهزة استخبارية في الموصل ومحافظة نينوى هي (جهاز المخابرات الوطني , ووكالة المعلومات التابعة لوزارة الداخلية, وجهاز الامن الوطني , ومديرية الاستخبارات العسكرية والمديرية العامة للأمن والاستخبارات) والاخيرتان تابعتان لوزارة الدفاع (رغم تداخل عملهما) [٥] .

غياب التنسيق بين السلطات والاجهزة الاستخبارية في ظل خطر ارهاب تنظيم داعش

غياب أو فقدان التخصص في عمل ووظائف الاجهزة الامنية والاستخبارية ، مما قد يولد العديد من اشكال التداخل والتقاطع في الاهداف والمهام ، الامر الذي يولد ويؤدي الى هدر في الجهود الاستخبارية.

تعدد الجهات الأمنية وتداخل المهام وتشابهها واحيانا تعدد مرجعياتها الادارية، من شأنه المساهمة بضعف المنظومة الأمنية ، ووضع العراقيل والمعوقات أمام تنفيذها لواجباتها ومهامها في مطاردة وكشف الخلايا الداعشية النائمة .

سياق التمكين الامني المقترح :

لغرض دعم عمل الاجهزة الاستخباراتية في محافظة نينوى وفي مدينة الموصل بالذات لابد لها من العمل المنسق فيما بينها لجمع المعلومات عن التنظيمات الارهابية والجهات التي تحاول زعزعة الامن والاستقرار في المحافظة من خلال ما يلي :-

استثمار التعاطف والتأييد الشعبي الذي حققته القوات العسكرية والاجهزة الامنية التي حررت محافظة نينوى ومدينة الموصل من قبضة تنظيم داعش ، وذلك من خلال ادامة التواصل مع الناس كونه احد ابرز اذرع جمع المعلومات وتسهيل عملية اتصالهم مع الاجهزة الامنية من ، خلال ارقام هواتف محددة ومعروفة بما يشبه هاتف الاسعاف الفوري والنجدة وغيرها.

توزيع المهام والواجبات فيما بين الاجهزة الامنية في متابعة التنظيمات الارهابية أي بعبارة اخرى تخصيص جهاز أمني لمتابعة فصيل او تنظيم ارهابي معين إذ أن قيام كل جهاز امني بمتابعة كل التنظيمات الارهابية يعني هدر الجهود والامكانيات والتقاطع في بعض الاحيان في واجبات الاجهزة الامنية الاخرى.

تقليص المظاهر العسكرية داخل المدينة والاعتماد على الشرطة المحلية والعناصر الاستخبارية في تولي مسؤولية الملف الامني داخل مدينة الموصل من خلال الانتشار الصحيح لمفارز الشرطة ودعمها بالعجلات والآليات التي تمكنها من حفظ الامن وفرض القانون .

الافادة من اساليب الامن الاحترازي من خلال التفتيش والسيطرات المفاجئة و الدوريات والتدقيق على الكراجات والفنادق وتفعيل الامن المناطقي وتقنين حركة الارتال العسكرية داخل المدن و تفعيل دور الشرطة مع الاحتفاظ بقوات سوات خاصة في اماكن بعيده عن انظار الناس للضرورة.مركزية الجهد الاستخباري في المدينة , وتوحيد القيادة والسيطرة وغرفة العمليات بين الاجهزة الاستخبارية والامنية وتوحيد الاجهزة الامنية مناطقياً.

نصب انظمة مراقبة وكاميرات في العُقَد والشوارع المهمة والزام جميع دوائر وشركات ومحال القطاع الخاص بنصب كاميرات .

تعزيز ثقة المواطنين في مدينة الموصل بالأجهزة الامنية والتفاعل معه واشراكه في حماية منطقته وتنفيذ استخبارات تواصلية مع المواطنين , وتنظيم مسح دقيق مع تجزئة المناطق , لنشر العيون والمخبرين وربط كل مخبري منطقة بضابط استخبارات و تفعيل دور المختارين والمعلومات المحلية .

تعزيز التعاون والتنسيق بين الاجهزة الامنية والاستخبارية و مسؤولي الحكومة المحلية (المحافظة والقائمقامية), وذلك لضمان تأمين الدعم السياسي والاجتماعي لعمل الاجهزة الامنية والاستخبارية والتركيز على وضع الاجهزة الشرطوية بأمرة الحكومات المحلية.

ضرورة الاسراع بتلافي النقص في الموارد البشرية وذلك باستحداث وظائف وتطويع المزيد من اهالي محافظة نينوى للعمل في الاجهزة الامنية ! وهي مسألة ضرورية جدا» اذا ما علمنا أن بعد تعرض الدول الاوربية لهجمات ارهابية في العامين المنصرمين قامت الحكومة الفرنسية بفتح(٨٥٠٠) وظيفة جديدة في قطاعي الأمن والقضاء و استحداث خمسة الاف وظيفة داخل جهاز الشرطة، وقامت الحكومة البلجيكية باستحداث (٤٦٠٠) منصبا أمنيا، وستكون حصة الشرطة الاتحادية ثلاثة آلاف وظيفة.

دور الجيش في دعم الامن والاستقرار :

ان وجود الجيش في المدن وانتشاره في الشوارع لعدة سنوات لم يمنع التفجيرات ولم يحقق الامن والاستقرار . فلقد كانت لعسكرة الشارع تداعيات كثيرة , إذ اصبح الجندي يؤدي مهام الشرطي وتراجع الضبط العسكري وتأثره بالحياة المدنية , وقد عم الفساد واللامبالاة بين عناصر السيطرات المنتشرة في المدن . ان تحويل المدن الى ثكنات عسكرية كان له الاثر الكبير في التأثير على عدم تعاون المواطن الذي اصبح لا يطيق الاجراءات ويتململ منها, ومع تكرار طويل للتفجيرات اصبح يسأل نفسه عن مدى فائدة هذا الانتشار والسيطرات. وهذا ما اصاب الجيش في الموصل تحديداً قبل حزيران ٢٠١٤. لذلك فان اعتماد اسلوب الامن المعلوماتي من خلال تعزيز الجهد الاستخباري بشكل كبير في مجال التمكين والسيطرة على الوضع الداخلي للبلد مع اعادة انتشار وتموضع صحيح لقطعات الجيش خارج المدن سوف يدعم ويعزز الامن والاستقرار , وذلك من خلال جعل الجيش عاملاً مساعداً للأمن وليس مسؤولاً عنه . وعليه فإننا نقترح أن يكون دور الجيش في دعم الامن والاستقرار في مرحلة ما بعد داعش وكما يلي:

اعادة تموضع وانتشار تشكيلات وقطعات الجيش الى معسكرات وثكنات خارج مدينة الموصل (معسكر الغزلاني مثلا») , ليكون سوراً وحامياً للمدينة وفي نفس الوقت يتصدى للإرهاب . منع حركة الدوريات وتنقل الارتال العسكرية في الموصل بشكر كبير , الا في حالات الضرورة القصوى .

الاحتفاظ بقوات خاصة أو بقوات الرد السريع وقوات طوارئ في بعض الاماكن الحيوية ووضعها تحت تصرف الأجهزة الامنية والاستخبارية للإفادة منها عند الضرورة بترخيص من السلطات وعند الضرورة القصوى.

تكليف الجيش بمسك وحماية بعض الاهداف والمنشآت الحيوية مثل مطار الموصل ومعسكر الغزلاني ومراكز الاتصالات وبعض عقد طرق المواصلات المهمة التي تربط مدينة الموصل بالأقضية والنواحي داخل المحافظة بأسلوب الربايا والدوريات والسيطرات المتحركة والكمائن.

التنسيق مع قوات البيشمركة وقوات التحالف الدولي لتأمين حماية المدن والقصبات والنواحي في محافظة نينوى وصولا» الى الحدود العراقية مع كل من تركيا وسوريا لمنع تسلل وعودة عصابات داعش الارهابية .وذلك من خلال تبادل المعلومات وتسيير الدوريات المشتركة والكمائن ومراقبة المنطقة

بكافة وسائل الاستطلاع والاستمكان والتحسس البصري والالكتروني .

ان بـروز أدوار أمنيـة عرقيـة وطائفية يكون همهـا الاول الحفـاظ على «الامـن المناطقي» وهي اشـكالية سياسـية وأمنية ينبغي معالجتها سياسيا» وأمنيا» .

دور قوات التحالف الدولي :

لاشك ان الاحتفاظ بالنصر في الموصل سيكون مهمة ليست سهلة ، بل وربما أعقد من عمليات التحريـر، لمـا يتطلبه مـن جهود اسـتخبارية وانسـانية ولوجستية ، الامر الذي يتطلب زيادة الدعـم المقـدم من قبـل قوات التحالـف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة الامريكية ولاسيما والمجتمـع الدولي بشـكل عام وفـي المجالات التالية :-

توسـيع الدعـم الاسـتخباري والاسـتطلاع الميدانـي وتبـادل المعلومـات الاسـتخبارية، بمختلف وسائل الرصد والتحسس المتطورة .

زيـادة عـدد الفـرق التدريبيـة والاستشـارية العسـكرية الأمريكيـة والغربيـة العاملـة مـع وحدات وتشـكيلات القوات المسـلحة العراقية وقوات البيشـمركة وقوات الشـرطة الاتحادية وشرطة نينوى .

زيادة عدد منسقي الاسناد الجوي القريب .

زيـادة عـدد الخبراء في الهندسـة العسـكرية بهـدف التعامل مع الألغـام والعبوات الناسـفة والعجلات المفخخة.

توسيع التعاون العسكري والاستخباري وزيادة تركيـز الضربـات الجويـة وتكثيـف التدريب لتعزيـز الانتصـارات المتحققـة فـي مختلـف قواطع المواجهة مع عصابات داعش».

المشـاركة الفعالـة فـي دعـم عمليـات اعادة اعمار محافظة نينوى بصورة عامة والموصل بصـورة خاصة للعلاقـة الوثيقة لهذه المسـألة بالأمن والاستقرار المنشود للمحافظة والمدينة .

العدالة الانتقالية :

العدالة الانتقالية تُشير إلى مجموعة التدابير القضائيـة وغير القضائية التـي قامت بتطبيقها دول مختلفـة مـن أجـل معالجة مـا ورثته من انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان. وتتضمّن هذه التدابير الملاحقات القضائيـة، ولجان الحقيقة، وبرامـج جبـر الضـرر وأشـكال متنوّعة من إصلاح المؤسسات [٦] .

ويُعـدّ موضوع العدالـة الانتقالية أحد القضايا الشـائكة عقـب انتهـاء مرحلـة تنظيـم داعش الارهابـي فـي الموصـل ، ولاسـيما إزاء المآسـي التي تعرّض لها سكان مدينة الموصل والمناطـق المحيطة بهـا، في ظل الاضطهاد و الاستبداد الذي مارسه تنظيم داعش بحق اهالي الموصل ، من التعذيب والاختفاء القسري وبقية انتهـاكات حقوق الإنسـان الجسـيمة . وتتطلب العدالة الانتقالية كشف الحقيقة أولاً، ثم المساءلة وإنصاف الضحايـا وتعويضهم وجبر الضرر، وذلـك تمهيـداً لإصـلاح الأنظمـة القانونيـة والقضائية والأمنية، وذلك لمنع تكرار ما حدث ووضـع حد له في المسـتقبل، ناهيكم عن إعادة تثقيف للمجتمع ككل بروح العدالة[٧]. وعليه فانه من الضروري جدا» الشـروع بوضع الاسـس اللازمـة للعدالة الانتقالية، مـن قوانين ضامنة وأطرٍ سياسـية التي تسـتطيع أن ترسي أسس مصالحـة وطنيـة «مجتمعيـة» وتصفـي آثار

الكراهية والثأر والاقصاء والاستئثار السياسي التي يحتمل بروزها بعد تحرير مدينة الموصل من تنظيم داعش الارهابي .

الخاتمة :

لاشك أن إدارة الملف الأمني ستستحوذ على اهتمام بالغ من لدن السلطات الحكومية بسبب طول الفترة التي سيطر بها داعش على المجتمع الموصلي ، الامر الذي يزيد من احتمالات تركه لخلايا نائمة قد تشكل له بابا» للعودة مرة اخرى لزعزعة الامن والاستقرار في المدينة ، هذا من جهة ومن جهة اخرى قد يؤدي المبالغة بالاهتمام بالملف الامني الى رد فعل سلبي من لدن أهالي المدينة ولاسيما أنهم مروا بتجربة سابقة مؤلمة مع القوات الامنية التي كانت مسؤولة عن الملف الامني لم تكن نتائجها ايجابية.

كما أن مجلس محافظة الموصل ومحافظها لم يتمكنوا من توجيه وقيادة المجتمع الموصلي بالشكل الايجابي الذي يحصن المجتمع من التعاطي السلبي مع حالة التغيير الي حصلت بعد عام ٢٠٠٣ ، ولاسيما اذا ما علمنا أن الموصليين لا يميلون الى العشائرية وهم جادون منضبطون يحبون النظام والقانون ويكرهون الفوضى ويحبون الالتزام والانضباط ويتكون مجتمعهم في الغالب الاعم من الضباط القدماء واساتذة في الجامعة ومحامين ومهندسين واطباء ويميل معظمهم الى (العروبية) خصوصا» سكان مدينة الموصل ، و يفضلون أن يديروا انفسهم بأنفسهم ...

لذلك فانه ليس من الحكمة فرض الاحكام العرفية في المدينة بعد تحريرها من داعش[٨] والحرص على تسليم السطات الى ادارة مدنية (من النخب الموصلية) بأقرب فترة ممكنة . وهنا لابد من الاشارة الى أن تبقى عملية ادارة الملف الامني في مدينة الموصل تحت اشراف وقيادة الحكومة الاتحادية بالتعاون والتنسيق مع مجلس محافظة الموصل والأجهزة الامنية في اقليم كردستان ..

التوصيات الختامية

ان التنسيق والتعاون مع التحالف الدولي ينبغي ان ينصب باتجاه توسيع وتسريع وتيرة الضربات الجوية، ونشر فرق «تنسيق الهجوم النهائي المشترك»، فضلاً عن الفرق الاستشارية لتطال وحدات الكتائب التي تنفذ الهجمات، واستخدام منظومات أسلحة أخرى على غرار منظومات مدفعيات وصواريخ ارض/ ارض ميدانية والمروحيات الهجومية، نظراً لدورها المباشر في مساندة العمليات البرية، وتزويد الجيش العراقي بأسلحة أكثر ثقلاً.من الضروري وضع الخطط لمواجهة ردود الفعل المحتملة لتنظيم داعش الارهابي بعد طرده من مدينة الموصل ! لذلك لابد من تفعيل العمل الاستخباري واجراء تقدير موقف استخبارات للوقوف على مسالك العدو المحتملة في ادارة معركته الدفاعية عن وعلى مدينة الموصل !درءاً للمخاوف من «سيناريوهات» ما بعد مرحلة «داعش»، والخشية من حدوث اعمال انتقامية بين السكان . لذلك لابد من اعتماد اسس ومعايير العدالة الانتقالية .لابد للسلطات الحكومية من الاسراع بعد تحرير المدينة من تنظيم داعش النظر بشكل جاد في حقوق المتضرّرين من سكان المدينة من جراء

العمليات العسكرية او من قبل التنظيم المسلح والذين تعرضوا للتعذيب وللانتهاكات ، وذلك تشكيل هيئة كهيئة السجناء او الشهداء التي تهتم بشؤون المتضررين من تنظيم داعش الارهابي، في مدينة الموصل والبلدات التي تحيطها .التعامل بشكل انساني مع من تعرض الى التهديد والاجبار على حمل السلاح، ومن غرر به من المراهقين والاطفال. حيث ان «من الخطأ القول ان هؤلاء المدنيين باقون في مناطقهم بمحض ارادتهم، ويجب عدم التعامل معهم كمؤيدين لتنظيم (داعش)، بل هم ضحايا ينتظرون قدوم الجيش لتحريرهم. من الضروري السعي لمطالبة المجتمع الدولي بالمساهمة الجادة في إعادة إعمار البنى التحتية في المناطق التي تعرضت لأضرار بسبب الحرب على تنظيم داعش الارهابي .عدم السماح بمسك الارض لجهات «غير رسمية» لا يمكن معاقبتها، اي لا سلطة للدولة عليها .يجب أن تبقى عملية ادارة الملف الامني في مدينة الموصل تحت اشراف وقيادة الحكومة الاتحادية بالتعاون والتنسيق مع مجلس محافظة الموصل والأجهزة الامنية في اقليم كردستان ..

هوامش ومراجع البحث

١-امين قمورية أيّ مستقبل ل»داعش» بعد الموصل والرقة؟ جريدة النهار» بتاريخ ١١ تشرين الثاني ٢٠١٦ .

٢- بروس هوفمان و ماثيو ليفيت ،ما بعد ‹الخلافة›: مستقبل الحركة السلفية الجهادية ، معهد واشنطن لدراسات الشرق الادنى ، تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٦ على الرابط .http://www washingtoninstitute.org/ar/experts/ .view/bruce-hoffman

٣- اللواء الركن الدكتور عماد علو ، ادارة الملف الامني في مدينة الموصل بعد التحرير ، دراسة مقدمة الى ورشة عمل مدينة الموصل بعد التحرير التي اقامها قسم الدراسات الامنية والعسكرية في مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية ، اذار ٢٠١٧ .

٤- ينظر بشير الوندي ، مدخل الى معضلة الاستخبارات في العراق، على الرابط الالكتروني .http://www.alnoor.se/article asp?id=267563#sthash.57kyg7eo. ...dpuf

٥- بشير الوندي ، المصدر السابق .

ينظر ماهي العدالة الانتقالية ، على الرابط الالكتروني https://www.ictj.org/ar/about/ ..transitional-justice

٦- عبد الحسين شعبان ، عن العدالة الانتقالية ، على الرابط الالكتروني . http://aliraqnews.com/

٧- ينظر ، محمد شريف اسماعيل عبد المجيد ، سلطات الضبط الاداري في الظروف الاستثنائية دراسة مقارنة ، ص ٢١٢.

إدارة الملف الأمني ومكافحة العنف والارهاب

د. معتز محي عبد الحميد (*)

المقدمة

إن قضية الأمن في العراق قضية بنيوية شاملة .. ومعالجتها تحتاج الى جهود كبيرة تشارك بها كل أجهزة الدولة وليست وزارتي الدفاع والداخلية ، وكون إدارة الملف الأمني قضية سياسية واجتماعية تطول بمردوداتها السلبية جميع المواطنين ، يصبح معها ضرورة ان يشارك الجميع في وضع تصوراً ورؤى لمعالجتها مما يستوجب إشراك الرأي العام والأحزاب والقوى السياسية ومراكز البحوث المتخصصة والخبراء الأمنيين في دراسة الإخفاقات الأمنية المتكررة والاستئناس بكل الآراء واضعين مصلحة الوطن فوق كل اعتبار إن هدف الإرهاب ليس قتل اكبر عدد من المواطنين فقط ، بل زرع بذور الفتنة والبغضاء والكراهية بين مكونات المجتمع والوصول بها الى حالة من الصراع والمواجهة والاقتتال الدائم لغرض استنزاف القوى السياسية والأمنية تمهيداً للقفز والهيمنة لإسقاط التجربة السياسية برمتها .

وتأسيساً على ذلك يبقى الإرهاب والعنف مشكلة بنيوية ولذلك يجب ان يكون الحل بنيوياً ايضاً ، والبداية الاعتراف بان هناك مشكلة اسمها مشكلة ((الإرهاب والعنف)) والإقرار بان هذه المشكلة ليست عارضة بل جوهرية .

ومن هذا المنطلق يجب توضيح الأسباب ومن ثم وضع الحلول الناجعة لمكافحتها والقضاء عليها .

ان درب الإصلاح ليس صعباً ولا مستحيلاً فبعد ان يتم تشخيص اسباب العلّة فقد يسهل وضع العلاج لتلك العلّة من خلال استئصال اسبابها وعواملها ، شريطة توفر الارادة على التغيير ورفض الخضوع لارادة وتدخلات أي من القوى السياسية المستأثرة بالمشهد العراقي ومن الضروري التأكيد هنا على مغادرة ((التحزّب)) و ((التسييس)) و ((الأدلجة))

ولابد ان تبنى الأجهزة الأمنية ((الشرطة والجيش)) بشكل مهني وعقيدة حب الوطن وتنقيته من كل عوامل التحزب والانحياز السياسي او المذهبي و الطائفي والعرقي .

ويجب ان يكون الولاء لإدارته المسلكية وعقيدته العسكرية ولا يخضع لغير القانون .....

(*) مدير المركز الجمهوري للبحوث الامنية والستراتيجية

ان درب الإصلاح صعب وعسير لكنه مع توفر الإرادة والعزيمة والرغبة الصادقة .. يبدو يسيراً وسهل المنال .. وان درب الألف ميل يبدأ بخطوة واحدة .

الأسباب والمُسببات :

١- تراجع كبير وواضح لهيبة القانون والدستور والقضاء المستقل ، وشياع ثقافة الترهيب بالمنصب الأمني والإيحاء بالاعتقال العشوائي والاستقواء بالاقرباء في الاجهزة الامنية .

٢- محاولة القيادات الامنية (شرطة وجيش) في أكثر المراحل بالتنافس في الظهور بمظهر الأقرب للحكم والولاء للحاكم مقدماً ذلك على الولاء للوطن والشعب .

٣- انتشار الاسلحة المختلفة الانواع بشكل واسع بين فئات الشعب وبين الاجهزة الحزبية واستخدامه في النزاعات العشائرية والفردية ، أدى الى فقدان الأمن في مناطق واسعة في العراق .

٤- سيادة ثقافة العنف على سلوك افراد المجتمع عموماً رغبة بالظهور بمظهر الاقوى في مجالات الحياة المتعددة والالتجاء الى طرق القوة في حل اغلب المشاكل .

٥- ابتعاد المجتمع عن الطابع المدني واندفاعه نحو الطابع التقليدي المتعصب وترسيخ ثقافة العسكرة بين افراد المجتمع يقابله ضمور في باقي المجالات العلمية والانشطة المدنية الفنية والرياضية .

٦- انتشار واسع وكبير لعصابات الجريمة المنظمة والارهاب ولاسيما بين الفئات الاصغر عمراً ، التي يعاني بعضها من فقر مالي وفكري .

٧- غياب العقاب الرادع القوي والحاسم بحق من تثبت عليه تهم الارهاب او الانتماء الى حركات مسلحة ارهابية (داعش) التي ذلك الى ظهور تشكيلات مسلحة عديدة في مختلف المناطق .

٨- الفشل المعلوماتي والعملياتي وذلك لعجز اجهزة الاستخبارات في التنبؤ بوقوع اعتداءات ارهابية او وذلك لعدم وجود المعرفة والامكانيات اللازمة للحيلولة دون وقوع الاعتداءات .

٩- ارتكاب خروقات كثيرة بذريعة مكافحة الارهاب بما في ذلك انتهاك حقوق المواطنين في خصوصياتهم وعمليات الاحتجاز غير القانونية (وإساءة معاملة الموقوفين وتعذيبهم) واستخدام اساليب غير قانونية في التحقيق .

١٠- الاستهانة بالتنظير وتحليل الاسباب ضربة فادحة لاي محاولة جادة لمكافحة الارهاب ، فيجب الاستعانة بالمراكز البحثية المتخصصة لدعم الوزارات الامنية بصنع القرار وإيجاد استراتيجية أمنية مستقبلية وليست مرحلية .

الحلول :

١- تقليل وابعاد تواجد وحدات الجيش (عمليات بغداد والاجهزة الاخرى) وغيرها من المناطق المدنية داخل المدن والعاصمة بغداد والاكتفاء بقوات وزارة الداخلية لحفظ الامن والنظام ومكافحة الجريمة والارهاب ، كما نصّ ذلك دستورياً .

٢- وزارة الداخلية هي المسؤولة والمعنية بادارة عمليات مكافحة الارهاب والجريمة داخل العاصمة بغداد وارجاء القطر (الدولة) من خلال التعامل معها بقوات أمنية حديثة تخصصها لهذا الغرض (شرطة اتحادية أفواج الحدود ، أفواج الطوارىء) لادارة الملف الأمني ومكافحة الارهاب مع تنسيق كامل مع وزارة الدفاع وجهاز المخابرات والأمن الوطني .

٣- وزارة الدفاع بكافة صنوفها ووحداتها هي المسؤولة عن ادارة عمليات خارج حدود المحافظات ، من مسك الحدود وحماية المنشآت الحيوية والطرق الدولية والموانىء وغيرها مع تنسيق عالي المستوى مع اجهزة وزارة الداخلية والاجهزة الأمنية الاخرى. ٤- توحيد الجهد الاستخباري لمكافحة العنف والارهاب والجريمة المنظمة واصدار تشريعات جديدة من قبل مجلس النواب لبناء جهاز استخباري فعّال .

٥- تقليص المنظومة العسكرية (شرطة وجيش واجهزة أمنية اخرى) المنتفخة والمترهلة الى الحجم الفعلي الذي تحتاجه البلاد للدفاع عن أمنها وسيادتها ، وعدم جعلها مساحة للتشغيل او لكسب الارزاق .

٦- التركيز على ثقافة المنظومة العسكرية بذاتها ورفع مستوى افرادها لكي يتماشى وطبيعة المعركة ضد الارهاب ، مع الاستفادة من الخبرات العسكرية والأمنية للدول المتقدمة (المجاورة والعربية) وقوات التحالف الدولي فضلاً عن تدريب القوات الأمنية بشكل يضمن الوصول الى مراحل الاحتراف الفعلي باسرع وقت .

٧- ترسيخ مبدأ المواطنة بثوابت الولاء للوطن .. وإشاعة ثقافة التطوع في الاجهزة الأمنية والعسكرية وترسيخ مفهوم المنصب (كتكليف لا تشريف) فاحترام الآخرين وخدمتهم هو الهدف الحقيقي للتصدي للمسؤولية .

٨- الدعوة الى إزالة حالة العسكرة التي تنتهجها بعض الاحزاب والمستخدمة في هيكليتها الداخلية من خلال نص قانوني يشرّع من قبل مجلس النواب يعاقب بحزم من يسلك وينتهج هذا السلوك الغير حضاري .

٩- إشراك المواطنين بالجهد الأمني والاستخباري وذلك بالترويج المستمر للثقافة الطوعية والانخراط في أعمال المجتمع المدني

١٠- عدم الدعوة الى تشكيل أذرع (وحدات أمنية) جديدة بدواعٍ سياسية والتخلص من تلك التي لا مبرر لوجودها او فقدت مبررات وجودها بطرق علمية مدروسة .

١١- الدعوة الى تطوير القوانين والاجراءات الوطنية الكفيلة بمنع الإرهابيين من استغلال قوانين اللجوء والهجرة للحصول على ملاذ آمن في بعض الدول العربية والأجنبية ، أو استخدام اراضي بعض دول الجوار للتجنيد او التدريب او التحريض من خلال التعاون المباشر مع وزارات واجهزة الأمن في الدول العربية ودول الجوار وتبادل المعلومات والبيانات ومتابعة مراكز النشاط الارهابي في الخارج واتصاله بالداخل .

١٢- السعي الى إنشاء وحدة متخصصة لمتابعة ومكافحة الارهاب عبر الشبكات المعلوماتية والانظمة الالكترونية وحث الوزارات المعنية (الأمنية والعسكرية) على التأكيد على أهمية الامتناع عن نشر المواد الاعلامية الداعية للتطرف والعنف .

١٣- بناء قدرات وطنية متكاملة ولاسيما باجهزة الاستخبارات بحيث تتوفر لها إمكانيات فعّالة لجمع المعلومات الاستخبارية ، على أن لا يشكل ذلك ذريعة للتخلي عن سيادة القانون التي يجب ان تسود في الدول الديمقراطية .

١٤- ان للشرطة في العراق وظائف أمنية واخرى اجتماعية ، لذلك فان من اهم الواجبات الوظيفية للشرطة هي تحقيق الأمن والاستقرار لافراد المجتمع ، ولكي تؤدي هذه المؤسسة الأمنية واجباتها لابد أن تكون مقبولة من المجتمع حتى تظفر بمساعدته ، لذا نرى ان من الضروري الخروج من نطاقها التقليدي والدخول في الخدمات

الاجتماعيــة وتفعيــل دور (الشــرطة المجتمعية) وذلك باشراك المجتمع بكافة عناوينه بهذه المسؤولية الأمنية والوقائية .١٥- إنشاء غرف عمليات خاصة لــكل منطقــة (خلية أزمة) تشــهد عمليات إرهابية متكــررة ترصــد هذه الخليــة وتعالج هــذه الحالات بصورة ســريعة وتراقب أداء السيطرات والشرطة المعنية بالمحافظة على هذه المنطقة .

١٦- حــق التصويت او الانتخــاب يجب ان يقتصر علــى المدنييــن ولا يحبــذ إشــراك قوى الشــرطة والجيــش والقــوى الأمنيــة الاخرى فــي التصويت حتى لا تستغل هذه الاصوات في التجاذب السياسي وبنتيجــة الانتخابات ، والمفروض بهــذه القوى ان تكــون حامية للمراكــز الانتحابية وليس المشــاركة فيها .

١٧- تفعيــل معايير الجودة الشــاملة فــي الاجهزة الأمنية وحشد الطاقات والإمكانيات لتطويره وجعل العمــل الأمنــي (لا مركزية فــي المحافظات) في هياكل القيادات وصنع القرارات .

١٨- تطهير الشرطة والجيش من العناصر الدخيلة والمتسللة ممن لا تتوفر فيهم ابسط مقومات وشروط الانتماء لهذه المؤسســة العسكرية ... وان كثيراً من اصابع الاتهام تتوجه الى هؤلاء الدخلاء في ارتكاب اعمال العنف والارهاب والجريمة المنظمة .

القوانين للحد من الارهاب :

١- هنالــك ضرورة ملّحــة بمراجعة قانون مكافحة الارهــاب ١٣ / لســنة ٢٠٠٥ وجعلــه بمــا يتلائــم مــع المواثيــق الدوليــة ، لا ســيما هنــاك مشــاريع استرشــادية لمســودات قوانين الارهــاب اقترحتها الأمــم المتحدة لكافــة الدول . علمــاً ان هنالك ملف من الأمم المتحدة بشــأن تطبيق وتنفيــذ هذا القانون (على العراق مراجعة قانون مكافحة الارهاب لسنة ٢٠٠٥ وانشاء آلية لمكافحة الارهاب بصورة جديّة وتخليصه من الضبابية) .

٢- ان التحقيق في قضايا الفســاد يتطلب اجراءات ســريعة وصعبــة احيانــاً لان المتهــم بالفســاد يلجأ الــى اتبــاع اســاليب ملتوية فــي ارتــكاب الجريمة ، ممــا يصعب اكتشــاف تلــك الجرائــم ، ونجد هنا من الضــروري ان تُمنح هيئــة النزاهة صلاحيات أضافية تتمثل في التحري الدقيق عن مرتكبي جرائم الفساد .

٣- التأكيــد على اســتقلالية هيئــة النزاهة ودعمها مادياً ومعنوياً من قبل كافة مفاصل الدولة .

٤- ضرورة تجديد جرائم عقوبة الفســاد ، ولاسيما جريمة (الرشوة والاختلاس) لخطورة هذه الجرائم المرتكبَة وللحد من شيوعها في المجتمع .

٥- التأكيــد على اجراءات تغييــرات في الموظفين العاملين في الدوائر الرســمية ، وعدم بقاء الموظف لفترة طويلة ولاسيما المسؤولين عن الاموال العامة وموظفــي دوائــر المــرور والجوازات والتســجيل العقاري ومســؤولي لجان المشــتريات والموظفين الماليين والحسابيين .

٦- اتخــاذ اجــراءات كفيلــة وجريئــة مــن مجلس القضــاء الاعلــى بعــدم تكليــف اي جهة عســكرية باجراء التحقيق مــع (المواطنين المدنيين) ، لانها مخالفة دستورية ولان مثل هذه الاجراءات تستخدم فقط عند تطبيق الاحكام العُرفية .

٧- إعادة النظر بقانون العقوبات النافذ بالقدر الذي يؤمن اقرار جواز قانوني اوسع في تبني تدابير غير ســالبة للحرية تكون بديلاً عن التوقيف واقتصارها على الحالات ذات الخطورة العالية .

وأخيــرا أمد يدي إلى جميــع المواطنين المخلصين فــي بلادنــا، ســواء كانــوا منظمين في أحــزاب او تيــارات سياســية أم مســتقلين، وإلــى جميــع دعاة التقدم والســلام والحرية ونشر المعرفة، مهما كانت توجهاتهم الأيديولوجيــة وانتماءاتهم الدينية والأثنية و الاجتماعيــة والسياســية، وكلــي أمــل فــي أنهم ســيمدون أيديهم لي خلال فترة قريبة، لنتعاون على بناء الانســان العراقي بناءً معرفيا وانسانياً واخلاقياً و وطنياً للقضاء على الارهاب والعنف .

تقرير مؤتمر

إدارة مدينة الموصل بعــد التحرير ....رؤية سياسية واجتماعية وأمنية

إعداد د. حسين علاوي خليفة (*)

ضمن أسبوع النصر في الموصل الحدباء

عقد بيــت الحكمة مؤتمره العلمي الموسـع حــول **(إدارة مدينة الموصل بعد التحرير ..... رؤية سياسية واجتماعية وأمنية)**

وذلك في يوم الخميس الموافق ٢٠١٧/٧/١٣ في بيت الحكمة بمناسبة يوم النصر الكبير

تضمــن منهــاج المؤتمــر محوريــن يتنــاول المحور الأول بحث الإدارة السياســية والأمنية بعد التحرير كما يتضمن المحور الثاني الجانب الاقتصادي والاجتماعي وقد شارك في المؤتمر الذي ترأسة الأستاذ الدكتور محمود علي الداود مشرف قسم الدراسات السياسية والإستراتيجية وعدد مهم من أســاتذة الجامعــات والخبراء في شؤون الأمن والاقتصاد والاجتماع .

وفي الجانب السياسي والأمني تم بحث الإدارة الأمنية والسياســية بشكل واسع وشارك في هذا المحور اساتذة متمرسون من جامعة الموصل .

امــا فــي الجانب الاقتصــادي والأمنــي فقد تم طرح رؤى حــول إدارة الاقتصاد العراقي .... ومتطلبــات المرحلة المقبلة بعــد التحرير وفي الجانب الاجتماعي طرحت مواضيع مهمة منها (الآثار النفسية للأطفال بعد التحرير) و(تحديات البيئة الاجتماعية للمناطق المحررة... مشكلات الطفوله انموذجا)

وقد أعقبت البحوث مناقشات مستفيضة شارك فيها عدد من الاختصاصيين وقد حضر المؤتمر عدد مهم من الممثلين لوزارات الدفاع والداخلية وجامعــة الموصل ومركز النهرين للدراســات الإستراتيجية) .

التوصيات

العمــل علــى اســتثمار النصر العســكري فــي الموصل الــى نصر سياســية ينعكس على الاستراتيجية الشاملة للدولة العراقي في التعامل مع العالم الخارجي في مجال السياسة الخارجية والدفــاع الوطنــي وتحســين قــدرات الاقتصاد العراقي .

(*) استاذ الامن الوطني-كلية العلوم السياسية -جامعة النهرين

اطـلاق حملة اعمـار الموصل عبر حزمة من المشاريع الاستراتيجية في موازنة عام ٢٠١٨ بما يهدف الى اكمال عمليات المرحلة الاولى من خطة الاستقرار الاساسية للمحافظات المحررة والتي تنفذها الحكومة العراقية وتشـرف عليها الامانـة العامـة لمجلس الـوزراء بالتعاون مع البرنامج الانمائي للامم المتحدة .

العمـل علـى ادارة الامـن المحلي فـي مدينة الموصـل مـن خلال قيـادة عسـكرية – مدنية تدير شـؤون الامن المحلي وتعطى صلاحيات من السـلطة الاتحادية لادارة الامن والاستقرار ومتابعـة الاعمـار والتنمية المحليـة في مدينة الموصـل خـلال مرحلة انتقالة مـن ١٨ – ٢٤ شـهر ويكون هنالك قـرار في البرلمـان يدعم الادارة العسـكرية – المدنية بالارادة السياسـية الوطنية .

فـك الادوار بين القـوات العسـكرية والامنية ونقـل ملـف الامن الداخلـي لاحيـاء الموصل الـى الشـرطة المحلية والاجهزة الاسـتخبارية – الامنيـة حصـراً والعمل على تولـي القوات العسـكرية ذات الاسلحة المتوسطة والثقيلة الى اطواق المدينة الحيوية والاستراتيجية .

العمـل علـى تنميـة المشـاريع الصغيـرة والمتوسـطة لتحريك الاقتصاد المحلي واندماج الشـباب في الاقتصاد المحلـي لمدينة الموصل بما يحقـق التكامل مع اقتصـاد محافظة نينوى والاقتصاد الوطني .

العمـل على برامج لمكافحـة التطرف العنيف مـن خلال اندمـاج جامعة الموصـل والمثقفين والقـوى الاجتماعية في تنفيذ حزمة من الحقات الاساسـية لحصر الظاهـرة والقضاء عليها من خلال حزم البرامج المتنوعة .

العمـل على اطـلاق برنامـج معالجة نفسـية ميدانية للنسـاء المعنفات من قبـل كيان داعش الارهابي وخصوصاً من الاخـوات العراقيات الايزيديـات لتقليـل وطـأة الصدمـة النفسـية والاندماج في المجتمع .

تطويـر عمـل صنـدوق اعمـار المحافظـات المحررة عبر الانتقال من طور التمويل الوطني عبر الموازنة الاتحاديـة الى طور طلب الدعم مـن المجتمع الدولي من خـلال مؤتمرات دعم الاعمار والبناء في المناطق المحررة .

ابتـكار برامـج اجتماعية ميدانيـة تضمن في المناهـج التعليميـة تكـون موجهـة لانتـزاع الراديكالية والعنف المغروس في ذهنية الاطفال وصولاً الى مرحلة المراهقة .

دعوة المنظمات المحلية والاقليمية والدولية في مجالات الحياة العامة للعمل في مدينة الموصل ومسـاعدة الجهد الحكومي والمدني في الادارة المحلية والتنمية لمدينة الموصل .

تقرير مؤتمر
السياسة الخارجية العراقية-ترصين مكانة العراق الدولية

أ.م.د منى حسين عبيد (*)
مقررة المؤتمر

عقد المؤتمر العلمي السنوي لقسم الدراسات السياسية والاستراتيجية في بيت الحكمة المصادف ١٩ كانون الأول ٢٠١٧

ترصينا لمكانة العراق الدولية عقد قسم الدراسات السياسية والاستراتيجية مؤتمرة العلمي السنوي (السياسة الخارجية العراقية- ترصين مكانة العراق الدولية) في بيت الحكمة بتاريخ ١٩ كانون الاول ٢٠١٧ ،وذلك بمشاركة نخبة من الاكاديميين المتخصصين في السياسة الخارجية وفي مجال العلوم السياسية .وقد افتتح المؤتمر الدكتور احسان الامين رئيس مجلس أمناء بيت الحكمة الذي رحب بالباحثين والمشاركين في هذا المؤتمر الذي ينعقد في مرحلة دقيقة من تاريخ العراق المعاصر بحضور نخبة مهمة من أساتذة الجامعات والدبلوماسيين والاختصاصيين في الشؤون الدولية لتداول الأفكار والآراء حول السياسة الخارجية العراقية وسبل الارتقاء بالدور الدبلوماسي العراقي من أجل المساهمة الفاعلة في عملية النهوض والبناء وسط تحديات داخلية وخارجية كبيرة تحتاج الى تكاتف كل الجهود الخيرة لاستعادة العراق دوره المتميز في المنطقة ويتمتع بعلاقات طيبة مع كافة جيرانه ودول العالم .

ان هذا الانتصار الكبير يؤشر انعطافه مهمة في تاريخ بلادنا ودافعاً مهماً لتعاون الجميع من أجل أعمار ماخربته قوى الارهاب وتنفيذ خطط تنموية شاملة تهدف للنهوض بالعراق وترصين مكانته التاريخية من خلال سياسة خارجية تعتمد التعاون في مجال التنمية الشاملة اساساً لعلاقات ايجابية جديدة لمنطقة الشرق الاوسط في اطار المبادرة الشامله التي عرضها السيد رئيس مجلس الوزراء الدكتور حيدر العبادي .

(*) مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية -جامعة بغداد

وأكد السيد رئيس مجلس الأمناء إن أهم خطوات تمتين وترصين مكانة العراق هو الحفاظ على الثوابت الوطنية للعراق وفي مقدمتها حفظ وحدة العراق واستقلاله وسيادته الكاملة وحقوقه ومصالحة وكذلك حفظ كرامة العراق والعراقيين والدفاع عن حقوقهم في الداخل والخارج ولا ننسى ايضاً الالتزام بالقيم والمثل الانسانية في العدل والانصاف ونفي الظلم والعدوان والمساواة وعدم التمييز وارساء التعاون البناء بين مختلف الشعوب العالم من اجل سلامة هذا الكوكب .

وقد ترأس جلسة المؤتمر الاستاذ الدكتور محمود علي الداود مشرف قسم الدراسات السياسية والاستراتيجية ،وكان الاستاذ الدكتور محمد حاج حمود المستشار في وزارة الخارجية اول المتحدثين وذلك لمكانتة وخبرته في العمل الدبلوماسي بوزارة الخارجية العراقية اذ تطرق في بحثه عن العزلة التي شهدها العراق خلال حقبة النظام السابق وما الت اليه من مآسي اضرت بالشعب وبمكانة العراق الدولية وسببت تدهور واضح لاوضاع العراق الاقتصادية، ومن اجل انجاح سياسة العراق الخارجية تطرق الى مجموعة من العوامل نذكر منها لابد من وجود وضع داخلي موحد ورصين ،فالمفاوض الدولي لابد ان يكون مسنود من نظام سياسي موحد وفعال ،فالمماحكات والخلافات السياسية الداخلية تضعف من موقف المفاوض ،كما يرى اهمية اتفاق المجتمع على خطوط عريضة لتحديد المصالح الوطنية العليا لتكون اهدافا لنشاط السياسة الخارجية وفي الدفاع عنها فلايجوز التفريط بالاقليم او بالحدود او بالمياه مثلا،واهم شرط وضعه الحاج الحمود لنجاح سياسة العراق الخارجية هو وجود سياسة خارجية ثابتة والسير على نهج تلك السياسة بشكل منظم بالشكل الذي يضمن نجاح تلك السياسة.اما مستشار وزارة التعليم العالي الاستاذ الدكتور صلاح عبد القادر النعيمي فقد اكد في بحثه الموسوم(دور العلاقات الثقافية للتعليم العالي والتواصل مع المنظمات الدولية في دعم السياسة الخارجية العراقية)على اهمية توثيق العلاقات العلمية والثقافية وتطويرها بين العراق والدول الاجنبية عبر رصد التطورات العلمية والتربوية والفنية والثقافية في البلد الذي تعمل فيه الدائرة الثقافية،استقطاب الكفاءات العلمية العراقية والعربية المغتربة وحثها على الاسهام في نهضة العراق العلمية،كما حث في بحثه على اهمية ان يراعى عند فتح الدوائر الثقافية في البلدان العربية والاجنبية،مدى التطور العلمي والتقني والتكنولوجي لذلك البلد ،وجود المنظمات الدولية او الاقليمية او العربية ذات العلاقة ،ويؤكد في بحثه دأب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ولاسيما بعد عام ٢٠٠٣ على الانفتاح للتعامل مع المنظمات الدولية التابعة للامم المتحدة والمنظمات الدولية للجهات المانحة،تعزيزا لدور العراق في الساحة الدولية والسياسة الخارجية.

(نحو سياسة خارجية عراقية رشيدة)

بحث القاه الاستاذ الدكتور صالح عباس

الطائي،والذي انطلق فيه من فرضية مفادها ان الوحدة السياسية الدولية التي تروم القيام بفعل سياسي خارجي فاعل ومؤثر (رشيد) ينبغي ان تكون أمنة ومستقرة ،وتمتلك نسيج اجتماعي متماسك. فضلا عن موارد مادية ومعنوية تؤهلها لاتخاذ قرارات خارجية تحقق مصلحتها الوطنية.وفي مجال علاقات العراق الخارجية فقد اكد اللواء الركن المتقاعد الدكتور عماد علو مستشار المركز الاوربي لمكافحة الارهاب في بحثه الموسوم (السياسة الخارجية العراقية ازاء تركيا بين ارهاصات الحاضر وافاق المستقبل)،ان خيارات العراق الاستراتيجية في اقامة اوثق العلاقات مع الجمهورية التركية كثيرة وفي مقدمتها الاستثمار والتجارة والنواحي العلمية والتعاون المائي.فضلا عن التعاون الامني والعسكري بين البلدين من اجل الحفاظ على امن واستقرار المنطقة خصوصا وان العراق اصبح مؤهلا للعب دور مهم في امن واستقرار المنطقة.اما الاستاذ الدكتور ستار جبار علاي وفي معرض حديثه عن (العلاقات العراقية الايرانية)،يجد ان البلدين بدأ مرحلة جديد من التفاعلات السياسية والاقتصادية والامنية ولاسيما بعد عام ٢٠٠٣ ،ويرى الدكتور ستار ان العراق لن تكون له سياسة خارجية فاعلة وتحديدا مع دول الجوار الا اذا تمكن من حل وتسوية خلافاته التي تشكل عائقا كبير مثل اقتسام السلطة والاراضي والطاقة. وتطرقت الوزير المفوض جوان حسن توفيق معاون مدير دائرة اوروبا في وزارة الخارجية العراقية في بحثها الموسوم (الاتحاد الاوربي والعلاقة مع العراق-نظرة عامة)،الى اتفاقية الشراكة والتعاون بين العراق والاتحاد الاوربي ،حيث تبنى الاتحاد الاوربي تطبيق مبدأ سيادة القانون واحترام حقوق الانسان في العراق من خلال انشاء بعثة الاتحاد الاوربي لسيادة القانون في العراق ،وذكرت عدد الجولات التي عقدت بين العراق والاتحاد الاوربي والتي تم التوصل من خلالها الى صيغة تعاقدية بين العراق والاتحاد الاوربي للتعاون في المجال التجاري والاستثماري.ومن المواضيع المهمة التي طرحت في المؤتمر (دور العراق في التعاون الدولي لمكافحة الارهاب) للدكتور حسين علاوي من كلية العلوم السياسية – جامعة النهرين،والذي اكد على اهمية ان تلعب وزارة الخارجية العراقية دورا كبيرا في الخطاب الخارجي لمكافحة الارهاب،اما الاستاذ الدكتور عبد السلام ابراهيم بغداد فقد وضح في بحثه الموسوم(العلاقات العراقية الافريقية) ان تلك العلاقات لازالت قاصرة ومحدودة الافق وهذا لا يتعلق بالجانب السياسي والاقتصادي حسب،وانما بالابعاد الاخرى من ثقافية واجتماعية ،مما اثر ذلك على طبيعة العلاقات الدبلوماسية بين العراق والدول الافريقية ،سواء من خلال عدد السفارات الافريقية الموجود في العراق والتي لا تتجاوز الاربعة سفارات فقط،وعليه يرى اهمية توثيق العلاقات مع الدول الافريقية القريبة جغرافيا من العراق لاسيما مع دول شرقي افريقيا ،وفتح مركز افريقية في العراق ،فضلا عن اقامة معارض تجارية عراقية افريقية

،وانشـاء لجان تختـص بتوثيـق العلاقات بين العراق والـدول الافريقية.وتطرقـت الدكتورة همسـه قحطان خلف في بحثها الموسـوم(دور الدبلوماسية الشعبية في دعم السياسة الخارجية العراقية)،الـى ان العـراق شـهد غيابـا تامـا لدور الدبلوماسـية الشـعبية منذ تأسـيس الدولة العراقية ،فضلا عن ما عاناه العمل الدبلوماسي الحكومـي من اخفاقات عديدة سـواء في الفترة التـي سـبقت عـام ٢٠٠٣ او بعدهـا اذ لم يكن بمسـتوى التحديات التي تواجه العراق والنظام السياسـي الجديد،لذا فهي ترى ضـرورة انتباه الحكومة العراقية ووزارة الخارجية الى مسالة تنشـيط وتفعيل الدبلوماسـية الشـعبية ولاسيما مـع وجود جاليـات عراقية منتشـرة في انحاء العالم وتتمتع بكفـاءات هائلة وتمارس فعاليات ثقافية وسياسـية.في حين رأت الدكتورة شـذى زكي حسـن فـي موضوعها(علاقـات العراق الراهنة مع دول جنوب شـرق اسـيا ..الفرص والتحديات)، ان التعاون العراقي الاسـياني في الوقـت الراهن لـه اهمية خاصـة وتحديدا مع المسـلمة منها،فقد تسـعى الاسـيان الى تعزيز حضورهـا في القطاعـات الانتاجيـة للنفط في العراق،وتبين في دراسـتها ان سياسـة الاسيان تجاه العراق تخضع لسياستها العامة الداعية الى بناء بيئة استقرار وسلام دولية.اما معاون عميد معهد الخدمة الخارجية الاسـتاذ الدكتور ياسـر عبد الحسـين فيوضح في بحثه الموسـوم(نحو صناعة عقيدة دبلوماسـية)اهمية اعادة صناعة للدبلوماسـية نفسـها ،فلايمكن للدبلوماسـية ان تواجـه التحديات الجديـدة بالمهـارات القديمة ،وهنـا تبرز مهمة الدبلوماسـيين المحترفين اذ ربما تحتاج فيها الى آنسـنة الدبلوماسية بشكلها المعولم.واوضح الاسـتاذ الدكتور عماد الشـيخ داوود في موضوعه (الدبلوماسـية البرلمانية)، ان الدبلوماسـية البرلماني تعتمـد في ظهورها علـى امريـن الاول الجهـات الفاعلـة واهمها البرلمانيـون ،الاحـزاب ،والبرلمانات الوطنية والاقليمية ،والتجمعـات الدولية البرلمانية وفي مقدمتهـا الانتظام في الاتحاد البرلماني الدولي) امـا الامـر الثاني فهـو طبيعة الممارسـة التي قـد تكون رسـمية وغير رسـمية علـى الصعد المحليـة والاقليمية والدولية،ومن اهدافها ترقية الديمقراطية التشـاركية وتطوير السـلم والامن الدوليين.

وفي نهاية المؤتمر أكد الاستاذ الدكتور محمود علي الداود اسـتعداد بيـت الحكمة التام للتعاون مـع وزارة الخارجيـة العراقية مـن أجل اقامة دورات تأهيليه للسفراء الجدد.

التوصيات

فـي الواقع ،ان حجـم التحـديات التـي تواجه عمل السياسـة الخارجيـة العراقية كبيـرة جـدا ومـن أجـل ترصين مكانتها الدولية لابد من تحقيق الآتي:

اعتمـاد مبـدأ الرجـل المناسـب فـي المـكان المناسـب فـي العمـل الخارجي والدبلوماسـي والغاء مبـدأ المحاصصة،فالسياسـة الخارجية الرشـيدة بحاجة الى كوادر عالية المستوى في الحرفية والتخصصوضع سياسة خارجية ثابتة والاستمرار على نهج تلك السياسة بالشكل الذي يضمن نجاح تلك السياسة حتى لاتصبح مصالح البلاد عرضة للاهواء والتغيرات.

إتبـاع سياسـة خارجيـة تنأى عـن التدخل في

الشـئون الداخليـة للدول الأخـرى والحوار مع دول الجـوار لبنـاء الأمـن الإقليمـي المسـتند الى تـوازن المصالح واحترام خيـارات الدول الإقليمية في بناء أنظمتها السياسية.

٤- الحـرص علـى اتباع دبلوماسـية متوازنة مـع المجتمع الدولي ،والوقوف بمسـافة واحدة من جميـع اطـراف النزاعـات الاقليمية،وفي حدود المسار الاخلاقي والقانوني لنهج السياسة الخارجية.

٥- اهمية بذل الجهود لتوفير الامكانيات المالية لدعـم النشـاطات الخارجية والدبلوماسـية في المحيـط الدولي والاقليمي بهمـة وفاعلية اكبر لاسيما بعد تحسن الوضع الامني بالقضاء على تنظيم (داعش) الارهابي.

٦- التركيز على اسلوب التهدئه وصيغة الحوار المؤسسـي والمزيد من الجهود الدبلوماسية مع دول الجـوار علـى اسـاس الاحتـرام المتبادل للسـيادة وعـدم التدخل فـي الشـؤون الداخلية والتأكيد عليها بان عراقاً موحداً وقوياً ومستقراً ومزدهـراً هـو دعـم حقيقـي للأمـن الاقليمي والعربي بما في ذلك أمن الخليج العربي .

٧- ضرورة ان تكون وزارة الخارجية العراقية القنـاة الرئيسـة للتعبير عن المواقف السياسـية الخارجيـة بعيدا عن التصريحـات المتعارضة معها.

٨- لتوحيد وتعزيز السلوك السياسي الخارجي العراقـي يسـتدعي ضبـط السـلوك السياسـي الخارجي لاقليم كوردسـتان ،وان يكون متسـقا مـع اسـتراتيجية الدولة الاتحاديـة وفقا لاحكام الدستور.

٩- الدعـوة للتنسـيق بيـن وزارة الخارجيـة ومراكز البحوث العربية والدولية في الجامعات العراقيـة والاسـتفاده مـن الخبـرات الكثيـرة المتوفرة فيها بالاضافـة الى الخبرات المتوفره في بيت الحكمة .

Special File

The Annual Conference of Department of political and strategic studies

13. July .2017 Administration of Mosul After Libaration
Phenomenon of Extremism and The Crises of Moderation

Dr.lhsan Al-Ameen 161

Reconstruction of Iraqi Universities- moral and Educationl goals

Prof.Dr. Salah Abdul-Qader Al-Nuaimi.....165

Towards Revival of Mosul-ldeas and suggestions

Prof.Dr.lbrahim Khalil Al-Alaf

Prof.Dr. Hashim Yahya Al-Malah.....167

Administration of security After Lebaration of Nenava

L.General (R) Mahmoud Ahmad Izzet.....169

Adminisration of Security- Mosul After liberation

l.General.(R) Dr.Emad Aloo Al-Rubaei.....173

Security Administration And Fighting Terrorism

Dr.Mutaz Mohi Abdul-Hameed.....183

Report:

Bayt Al-Hikma Annual Conference 13.July.2017 Administration of Mosul After Libaration
Dr. Hussein Allawi khalifa.....187

Report:Annual Conference Political and Strategic Studies Dep-Iraq Foreign Policy. 19 Dec.2017

Dr.Muna Hussain Obeid.....189

Contents

Editorial 7

Research and Studies

Arab Contemporary Thought And Violent Radical Movements
Prof.Dr Mahmoud ali Al-Daoud 11

Phenomenon Of President Macron And its impact on French Policies in Europe And Middle East
Dr.Walid Kasid Al-Zydi 21

Israeli Plans to Annex Jerusalem As A Jewish identity
Dr.Farah Saber 39

Palestinian identy Abroad
Dr.Deena Hatif Maki 59

Agreement And Disagreement in American- Russian Conflect in The Middle East-Syrian Crises As A Model
Dr.Chadha Zaki Hasan 79

Presidential System For Iraq: in Theory And Practice
Dr. Hamsa Qahtan - Omer Hamdan 99

Iranian-American Relations after2003 And The lmpact of Atomic Energy Project
Dr.Kholood Muhand Khamis 123

Gulf – American Relations – in The Era of Arab Spring
Dr.Amer Hashim Awad 143

The Goals and Standard Publishing

The goals of Baytul Hikma

- Baytul Hikma is antellectual and scientific institution with moral entity and financial and administrative independence . Baytul Hikma is in Baghdad . Its goals;
- Studying the history of Iraq and the Arab and Islamic civilization.
- Laying the approach of dialogue between cultures and religions . Thus contributing to concolidate the culture of peace and the values of tolerance and coexistence between individuals and groups.
- Following- up the politiceal and economic global developments and their future effects on Iraq and Arab world.
- Paying attention to reserches and studies related to the issuses of social ، economic and political phenomena
- Interesting in reserches and studies that enhance the citizen rights and fundamental freedoms and the consolidation of democracy and civil society values.
- peoviding insightsand studies that serve policy and decision - making processes.

Puplishering standard

-The joumal puplishes researches that have not been puplished before . rhe researcher will be informed of decision of puplishing within three months from the date of receipt of the reserch- one copyof the resercher should be sent in Arabic with a summary in Enghlish of no more than (200) words. (provided that.

A -The researcher must be printed and saved on CD disk ،double - spaced and printing.

B -Pages should not exceed 200) pages ، (double-spaced and printing.

C -All sources and margins should be serially numbered at the end of the paper in double spaces printing.

-The researcher gets a free copy of the Journal that puplished the research.

-Researchers will not to be resturned whether puplished or not.

-The department has the right to puplish the research in accordince with the plan of the Journal edition.

Political and strategic Studies

Quarterly journal of Political and strategic Studies BaytulHikma
No.(35) Baghdad-2017

Chief Editor
Prof.Dr.Mahmoud Ali AL-Daoud

Secretary Editor
Dr.Muna Hussain Obeid

The Advisory Committee
Ambassador Pro.Dr.Muhamad haj hmoud
Pro.Dr.Mustafa Othman lsmail (sudan)
lssam Al-Chalabi
Pro.Dr.Abdul-Ameer.m.Al-assadi
Prof.Dr.abdul-Mounem.s.al-Amar
Prof.Dr. Abdul-Salam Baghdadi
Prof.Dr.Keiko sakai (Japan)
Prof.Dr.lbraheem.K. Al-Alaaf
Prof.Dr.George jabour .(Syria)
Prof.Dr. Zakaria Korochon (Turkey)
Prof.Dr. Muhamad Adul shafie Eissa (Egypt)

Linguistic Correction
Dr.Hazim.a.Arif